٣٧٥٧٤

محمّد بخيت المطيعي

الفقيه الأُصولي المفتي

تأليف

الدكتور محمّد الدسوقي

تحقيق وتعليق ومراجعة

محمّد الساعدي

سرشناسه : دسوقي، محمد
Dasuqi, Muhammad al-Sayyid
عنوان و نام پديدآور : محمد بخيت المطيعي الفقيه الاصولي المفتي / تاليف محمد الدسوقي ؛ تحقيق ، تعليق ومراجعة: محمدالساعدي.
مشخصات نشر : تهران : المجمع‌العالمي للتقريب بين‌المذاهب‌الاسلامية ، المعاونية الثقافية، ۱۳۸۸.
مشخصات ظاهري : ۱۹۲ ص.
فروست : سلسله رواد التقريب ؛ ۱۰
شابک : ۲۰۰۰۰ ريال : 978-964-167-060-5
وضعيت فهرست نويسي : فيپا
يادداشت : عربي
يادداشت : واژه نامه
موضوع : مطيعي، محمد بخيت، ۱۹۳۵-۱۸۵۴م.
موضوع : Mutii, Muhammad Bakhit
موضوع : اصلاح طلبان -- سرگذشتنامه
موضوع : تقريب مذاهب
موضوع : وحدت اسلامي
شناسه افزوده : ساعدي، محمد ، ويراستار
شناسه افزوده : مجمع جهاني تقريب مذاهب اسلامي، معاونت فرهنگي
رده بندي كنگره : ۱۳۸۸ ۶۲۵ م /BP ۲۳۳/۷/
رده بندي ديويي : ۲۹۷/۴۸
شماره كتابشناسي ملي : ۱۷۴۲۳۵۶

کتابخانه
۵۹۸۶۲

اسم الكتاب: محمد بخيت المطيعي الفقيه الاصولي المفتي
تأليف: الدكتور محمد الدسوقي
تحقيق وتعليق ومراجعة: محمد الساعدي
الناشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية - المعاونية الثقافية
تنضيد الحروف: حسين المندلاوي
الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ . ق ـ ٢٠٠٩م
الكمية: ٢٠٠٠ نسخة
السعر: ٢٠٠٠٠ ريال
ردمك: ISBN 978-964-167-060-5
العنوان: الجمهورية الإسلامية في ايران / طهران ص . ب: ٦٩٩٥ ـ ١٥٨٧٥
تلفكس: ٠٠٩٨-٢١-٨٨٣٢١٤١٢

جميع الحقوق محفوظة للناشر

مقدّمة المجمع

بسم الله الرحمٰن الرحيم

ليس من قبيل الصدفة عدم خفاء دور القادة المفكّرين وعظماء التاريخ العلمي والأدبي في إيجاد الحركات النهضوية والتحوّلات الفكرية والفلسفية الكثيرة في العالم، وما تعكسه من آثار متعدّدة الجوانب على مسيرة البشرية، وتطوّرها على كافّة الأصعدة؛ إذ في غالب الأحوال ثمّة ظروف تعين هؤلاء العظماء على المدّ في تحرّكهم ودفع عجلة نشاطاتهم بالاتّجاه الذي يرغبون فيه، يضاف إليه الأوضاع المعقّدة التي قد تدعو الناس إلى محاولة التغيير ولو بصورة معيّنة وعلى نطاق محدود.

فكلّ تلك العوامل تزيد من مدى طواعية الجماهير باتّجاه هذا القائد الفكري، وتحثّ من خطاه نحو إكمال مسيرته. هذا إذا أضفنا إلى مجموع ما مرّ شخصية القائد الجذّابة، والخصائص الفذّة التي يتمتّع بها.

من الصعب أن تشهد رجالاً من هذا الطراز قادوا «انقلابات» فكرية وثقافية في مجتمعاتهم مع وجود المال والناصر.

لكن أن تجد رجالاً قاموا بنهضات وحدوية بمفردهم، وجمعوا شتات أُممهم العريضة بهمّة عالية أثارت إعجاب الآخرين، فهذا هو الصعب والعسير المنال؛ لأنّهم لم يسندوا تحرّكاتهم على الرجال والأنصار، ولم يجلسوا على كنوز الذهب التي تترى على البعض من جهات مختلفة.

إنّ المصلحين العظام لم يقودوا حملاتهم النهضوية ضمن فئات محدودة أو جماعات قليلة ليدرجها المضطّلعون في خانة المساعي الهيّنة، بل كانت دعوات بعضهم تشمل أطراف الأُمّة الكبيرة التي يبلغ تعداد نفوسها أكثر من مليار نسمة! هذا

إذا أضفنا إلى ذلك الجماعات والجهات المخالفة التي لم تأن في استخدام كلّ ما لديها من الحيل لنزع فتيل حملتهم، واستحلال ساحتهم ولو بالتصفية الجسدية!

وهذا ما دعا التاريخ إلى حفظ أسماء هؤلاء الثلّة الرائعة بعدما رفعها عالياً، فكانت بمثابة شموس مضيئة أشرقت بنورها على الناس الذين لم يألوا جهداً في تسجيل مواقفهم وإبراز احتراماتهم تجاههم.

إنّ وصول هؤلاء الرجال في ميدان الإصلاح الاجتماعي والتقريب بين المذاهب الإسلاميّة إلى هذا المستوى من الرقي والعالمية إنّما كان مبنياً على استراتيجية ثابتة منتقاة من الفكر والثقافة القرآنية والأدب النبوي الشريف وتربية أهل بيت النبوّة الطاهرين والسيرة التي تابع الصحابة عليها بإحسان، ولم تكن حركة خبط عشواء، أو حاطب ليل، وأيضاً لم تكن على أُسس شخصية ومصلحية فردية أو أُسرية.

ففي الوقت الذي يجوب بعضهم العالم بأسره للقاء الزعماء السياسيّين ومسؤولي الدول، يطوف بعضهم الآخر البلدان والقرى، قاطعاً المسافات البعيدة من أجل بثّ فكرة الإصلاح ووحدة الصفّ.

ولعلّ من أبرز هؤلاء الروّاد والمصلحين هو الشيخ محمّد بخيت المطيعي الذي كان من الأفذاذ الذين بذلوا جهوداً جبّارة في هذا السبيل، وأبدوا كثيراً من النشاطات العلمية من أجل معالجة المتطلّبات الملحّة التي تحتاجها حركة الإصلاح في الأُمّة الإسلاميّة.

وفي الوقت الذي نشكر فيه جهود الأُستاذين الفاضلين: الدكتور محمّد الدسوقي على تأليفه الكتاب، والأخ الشيخ محمّد الساعدي على ما أبداه من تعاون مثمر على صعيد تحقيق وتصحيح واستدراك هذا الكتاب، نقدّر جهود كلّ من ساهم في نشر هذا السفر الجليل، والحمد لله ربّ العالمين.

المعاونيّة الثقافيّة للمجمع العالمي

للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة

مقدّمة المحقّق

تمهيد[1]

لا يخفى على القارئ الحصيف أنّ الوحدة الإسلامية هي إحدى الأُمنيات الكبرى التي تعتلج في قلوب المسلمين أفراداً وجماعات. فالواقع أنّ الإسلام نفسه دين الوحدة؛ إذ قد استطاع في مطلع ظهوره أن يوحّد ويلمّ شمل جميع القبائل والشعوب العربية والأعجمية، وبنى في مدّة سبعين سنة أكبر حضارةٍ إنسانيّة شهدها التاريخ على مرّ عصوره، إلّا أنّه من المؤسف حقّاً انتشار بذور الخلاف والفرقة بين المسلمين، وتشتّت شملهم، وتشرذم الأُمّة الإسلامية إلى أجزاء شتّى، وبالأخصّ في هذه الفترة العصيبة التي أحدقت بأُمّة الإسلام ولفّتها بالأخطار من جميع الجوانب وعلى كافّة الأصعدة. ومن هنا تبرز حاجة المسلمين الماسّة إلى إيجاد وحدةٍ متلاحمةٍ لجمع ما تفرّق من صفوفهم، وتوحيد ما تبعثر من جهودهم، فجمع الكلمة وتوحيد الطاقات من المسائل الحياتية للأُمّة الإسلامية؛ لا لأنّها وصية نبي الرحمة فحسب، بل لأنّها من أشرف الغايات الدينية؛ وذلك لاتّصالها بمقوّمات وجودنا ووجود أجيالنا وبكرامتنا..

إنّ وحدة الكلمة، وخفقة القلب، وومضة الفكر، ودرب السلوك، والبعد الأساسي لمستقبل الأُمّة، ليست مجرّد شعاراتٍ فارغةٍ وكلماتٍ مكتوبةٍ، بل هي إحساس واقتناع وعمل، ولا يكون ذلك إلّا ببذل الطاقات وصرف الجهود والمثابرة والسعي من أجل تكريسها في المجتمع، وعندئذٍ تصبح وحدة الكلمة حقيقةً قائمةً، ونموذجاً يُحتذى، ومثلاً يُقتدى.

---

(١) تمّ اقتباس هذ التمهيد من مقالة لمحقّق الكتاب، قامت بنشرها مجلّة «رسالة الثقلين» / العدد: ٦٠ / ص: ١٦٦ ـ ١٦٨.

وها نحن نرى ـ وللأسف الشديد ـ اجتماع أهل الباطل على باطلهم في حين أنّ أهل الحقّ قد تفرّقوا عن حقّهم!

كتب المفكّر المصري الشيخ محمّد الغزالي ـ وذلك في نقده لظاهرة الفرقة والاختلاف بين المسلمين وتوحّد غيرهم ـ قائلاً: «لقد تناسى المسيحيّون الحروب الدينية التي اندلعت نارها بينهم خلال القرون الوسطى، ونبذوا الخلافات الكبيرة التي تباعد بينهم أحياناً في أُصول العقيدة، وقرّروا أن يجابهوا الإسلام وأهله صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص! أمّا المسلمون فإنّ التضامن والاتّحاد الذي يجب أن يلمّ شملهم أصبح حلماً بعيد المنال، وروح الصفاء الذي ينبغي أن ينير طريقهم ويوحّدهم لازال بعيداً»[1].

والحقيقة أنّ الأُخوّة الدينية بين المسلمين هي شأن طبيعي من شؤون المؤمنين، وليس تكليفاً جديداً بعد الإيمان..

يقول سماحة الشيخ محمود شلتوت: «قرّرت الأُخوّة الدينية بين المسلمين على أنّها شأن طبيعي من شؤون المؤمنين، يتحقّق من تلقاء نفسه بمجرّد الإيمان. ويستتبع جميع آثاره من حقوقٍ وواجباتٍ، وليست بوصيةٍ يوصيهم بها، ولا تكليفاً جديداً يطلب تحقيقه بعد الإيمان... وربطت هذه الأُخوّة بين قلوب المسلمين حتّى أصبحوا أُسرةً واحدةً كبرى، يفرح المسلم لفرح أخيه، ويحزن لحزنه، ويمدّ يد المعونة إليه عند الحاجة، ويرشده إذا غوى، ويهديه إذا ضلّ، ويرحمه إذا ضعف، ويعامله بما يحبّ أن يعامل به، ويمحضه النصح إذا استنصحه أو رأى عليه ما ينكره الشرع والدين، ويحفظه في ماله وعرضه غائباً وحاضراً، ويسعى في إصلاح ذات البين ورفع ما يقع من الخلاف، إخوةً متصافون رحماء بينهم»[2].

وللوحدة الإسلامية محاور مركزية تدور في فلكها، ولها عوامل عدّة،

---

(١) دفاع عن العقيدة والشريعة: ٣٣٥.

(٢) الإسلام عقيدة وشريعة: ٤٣٤.

ومبادئ كذلك.

ولقد استطاعت الأُمّة الإسلامية أن تقاوم تغييرات الزمان والمكان والمؤثّرات الخارجية العنيفة والتقلّبات الداخلية غير المتناهية بقوّتين عظيمتين، كان لهما بالغ الأثر في بقاء الإسلام وكذلك خلوده إلى قيام الساعة وبإذن الله تعالى:

القوّة الأُولى: الحيوية الكامنة في وضع الإسلام نفسه، وصلاحيته للحياة، والإرشاد في كلّ بيئةٍ وفي كلّ عهدٍ من عهود التاريخ، فقد خصّ الله تعالى محمّداً ﷺ برسالةٍ وتعاليم كاملةٍ للإنسان صالحةٍ لكلّ زمانٍ ومكانٍ، تستطيع أن تواجه ما يتجدّد من الشؤون وأطوار الحياة، وتحلّ كلّ ما يعتري من المعضلات والمشكلات.

القوّة الثانية: تكفّل الباري عزّ وجلّ بأن يمنح هذه الأُمّة التي قضى ببقائها وخلودها رجالاً أحياءً أقوياءً في كلّ عصر، ينقلون هذه التعاليم الإسلامية إلى الحياة، ويعيدون إليها الشباب والنشاط. إنّ هذا الدين يبعث في هؤلاء الرجال الثورة والتمرّد على الأوضاع الفاسدة والأخلاق المنحلّة والسياسة المستبدّة والترف المسرف، ويفرض عليهم إنكار المنكرات وقول كلمة الحقّ عند سلاطين الجور، ويحرّم عليهم الاستكانة إلى الأوضاع الفاسدة والرضا بالحياة الدنيا وبيع الضمائر، ويهبهم الأُصول والنصوص المتينة الحكيمة التي يحلّون على ضوئها المشاكل العالقة والمسائل المعقّدة. والمتتبّع حقيقةً لتاريخ الأُمّة الإسلامية يجد أنّ هذه الأُمّة تقدّم في كلّ عصرٍ من عصورها مجدّدين في الدين، وأئمّةً في العلم، وعمالقةً في الفكر، وأبطالاً في الجهاد، وأعلاماً في الإصلاح، لا يوجد نظيرٌ لهم في أُمّةٍ من الأُمم الأُخرى.

إنّ تاريخ الإصلاح والتجديد متّصلٌ في الإسلام؛ وذلك للحفاظ على بقاء الإسلام وخلوده ممثّلاً في الأُمّة الإسلامية، واتّصاله ليس من قبيل المصادفة، وإنّما هو من قبيل لطف الله تعالى بهذه الأُمّة، بل لطفه بالإنسانية كلّها؛ إذ لو ضاعت هذه

الأُمّة لضاعت أمانة السماء، ولضاعت أمانة الإنسانية، وإنّما هي حراسته الكريمة وحفاوته القوية لهذا الدين الذي فرض عليه أن يرافق الحياة إلى آخر مرحلةٍ من مراحلها[١]..

يقول الداعية الأُستاذ أبو الحسن الندوي: «وقام في كلّ عهدٍ وفي كلّ ناحيةٍ من نواحي العالم الإسلامي رجالٌ فضحوا المنحرفين والمتآمرين، ورفعوا اللثام عن وجه الإسلام، ونفضوا عنه غبار الجهل والضلالات، وأنكروا البدع والخرافات، ودافعوا عن السنّة دفاعاً قويّاً، وردّوا على العقائد الباطلة، وشنّوا الحرب على الجاهلية وأعمالها وتقاليدها، وحاربوا المادّية والترف بكلّ قوّةٍ، ونعوا على المنحرفين في عصرهم، وجهروا بالحقّ في وجوه السلاطين الجائرين والملوك المستبدّين، وحدّوا من سلطان العقل الذي طغى وتخطّى الحدود، ونفخوا في الإسلام روحاً جديدة، وخلقوا في المسلمين إيماناً جديداً وثقةً جديدةً. وقد كان هؤلاء الأفراد نوابغ عصورهم عقليةً وعلماً وخُلُقاً، وكانوا أصحاب شخصيةٍ جذّابةٍ وكفايةٍ فائقةٍ، وكانت عندهم لكلّ فتنةٍ وظلمةٍ يدٌ بيضاء، تبدّد الظلمات وتنير السبيل»[٢].

مؤلّف الكتاب

الدكتور محمّد السيّد الدسوقي من الأساتذة المصريّين المرموقين، وهو أُستاذ بقسم الشريعة الإسلامية في كلّية دار العلوم بجامعة القاهرة، ويعمل كذلك أُستاذاً لمادّة أُصول الفقه في كلّية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، وهو عضو في الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية. وله مؤلّفات تربو على ستّة وعشرين كتاباً، منها: التأمين وموقف الشريعة الإسلامية منه،

(١) رجال الفكر والدعوة ١: ١١ ـ ١٣.

(٢) المصدر السابق ١: ١٥.

حديث الإفك، والأُسرة في التشريع الإسلامي، والفكر الاستشراقي، ومناهج البحث في العلوم الإسلامية، والحلّ الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ومقدّمة في دراسة الفقه الإسلامي، والتقريب بين المذاهب الفقهية من أجل الوحدة الإسلامية.

كما له عدّة بحوث ومقالات في مجلّات مختلفة، كمجلّة «رسالة التقريب»، ومجلّة «وعي الإسلام»، ومجلّة «التقريب»، ومجلّة «التوحيد»، وغيرها. وقد كان للأُستاذ الدسوقي سعي حثيث في مجال التقريب تمثّل في إقامة عدّة ندوات تقريبية في جامعة قطر بالتنسيق مع صديقه الدكتور أحمد عبدالرحيم السائح والدكتورة عائشة المناعي، وقد كان لهذه الندوات صدىً واسع. كما أنّه الآن بصدد إنشاء وتأسيس جماعة التقريب في القاهرة مجدّداً بالتعاون مع الأُستاذ عبدالله محمّد تقي القمّي.

وقد أجرت معه جريدة «عقيدتي» الصادرة بتاريخ التاسع من ذي القعدة ١٤٢٥ هـ حواراً حول أهمّية التقريب بين المذاهب الإسلامية أو الفقهية ومدىٰ الحاجة إليه في العصر الحاضر، ولأهمّية اللقاء والأفكار المطروحة فيه قامت مجلّة «رسالة التقريب» الطهرانية بإعادة نشره في عددها السابع والأربعين، ويمكن من خلاله استطلاع آراء هذا الأُستاذ في مجال الوحدة الإسلامية، وإليك نصّ الحوار[1]:

■ **متىٰ عرف المجتمع الإسلامي التعصّب المذهبي؟ وما أهمّ أسبابه؟**

□ يُراد بالتعصّب المذهبي: أنّ أتباع كلّ مذهب يرون أنّ مذهبهم أولى من غيره من المذاهب في وجوب الأخذ بآراء المذهب واجتهاداته، ويحاول هؤلاء أن يصفوا على هذه الآراء صفة تكاد تضارع النصوص الشرعية. ولم يظهر هذا التعصّب في عصر نشأة المذاهب، وإنّما ظهر بعد ذلك، وبخاصّة في عصر التقليد والتراجع الحضاري. وكانت أهمّ أسبابه: الضعف العامّ الذي حلّ بالأُمّة الإسلامية، وتفرّقها إلى دول متناحرة، وقد ارتدّ هذا على الحياة العملية بالوهن وقلّة الابتكار. ويضاف

(١) لاحظ مجلّة «رسالة التقريب» / العدد: ٤٧ / ص: ١١٣ ـ ١١٨.

إلى [هذا] جهود أتباع الأئمّة في الدفاع عنهم، والانتصار لآرائهم، ونشرها بين الناس، وتجلّىٰ هذا في كتب المناقب التي غلب عليها طابع التعصّب، كما تجلّىٰ في المناظرات والمجادلات التي كانت تقوم بين الفقهاء. فلم يكن الغرض منها تمحيص المسائل وإظهار الحقّ، ولكنّها كانت تقوم على مبدأ التعصّب المذهبي، ومحاولة إفحام الخصم بالحقّ أو بالباطل، فضلاً عن التعصّب المذهبي للأهواء السياسية، وقصر القضاء وولاية القضاء على أتباع مذهب معيّن.

■ **ما أهمّ آثار التعصّب المذهبي في المجتمع الإسلامي ؟**

□ إنّ التعصّب المذهبي فرّق العلماء، وهؤلاء بالنسبة لجمهور الأُمّة يمثّلون القيادة الدينية، ومن ثمّ تفرّقت الأُمّة تبعاً لتفرّق هذه القيادة، وأصبحت طوائف متعددّة مزّقت المجتمع، وأدّت إلى انحلال وحدته وتفرّق كلمته، كما نجم عنه صراع دامٍ بين أتباع المذاهب حتّىٰ في المساجد دون مراعاة لحرمتها، وكان من جرّاء ذلك الصراع المؤسف لتعدّد الجماعات في المسجد الواحد، وبخاصّة في المساجد الكبيرة كالجامع الأُموي والجامع الأزهري، فقد أصبح لأتباع كلّ مذهب محراب وإمام، وتعدّد القضاة بحيث كان لكلّ مذهب قاضٍ يمثّله. وكان التعصّب من وراء قتل الحرّية العقلية، واستبداد بعض الولاة والحكّام، فقد استغلّوا هذا التعصّب لإحكام قبضتهم وسيطرتهم، ممّا قضىٰ على الأُمّة بتبديد الطاقات في شتّىٰ المجالات، وتخلّفت، وذهبت ريحها، وطمع في استعمارها من كان بالأمس خاضعاً لها!

■ **الأُمّة الإسلامية لن تقوىٰ شوكتها ووحدتها إلّا بالوحدة والتقارب بين المذاهب الإسلامية والتحرّر من التعصّب ، كيف يكون ذلك التقارب ؟ وما مفهوم التقارب ؟ و[ما] دور جماعات التقريب ووسائلها لبلوغ هذه الغاية ؟ و[ما] العقبات التي تعترض طريقها ؟**

□ مفهوم التقارب بين المذاهب يعني: أن يكون بينها تعارف والتقاء، ولا يُراد به إلغاء أصل الخلاف بين المذاهب، فالاختلاف الفقهي سنّة من سنن الاجتماع، ولكنّ الضرر في أن يكون هذا الخلاف ذريعة إلى القطيعة والعداوة والخروج عن

مقتضىٰ الأُخوّة الإسلامية.

كذلك لا يعني التقارب إلغاء المذاهب، أو دمج بعضها في بعض، أو تغليب مذهب على آخر، فهذا ما لا سبيل إليه؛ لأنّ بقاء المذاهب في إطار المفهوم الإسلامي للاختلاف في الرأي من عوامل ازدهار الحياة الفقهية ونموّها.

وإنّ الغاية من التقارب تنحصر في أن يسود بين المذاهب تعاون وثيق، وتفاهم عميق، وتقارب يزيل الشكّ، ويؤكّد صدق النوايا، ويعبّر عن الأُخوّة الإسلامية، ويعمل على وحدة الكلمة ونبذ الفرقة، وألّا يكون الخلاف في الرأي بين الفقهاء سبباً للعداء أو البغضاء.

وقد قامت أوّل جماعة للتقريب في القاهرة منذ نحو خمسين عاماً، ولم يكن قيامها من أجل القضاء على صراع التعصّب المذهبي فقط، وإنّما كان هذا لمواجهة الأوضاع السياسية بعد الحرب العالمية الثانية، وما تمخّض عنها من ترك المسلمين دون موقع سياسي على خريطة العالم، ثمّ سقوط فلسطين وقيام دولة العصابات الصهيونية بتخطيط ودعم من الدول الكبرىٰ التي تزعم حماية حقوق الإنسان.

ولخّصت المادّة الثانية من القانون الأساسي للجماعة أغراضها في: جمع كلمة أرباب المذاهب، ونشر المبادئ الإسلامية باللغات المختلفة، وحماية الوحدة الإسلامية من التفرقة، وإزالة ما قد يكون من نزاع بين الشعوب الإسلامية.

وكان من أهمّ وسائلها لتحقيق أغراضها: نشر الكتب العلمية، والدعوة بكلّ وسائل الإعلام، وعقد المؤتمرات الإسلامية، ودعوة الجامعات الإسلامية في جميع الأقطار لتدريس فقه المذاهب الفقهية، ثمّ إصدار مجلّة تعبّر عن أفكار جماعة التقريب، وقد حملت اسم «رسالة الإسلام».

أمّا العقبات التي تعترض طريق التقريب، فمنها: موقف بعض حكّام الدول الإسلامية، فهم يتوجّسون خيفة من هذا التقارب، ثمّ خطأ أفكار وانطباعات كلّ مذهب وأتباعه تجاه المذاهب الأُخرى، وسوء الظنّ بدعوة التقريب، فهي لدىٰ

البعض تسعى لهيمنة مذهب على غيره من المذاهب، وأخيراً تقصير الجامعات الإسلامية في تدريس مادّة الفقه المقارن دراسة تشمل المذاهب الفقهية جميعها في موضوعية ودقّة وأمانة علمية.

■ ما أهمّ سبل التحرّر من التعصّب المذهبي والقضاء على العقبات التي تعترض التقريب بين المذاهب ؟

□ إذا كان الإيمان بأنّه لا اختلاف بين المسلمين في الأُصول يعدّ البداية الصحيحة للتقارب، فإنّ الاختلاف في الفروع يجب أن يدرس دراسة علمية تتوخّىٰ المعرفة الصحيحة لأسبابه وملابساته وطبيعته، وهذه الدراسة تحقّق غايتها في التقريب إذا قامت على أساس التسليم بأنّ آراء الفقهاء واجتهاداتهم ليست شرعاً واجب الاتّباع، وأنّ من وراء الاختلافات الفقهية في القضايا الفرعية أسباباً علمية تشهد للأئمّة بالحرص البالغ على تحرّي الحقّ والصواب، والاقتناع الكامل بأنّ أئمّة الفقهاء لم يتعصّبوا لآرائهم، ولم يكن واحد منهم يدّعي أنّ اجتهاده هو الصواب وحده، ولذا كان كلّ منهم يحترم رأي غيره ويطبّقه.. على أنّ كثيراً من مظاهر التعصّب بين أتباع المذاهب مردّها إلى أن أتباع كلّ مذهب جهلوا ما لدىٰ غيرهم بوجه عامّ وحصروا أنفسهم في دائرة المؤلّفات الفقهية الخاصّة، وأنّ هذه المؤلّفات بما اشتملت عليه من آراء هي الدين الذي لا يجوز لأحد أن يفرّط فيه أو يخالفه، ولأنّ «من جهل شيئاً عاداه» كان من وسائل التقريب معرفة آراء المذاهب من مصادرها الأصلية، ثمّ الدراسة الفقهية المقارنة، وتعدّد اللقاءات والندوات العلمية بين الفقهاء.

■ تبنّت إيران بعد ثورتها الإسلامية إحياء الدعوة إلى التقريب ، وذلك بإنشاء المجمع العالمي للتقريب في طهران ، فما دور هذا المجمع التقريب الآن ؟

□ لم يكتب لجماعة التقريب التي نشأت بالقاهرة البقاء طويلاً، ويرجع ذلك إلى وفاة أغلب روّادها، وتبدّل الظروف السياسية في العالم الإسلامي، وانحصار هؤلاء الروّاد في دائرة البحث العلمي وبين المهتمّين بقضية التقريب، ومع هذا كان

هذ الجهد الطيّب هو الصوت الذي نبّه إلى ضرورة توحيد صفوف الأُمّة الإسلامية لمواجهة الأخطار التي تهدّدها، ولذا تبنّت إيران بعد الثورة إنشاء المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب وتشكيل المجلس الأعلى للمجمع من خمسة عشر عضواً كحدّ أقلّ، ولا يتجاوز الواحد والعشرين عضواً، ويُنتخب هؤلاء الأعضاء من بين العلماء والمفكّرين والشخصيات الإسلامية من المذاهب الإسلامية.

وتتلخّص رسالة هذا المجمع للتقريب في: النهوض بمستوى التعارف والوعي، وتعميق التفاهم بين أتباع المذاهب الإسلامية، وتعزيز الاحترام المتبادل، وتوطيد أواصر الأُخوّة الإسلامية بين المسلمين، مع تجنّب التمييز بشأن انتماءاتهم المذهبية أو القومية أو الوطنية بغية تحقيق الأُمّة الإسلامية الواحدة.

ويصدر المجمع مجلّة فصلية تحمل عنوان «رسالة التقريب»، وله نشاطه المتعدّد في حضور الندوات والمؤتمرات على مستوىٰ العالم الإسلامي، كما يقيم كلّ عام مؤتمر الوحدة الإسلامية في ذكرىٰ مولد الرسول ﷺ.

■ **تمّ اختياركم عضواً في الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب، فما هو الدور الذي تقومون به للتقريب بين المذاهب ؟**

□ الجمعية العمومية لمجمع التقريب أعلى جهاز توجيهي، ومهمّته دراسة تقرير الأمين العامّ للمجمع، ودراسة المسائل التي تمّ إرجاعها إلى هذه الجمعية من قبل المجلس الأعلى، واتّخاذ القرار المناسب، وكذلك دراسة المشاكل والمسائل العامّة للمجتمعات الإسلامية، وتقديم الحلول المناسبة.

ويتلخّص دوري في الدعوة إلى التقريب عن طريق نشر المقالات والمؤلّفات وحضور الندوات التي تدعو إلى التقريب، ومن أحدث ما كتبته في هذا الموضوع دراسة نشرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، وعنوانها «التقريب بين المذاهب الفقهية من أجل الوحدة الإسلامية».

■ **أخيراً.. ما الذي يجب على علماء الأُمّة الآن ؟**

□ إنّ مسؤولية علماء الأُمّة الآن جسيمة، فعلىٰ عاتقهم يقع عبء الدعوة

للتقارب بين المذاهب الفقهية، لا بين المذاهب السنّية والشيعية فحسب، ولكن بين المذاهب السنّية نفسها، فمازال بين أتباعها في بعض الأقطار الإسلامية نزاع وصراع، بل إنّ الأقلّيات الإسلامية في الشرق والغرب تعاني من هذا الصراع، ولهذا وجب على علماء الأُمّة أن يكون لهم الدور المؤثّر والإيجابي في الدعوة إلىٰ التقريب بين المذاهب؛ لأنّ عامّة الأُمّة تبع لهم، يسيرون وفق ما يقولون، ويأخذون بما يفتون، فإذا أدرك هؤلاء الفقهاء مسؤوليتهم وقاموا بها في إحسان وإتقان سارت الأُمّة بخطىٰ حقيقية نحو أُخوّة ووحدة إسلامية تكفل القوّة في كلّ المجالات. والوحدة الإسلامية تكفل القوّة التي ترهق أعداء الله وأعداء الحياة، وتدرأ عن الأُمّة كلّ الأخطار والأضرار، وتعيد لها تاريخها المشرق بالعزّة والكرامة: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1].

كما يقول الدكتور الدسوقي في مقالةٍ له نشرتها «رسالة التقريب» في عددها السادس والستّين، بعنوان «عقبات في طريق الوحدة الإسلامية»[2] ما نصّه:

«إنّ الوحدة الإسلامية بالحكم الفقهي واجبة شرعاً، فليست عملاً ترغيبياً يُدعى إليه، وإنّما هي أمر واجب يلزم كلّ مسلم يشهد بأنّ الله واحد فرد صمد، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وهذا الواجب يطوّق عنق كلّ مسلم سيسأل عنه يوم الدين.

والوحدة فضلاً عن أنّها واجبة شرعاً تؤكّد علاقة الأُخوّة الإسلامية التي كان المسلمون بها كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً.

وإذا قلنا: إنّ المجتمع الإسلامي جسم واحد، فإنّ الأُخوّة الإسلامية هي روح هذ الجسم، فإن تحقّقت بالوحدة كان هذ الجسم حيّاً ينبض بالحياة، وإذا لم يتحقّق كان هيكلاً ميّتاً لا نماء فيه ولا حياة.

فوحدة الأُمّة الإسلامية أمر معلوم من الدين بالضرورة، لا يماري فيه مؤمن،

---

(١) سورة الروم ٣٠: ٤ ـ ٥.

(٢) مجلّة «رسالة التقريب» / العدد: ٦٦ / ص: ١٤٣ ـ ١٥٦.

ولا ينبغي أن يجادل فيه مسلم، والنصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تقرّر هذه الحقيقة كثيرة... إنّ هذه الأُخوّة الإسلامية تجعل الأُمّة كتلة متماسكة ينحدر عنها السيل، ولا يرقىٰ إليٰ الطير، ويرتدّ عنها كلّ من أرادها بسوء خاسئاً وهو حسير.

على أنّ الوحدة الإسلامية وحدة إنسانية غايتها تحقيق التقدّم والرفاهية للناس جميعاً، فليست وحدة عنصرية طائفية متعصّبة تعيش في دائرة مغلقة، وتؤمن بأفكار منحرفة فاسدة، تجلب على الإنسانية الضرّ والشرّ، كما نرى لدى بعض الشعوب والأُمم في العصر الحاضر.

إذا كان من المقرّرات الثابتة أنّ الأُمّة الإسلامية لا يصلح آخرها إلّا بما صلح به أوّلها، ولا تستطيع أن تعود إلى ماضيها العزيز الكريم إلّا إذا أخذت بالأسباب التي قام عليها ذلك الماضي، فإنّ العرب قبل الإسلام كانوا أوزاعاً بأسهم بينهم شديد، ومن ثمّ لم يكونوا مصدر قلق لغيرهم من الأُمم، ولكن العرب بالإسلام أصبحوا أُمّة جديدة في عقيدتها وسلوكها، أُمّة توحّدت كلمتها وقويت إرادتها، فهزمت أكبر قوّتين في العالم في القرن الأوّل، وقادت البشرية إلى حضارة إنسانية، وأذهلت العالم بفتوحاتها في شتّىٰ الميادين.

وإذا كانت وحدة الأُمّة عبر تأريخها الطويل قد أصابها الوهن والفتور في بعض العصور، فإنّ الأُمّة في حاضرها في أمسّ الحاجة إلى بناء وحدتها؛ لأنّ أعداءها تكالبوا عليها من كلّ جانب، وتواطأوا على تمزيقها، والسعي لزحزحتها شيئاً فشيئاً عن أُصول عقيدتها وخصائص هويتها، ولا سبيل إلى أن تستردّ الأُمّة عافيتها وتحول بين أعدائها وما يخطّطون له للهيمنة عليها ونهب ثرواتها إلّا بالوحدة الجامعة، فهي طريق القوّة والعزّة والكرامة؛ لأنّ عماد هذه الوحدة الإسلام، دين الأُخوّة الإنسانية ودين العدالة الحقيقية؛ لأنّها لا تفرّق بين جنس وجنس ولا لون ولون، ودين المساواة ومكارم الأخلاق، وأخيراً دين الحقّ والقوّة.

على أنّ الوحدة المنشودة لا تعني أن تكون هناك قيادة واحدة للأُمّة، فهذا

أمل لا سبيل إلى بلوغه في ظلّ الأوضاع السياسية المعاصرة، وإنّما يكفي في المرحلة الحالية أن يكون بين الشعوب الإسلامية سياسة ثقافية ذات أُصول واحدة. وهذا ما دعا إليه البيان الختامي للمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإلامي، فقد شدّد على أهمّية وحدة الأُمّة الإسلامية، ودعا إلى العمل الجاد لإصلاح أوضاع هذه الأُمّة، وتعزيز وحدتها، وإعداد العدّة للدفاع عن نفسها، وعقد اتّفاقيات أمن مشتركة بين الدول الإسلامية لحمايتها من الأخطار المحيطة بها».

ثمّ ذكر: أنّ طريق الوحدة المنشودة ليس مفروشاً بالورود، ولكنّه مترع بشتّىٰ الأشواك والعقبات، وبعض هذه العقبات داخلي، وبعضها الآخر خارجي، وإن كانت العقبات الداخلية مردّ كثير منها إلى الغزو الثقافي والاجتماعي الذي صاحب الغزو العسكري للعالم الإسلامي، والذي مازال تأثيره قائماً حتّى الآن.

ومن ثمّ قام بتعداد العقبات الداخلية مقتصراً على أهمّها، وهي: (الأُمّية الدينية ـ النزاعات القومية ـ الجماعات الإسلامية والخلافات المذهبية ـ الأحزاب السياسية).

وبعد أن بيّنها بعدّة صفحات من الكلام المتين والمؤثّر قال: «تلك أهمّ العقبات التي تعرقل مسيرة الوحدة الإسلامية، ولكن ميثاق الوحدة يعدّ الخطوة العملية الأُولى لبلوغ الغاية في تحقيق الوحدة الإسلامية، ومع هذا لا يكفي هذا الميثاق وفقه كلّ ما اشتمل عليه من مواد وتوجيهات؛ لأنّ طريق الوحدة طويل، ولن يكف الأعداء عن زرع الألغام في هذا الطريق، ولهذا ينبغي التخطيط العلمي المدروس الذي يقود مسيرة الوحدة إلى بلوغ غايتها.. لا بدّ من متابعة مستمرّة للتذكير بضرورة الوحدة وأنّها في العصر الحاضر هي ملاذ الأُمّة لحمايتها من الأخطار التي تهدّد مستقبلها.. يجب أن تكون قضية الوحدة مقرّراً علمياً يدرّس في المرحلة الثانوية والجامعية على مستوىٰ العالم الإسلامي، وأن يُراعى في المقرّر التأكيد على الأُمور التالية:

أوّلاً: وحدة المشاعر في الإحساس بأنّ المسلمين أُخوة بحكم الإسلام، وأنّ

الأُخوّة الإسلامية فوق الجنسية والعنصرية، وأن نتذكّر بأنّ أوّل حكم تكليفي نفّذه النبي ﷺ بعد الهجرة هو الأُخوّة الإسلامية في نظام الإخاء الذي قام به، فقد آخى بين المهاجرين والأنصار، وآخى بين الأنصار بعضهم مع بعض، وذلك ليشعر الجميع بأنّ الأُخوّة الإسلامية هي التي تجمع وغيرها يفرّق، وأنّ أسباب هذه الأُخوّة قائمة والعقائد والتكليفات وحدها كافية لذلك.

ثانياً: وحدة ثقافية ولغوية واجتماعية تجمع بين المشاعر والأحاسيس؛ حتّىٰ يقرأ كلّ مسلم ما يقرؤه الآخر، ويحاربوا كلّ ما فيه هدم للإسلام، ويتّفقوا على ما فيه رفع له وإعزاز المسلمين، وأن يكون المجتمع الإسلامي قائماً على مبادئ الإسلام الصحيحة. إنّه من الضروري أن يعرّف المسلمون أنفسهم بلغة جامعة بينهم، هي لغة القرآن الكريم والسنّة، وهي العربية، فإحياؤها إحياء للوحدة، وتعميمها تعميم لها.

ثالثاً: ألّا يكون من إقليم إسلامي حرب على إقليم آخر أيّاً كانت أساليب هذه الحرب، سواء أكانت بالاقتصاد أم كانت بالسيف، فهي في كلا شكليها توهين لقوىٰ الإسلام وإضعاف لشأنه، وقد أُمرنا بأن نصلح بين المسلمين إن تنازعت منهم طائفتان، وأُمرنا بأن يكون كلّ مسلم في حاجة أخيه المسلم...».

ثمّ قام بتعداد أهمّ السبل العملية للتقريب بقوله: «من أهمّ السبل العملية للتقريب ما يلي:

١ ـ نشر ثقافة الوحدة بين أهل الذكر من العلماء والحكّام، وذلك بعقد المؤتمرات في كلّ عام أو عامين؛ ليجتمع فيها عقلاء المسلمين وعلماؤهم من جميع الأقطار الإسلامية؛ ليتعارفوا أوّلاً، وليتداولوا في شؤون الإسلام ثانياً. وأوجب من هذا عقد المؤتمرات والمعاهدات بين قادة الشعوب الإسلاميه ليكونوا يداً واحدة أو كيَدَين لجسد واحد تدفعان عنه الأخطار المحدقة به من كلّ جانب.

٢ ـ التصدّي لهؤلاء الذين يقفون في سبيل الوحدة بالحكمة والموعظة الحسنة، وهم في كلّ بلد إسلامي وإن كان ظهورهم على أشكال وألوان مختلفة،

فلهم طابع واحد مشترك، أو فكر واحد مميّز، أو أمر واحد جامع، ذلك أنّهم في فهمهم للدين يتّبعون أفكار غير المسلمين، وهي أفكار مفرّقة غير جامعة، لا تريد المسلمين قوّة في الأرض دافعة أو مانعة، ولا أُمّة واحدة جامعة، بل يريدونهم أوزاعاً متفرّقين لا حول لهم ولا قوّة. إنّ أوّل طرائق الوحدة يتمثّل في محاورة هؤلاء الذين يقفون بآرائهم محاجزين للوحدة، وأن نحول بينهم وبين أن تكون مقاليد الحكم في أيديهم.

٣ ـ التعرّف على المذاهب من مصادرها، ولذلك كان من الخطوات العملية للتقريب بين المذاهب الفقهية والوحدة الإسلامية هو نشر المؤلّفات الأصيلة لرجالات المذاهب وعلمائها، وتدولها بين كلّ المهتمّين بالتقريب بين أتباع المذاهب وتحقيق الوحدة؛ لأنّ الأفكار المرسلة والتي تنتشر بين جماهير الأُمّة هي التي تساعد على التمزّق والتفرّق وتقف حجر عثرة في طريق الوحدة، ومن ثمّ كان من الضرورة العلمية وأيضاً من الضرورة لوحدة الأُمّة أن تعرف أحكام المذهب من مصادرها المعتبرة لا من أقوال خصومها.

٤ ـ الإمساك عن المطاعن، ولهذا ينبغي أن تتوقّف حملة الأقلام عن إثارة المشاعر برمي أتباع المذاهب بالفضائع معوّلين في ذلك على بعض الآراء الشاذّة، والروايات المدخولة، والأفكار المسمومة؛ لأنّ الذين يُهاجَمون ويُنتقَدون سليجأون إلى الدفاع عن أنفسهم، فتثور الأحقاد وتستمرّ الحفائظ، وتكون أكبر خدمة للأعداء والذين يتربّصون بالأُمّة الدوائر، فعلى كلّ علماء الأُمّة أن يوصدوا باب المجادلات المذهبية وما يثير الحفائظ والعصبية، فهي من أعظم المحرّمات في هذه الظروف التي أحاط بالأُمّة فيها الأعداء من الداخل والخارج.

٥ ـ التفريق بين العقيدة التي يجب الإيمان بها وبين المعارف الفكرية التي تختلف فيها الآراء دون أن تمسّ العقيدة، فبهذا التفريق تجتمع الأُمّة على ما اتّفقت عليه ويعذر بعضها بعضاً فيما اختلفت فيه، ويومئذٍ يعود المسلمون كما كانوا أُمّة واحدة، دينها الإسلام، وكتابها القرآن، ورسولها محمّد ﷺ، تؤمن بالله وملائكته

وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتقبل الكلام فيما وراء ذلك على أنّه آراء يدلي كلّ بما يراه منها دون أن تسيء إلى وحدة المسلمين أو أن تكون عاملاً من عوامل فرقتهم وضعفهم».

هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب سيرة أحد أعلام الفكر والدين، ألا وهو الشيخ محمّد بخيت حسين المطيعي الحنفي المتوفّىٰ سنة ١٩٣٥ م، وقد خُطّ بيراعة الأُستاذ الدكتور محمّد الدسوقي أحد أبرز رجال التقريب المعاصرين في أرض الكنانة، وتقدم منّا الكلام حول المؤلّف المحترم فلا نعيد، وإنّما نصبّ الحديث في مقامنا هذا حول الكتاب وما يمتاز به من مواصفات..

فقد تطرّق المؤلّف في البداية إلى الحالة السياسية والاجتماعية التي كانت تمرّ بها مصر زمن «الخديويات»، وإلى ميلاد الشيخ المطيعي، ونشأته، وأخلاقه، وشخصيته، ودراسته، ووضعه في الأزهر، والدروس التي كانت تدرّس آنذاك، وكيفية تدرّج الشيخ المطيعي في مقاماته العلمية والإدارية حتّى أصبح مفتياً للديار المصرية، وملابسات وفاته وما صاحبها من تأبين له.

وتطرّق كذلك إلى معاصري الشيخ من مشائخ وطلّاب الأزهر وكلّية العلوم، وأخيراً إلى مؤلّفاته وآثاره وفتاواه، مختتماً كلامه ببعض التوصيات والنتائج.

كما لا ننسىٰ تطرّقه إلى الفكر التقريبي والوحدوي الذي كان يتحلّىٰ به هذا الرجل المقدام.

وقد أبدع المؤلّف أيّما إبداع في بيان بعض الملابسات التي تتعلّق بحياة الشيخ ومواقفه ومؤلّفاته، سيّما البحث في موردي: ما قيل من وجود الضعف في مؤلّفات الشيخ المطيعي، وما قيل من وقوفه موقف المتصلّب والمعاند تجاه آراء الشيخ المصلح محمّد عبده.

ومن يقرأ الكتاب ويلاحظ استرسالات المؤلّف وتحليلاته هذه يلمس فيه نبوغ الكاتب وإنصافه واتّزانه ودقّته في ملاحظة الأحداث، مع البراعة في صياغة العبارات بقالب لطيف وجميل، وقد أرسلها المؤلّف واضحة المعالم سافرة الأركان، إلّا أنّه لم يتعرّض لبعض الأُمور التي تخصّ تلامذة المترجم له ومَن كانوا، بالإضافة لعدم تطرّقه إلىٰ رحلات المطيعي وأسفاره.

منهجية تحقيق الكتاب

يتضمّن المنهج المتّبع في تحقيق هذا الكتاب النقاط التالية:

١ ـ الاعتماد في تحقيق الكتاب على النسخة التي أرسلها المؤلّف المحترم إلى المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وهي بخطّ يده.

٢ ـ القيام بعملية تقويم النصّ، والإخراج الفنّي له، وتصحيح الأخطاء إن وجدت، وإصلاح ما يلزم.

٣ ـ متابعة مراحل الطبع والمقابلة بكلّ تداعياتها.

٤ ـ توثيق الموارد القرآنية واللغوية والحديثية والتاريخية والسياسية والاجتماعية وغيرها، ممّا جاء في الكتاب.

٥ ـ ترجمة الأعلام الواردة أسماؤهم في ثنايا الكتاب، بحيث يتسنّىٰ للقارئ اللبيب الإحاطة بأخبارهم قدر الإمكان، والاطّلاع على أحوالهم وما قدّموه من آثار.

٦ ـ التقديم بدراسة مختصرة حول موضوع الكتاب العامّ ـ أي: «روّاد التقريب» ـ وحول مؤلّف نفس هذا الكتاب.

٧ ـ كتابة بعض الاستدراكات التي تتعلّق بسيرة المترجم له والتي لم يتسنّ للمؤلّف المحترم إيرادها في بحثه هذا، حيث لاح لي ضرورة الاهتمام بهذا الجانب المهمّ، وبالتالي يمكن أن تساهم هذه الاستداركات في زيادة اطّلاع القارئ على

ملابسات حياة الشخصية المترجم لها.

٨ ـ القيام بفهرسة محتوىٰ الكتاب والمصادر.

٩ ـ نقل التعليقات والتوثيقات التي أوردها المؤلّف نفسه كما هي، والتعليم عليها بكلمة «المؤلّف»؛ تمييزاً لها عن تعليقات وتوثيقات المحقّق، ومراجعة أغلبها، وتوثيقها بهذه العلامة [ ].

كلمة أخيرة

وأخيراً أودّ أن أتقدّم بجزيل الشكر والتقدير إلى المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وأخصّ بالذكر سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ علي أصغر الأُوحدي (حفظه الله ورعاه) المعاون الثقافي للمجمع على اقتراحه تحقيق هذا الكتاب ومساندته لي في جميع مراحل العمل الإدارية، سائلاً المولىٰ القدير أن يوفّق الجميع لما فيه مرضاته وغفرانه تعالىٰ، وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين وأهل بيته الطاهرين وصحبه المنتجبين ومن تابعهم بإحسان إلى قيام يوم الدين.

محمّد جاسم الساعدي

قم المقدّسة

١٠ / جمادى الأُولى / ١٤٣٠ هـ

الموافق ٥ / ٥ / ٢٠٠٩ م

بسم الله الرحمٰن الرحيم

مقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد بن عبدالله وعلى آله وصحابته أجمعين، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

وبعد: فإنّ العالم الإسلامي تعرّض ـ [وذلك] بعد تدمير بغداد سنة ٦٥٦ هـ[١] والقضاء على الحملات الصليبية الباغية وهمجية التتار والمغول الحاقدة ـ لحياة طابعها الركود والتخلّف وإن عرف بعض المجدّدين والمجتهدين، ولكن تيّار التقليد والجمود كان أعتىٰ من جهاد هؤلاء، فلم يكن لما دعوا إليه تأثير فاعل في عصرهم، وظلّ العالم الإسلامي يغطّ في نوم عميق، واضطراب في حياته السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وما تمخّض عن هذا كلّه من هبوط الحياة العلمية في كلّ الفروع النظرية والعملية، وقد ارتدّ هذا الوضع على العامّة بالضنك[٢] والمحن، فالأُمراء يتنازعون السلطة فيما بينهم، وكلّ يسعى للانفراد بها، فقاست الشعوب ما قاست من شظف[٣] العيش، وجور الحكّام، وشيوع الجرائم.

وكان الغرب في الوقت الذي تراجع فيه المدّ الحضاري الإسلامي قد أخذ طريقه نحو التطوير والتقدّم العلمي والصناعي، وكان يتطلّع إلى غزو العالم الإسلامي

---

(١) للاطّلاع على جزئيات ذلك راجع: الحوادث الجامعة لابن الفوطي: ٢٣١ ـ ٢٤٠، مرآة الجنان ٤: ١٠٥ ـ ١٠٦، البداية والنهاية ١٣: ٢٠٠ ـ ٢٠٤، سمط النجوم العوالي ٣: ٥١٨ ـ ٥٣٧.

(٢) الضنك: الضيق والشدّة. (تهذيب اللغة ١٠: ٢٥).

(٣) الشّظَف: شدّة العيش وضيقه. (المصباح المنير: ٣١٣).

ونهب ثرواته والثأر لمّا أنزله به صلاح الدين[١] في حطّين[٢]، غير أنّه كان يخشى قوّة الخلافة العثمانية التي بسطت نفوذها في دول البلقان وغيرها، فلمّا أتى على هذه الخلافة حين من الدهر فقدت فيه أسباب قوّتها وهيبتها سعى الغرب لاقتسام تركة الرجل المريض[٣]، وكانت حملة نابليون[٤] على مصر طليعة التحرّك الغربي

---

(١) أبو المظفّر صلاح الدين يوسف بن أيّوب بن شاذي الأيّوبي المعروف بالملك الناصر: من أشهر قادة الإسلام وأُمرائه. كان أصله كردياً. ولد سنة ٥٣٢ هـ في تكريت، ونشأ في دمشق، وتفقّه وتأدّب، وروى الحديث بها وبمصر، وحدّث في القدس. دخل مع أبيه وعمّه (شيركوه) في خدمة نور الدين محمود بن زنكي (صاحب دمشق وحلب والموصل)، وحدثت بعض المعارك التي أثبت فيها صلاح الدين شجاعته وحكمته العسكرية. فاختاره العاضد الفاطمي للوزارة وقيادة الجيوش، ثمّ استقلّ بملك مصر، وخطب للعبّاسيّين. ولمّا مات نور الدين اضطربت الأُمور، فدعي صلاح الدين لضبط تلك الأُمور، فاستولى على دمشق وبعلبك وحمص وحماة وحلب، ثمّ انصرف للدفاع عن بلاد الشام ضدّ هجمات الصليبيّين، فكان أعظم انتصار له على الإفرنج في فلسطين والساحل الشامي، فاستردّ طبرية وعكّا ويافا وبيروت والقدس، ثمّ عقد الصلح مع كبير الإفرنج «ريتشارد» قلب الأسد ملك «إنجلترا». فمكث في دمشق حتّى توفّي سنة ٥٨٩ هـ، مخلّفاً ١٧ ذكراً وأُنثى واحدة. (الكامل في التاريخ ٩: ٢٢٥ ـ ٢٢٦، السلوك للمقريزي ١: ١٤٨ ـ ٢٢٨، الدارس في تاريخ المدارس ٢: ١٧٨ ـ ١٨٨، شذرات الذهب ٤: ٢٩٨ ـ ٣٠٠).

(٢) حطّين: إحدى قرى فلسطين، تقع غربي بحيرة طبرية، وفيها جرت المعركة الشهيرة بين صلاح الدين الأيّوبي المتوفّى سنة ٥٨٩ هـ والصليبيّين، فانتصر عليهم صلاح الدين، وهزمهم، وقتل قائدهم: «أرناط». وذلك في سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م. وكانت تلك المعركة تمهيداً لتحرير بلاد الشام ومن ثمّ القدس من دنس هؤلاء. (أهمّ الأحداث التاريخية: ١٣٩، مفردات من الحضارة الإسلامية: ٢١٧).

(٣) اصطلاح خاصّ في عالم السياسة، يطلق على السلطنة العثمانية ونهايتها بعد فشلها في الحرب العالمية الأُولى. فكانت اتّفاقية «سايكس ـ بيكو» سنة ١٩١٦ إطاراً لاقتسام أملاك الدولة العثمانية في آسيا بموجب معاهدة «سيفر». وذلك عندما انتصر الحلفاء سنة ١٩١٨م. (موسوعة السياسة ٢: ٨١٤ و٣: ٢٢٠).

(٤) نابليون بونابرت (نابليون الأوّل): أُمبراطور فرنسا، وأحد أعاظم القادة العسكريّين ←

للهيمنة على هذا العالم، ولم يكتب لهذه الحملة البقاء في أرض وادي النيل إلّا نحو ثلاث سنوات؛ بسبب تعارض الأطماع الأُوروبّية، وبسالة المقاومة المصرية.

وآل حكم مصر بعد ذلك إلى رجل آمن بأنّ سرّ قوّة الأُمم الغربية إنّما هو العلم، وبأنّ في المصريّين استعداداً للرقي والنهوض، فصمّم محمّد علي[1] على بناء جيش قوي يذود به عن ملكه، وأنشأ المدارس المختلفة لإعداد جيل يساعد على النهوض بمختلف مرافق البلاد، ولم يكتف بهذا وإنّما أرسل بعثات إلى أُوروبّا للتخصّص في الدراسات العلمية، وإجادة اللغات الأجنبية، حتّى يمكن ترجمة علوم الغرب إلى اللغة العربية، ومن ثمّ أنشأ مطبعة، تطبع الكتب المترجمة، وبعض كتب التراث، كما أنشأ أُولى الصحف الرسمية في الشرق العربي، وهي

← في التاريخ. ولد سنة ١٧٦٩ م في جزيرة «كورسيكا» الإيطالية، وتدرّج في المناصب حتّى غدا أمبراطوراً لفرنسا سنة ١٨٠٤ م. وقد غزا مصر سنة ١٧٩٨ م، ودوّخ القارّة الخضراء بفتوحاته، وحاول احتلال روسيا، لكنّه ارتدّ عنها خائباً سنة ١٨١٢ م. تنازل عن العرش عام ١٨١٤ م، فنفي إلى جزيرة «إلبا». وقد حاول استعادة عرشه خلال فترة «الأيّام المائة». لكنّه هزم هزيمة حاسمة في معركة «واترلو» عام ١٨١٥ م، فنفاه الإنجليز إلى جزيرة «سانت هيلانة»، وقضى هناك ـ قيل: مسموماً ـ سنة ١٨٢١ م. (موسوعة السياسة ٦: ٥٣٨ ـ ٥٣٩، موسوعة المورد ٧: ١٠٠).

(١) محمّد علي باشا ابن إبرهيم أغا ابن علي المعروف بمحمّد علي الكبير: مؤسّس آخر دولة ملكية في مصر. ولد في «قولة» باليونان سنة ١٧٧٠م من أصل ألباني، واحترف تجارة الدخان فأثرى، وكان أُمّياً تعلّم القراءة في الخامسة والأربعين من عمره، وقدم مصر وكيلاً لرئيس قوّة من المتطوّعة جهّزتها «قولة»، تتألّف من ٣٠٠ رجلاً نجدةً لردّ غزاة الفرنسيّين عن مصر، فشهد حرب أبي قير سنة ١٢١٤ هـ، وجامل المماليك فنصروه مع الألبانيّين وأتراك قولة، ومازال حتّى كان والي مصر سنة ١٢٢٠ هـ في حديث طويل، فعني بتنظيم حكومتها، وقتل المماليك غدراً، وأنشأ السفن في النيل، وضمّ معظم السودان الشرقي إلى مصر، وأرسل البعثات لتلقّي العلم في أُوروبّا، واعتزل الأُمور لابنه إبراهيم باشا، وذلك في سنة ١٨٤٨ م، وأقام في قصر رأس التين بالإسكندرية مريضاً، إلى أن توفّي بها، ودفن بالقاهرة سنة ١٨٤٩ م. (الأعلام للزركلي ٦: ٢٩٨ ـ ٢٩٩).

«الوقائع المصرية»[١].

وهذه النهضة التي عرفتها مصر في عهد محمّد علي الذي استمرّ نحو أربعين عاما (١٢٢٠ هـ إلى ١٢٦٤ هـ) قد حلّ بها الوهن والتخلّف في عهد عبّاس بن طوسون بن محمّد علي، والذي يعرف بعبّاس الأوّل[٢]، وقد حكم مصر بعد عمّه إبراهيم باشا[٣] نحو ست سنوات (١٢٦٤ هـ إلى ١٢٧٠ هـ)، فقد أغلق كثيراً من

---

(١) صحيفة مصرية رسمية، صدرت بالقاهرة في عهد محمّد علي بتاريخ ٣ / كانون الأوّل / ١٨٢٨ م باللغتين العربية والتركية، ثمّ أُلغي القسم التركي. كانت تنشر مقالات ممّا يؤيّد الحاكم ويدعو لسياسته وأخباراً عن العاصمة والأقاليم وقرارات الحاكم وأوامره. وكانت توزّع على العلماء وكبار رجال الدولة والجيش والطلبة بمصر وأُوروبّا. وفي سنة ١٨٤١ م رأس تحريرها رفاعة رافع الطهطاوي، فأدخل فيها الأخبار الخارجية السياسية والاقتصادية والمقالات الأدبية. وقد تعاقب على تحريرها: عبدالرحمان رشدي، وأحمد صبري، وأحمد عبدالرحيم، والشيخ محمّد عبده، وعلي جودة، والشيخ عبدالكريم سلمان، وسعد زغلول، وإبراهيم الهلباوي. (موسوعة السياسة ٧: ٣٠١).

(٢) عبّاس بن طوسون بن محمّد علي باشا، ثالث الولاة من أُسرة محمّد علي بمصر. ولد بجدّة سنة ١٨١٣ م، ونشأ بمصر، وتولّى الحكم بعد وفاة عمّه إبراهيم، وكان شديد الكره للأُوربيّين حذراً من دسائسهم. أنجد العثمانيّين بخمسة عشر ألف مقاتل في حربهم مع الروس، وفي أيّامه أُنشئت المدرسة الحربية بالقاهرة، وتمّ نفي السحرة والدجّالين إلى السودان. يؤخذ عليه أنّه أغلق كثيراً من المدارس، وأهمل المصانع وغيرها. قُتل بأمر عمّته نازلي بنت محمّد علي أو بأمر السلطان عبدالمجيد سنة ١٨٥٤ م، ودفن في مصر. (الأعلام للزركلي ٣: ٢٦١).

(٣) إبراهيم باشا ابن محمّد علي: أحد ولاة مصر في القرن التاسع عشر الميلادي. ولد في «نصرتلي» باليونان سنة ١٧٩٠ م / ١٢٠٤ هـ، وقدم مصر مع طوسون بن محمّد علي سنة ١٢٢٠ هـ، فتعلّم بها، وأرسله أبوه سنة ١٢٣١ هـ في حملة إلى الحجاز ونجد، ثمّ جعله قائداً للحملة المصرية إلى سوريا سنة ١٢٤٧ هـ، فانقادت له بلاد الشام، حتّى خرج منها سنة ١٢٥٦ هـ مجبراً، فعاد إلى مصر، وتنازل له أبوه عن العرش سنة ١٢٦٤ هـ، وورد «الفرمان» العثماني بتوليته، فزار الآستانة، ومرض بعد إيّابه، فتوفّي في مصر سنة ١٨٤٩م. (الأعلام للزركلي ١: ٧٠).

المدارس والمعاهد، وأهمل المصانع وآلات دار الصناعة، حتّى عرضت السفن الحربية وأسلحتها للبيع!

وتولّى حكم مصر بعد عبّاس الأوّل الخديو سعيد بن محمّد علي[١] الذي اقتفى نهج ابن أخيه في غلق المدارس، ولكن كان من حسناته منع الاتّجار بالرقيق، وحرّر الموجودين منهم بمصر، وقد امتدّ حكمه نحو تسع سنوات (١٢٧٠ هـ إلى ١٢٧٩ هـ).

أمّا إسماعيل[٢] الذي حكم بعد سعيد فقد ترسّم خُطىٰ جدّه محمّد علي، فأعاد فتح المدارس المغلقة، وأنشأ غيرها، كما أنشأ حكومة دستورية، ولكنّه كان مسرفاً في الإنفاق وبخاصّة في فصل افتتاح القناة، ممّا أدّى إلى اضطراب ميزانية الدولة وتضاعف الديون، وقد رضى طوعاً لهذا بالمراقبة الأجنبية للشؤون المالية في مصر، ونكبت البلاد بإنشاء المحاكم المختلطة، ثمّ طلبت إنجلترا وفرنسا من الآستانة عزله، فعزل سنة ١٢٩٦ هـ.

وتولّى بعد عزل إسماعيل أكبر أبنائه محمّد توفيق[٣] حكم مصر، ومع ما قام

---

(١) سعيد باشا ابن محمّد علي: أحد ولاة مصر في القرن التاسع عشر الميلادي. حكم مصر في الفترة الممتدّة بين عامي ١٨٥٤ م و١٨٦٣ م. ووقّع اتّفاقية مع شركة فرنسية لشقّ قناة عبر برزخ السويس تقوم بربط البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسّط؛ لكي تقصّر المسافة بين قارّتي آسيا وأوروبّا. وبدأ حفر القناة بالفعل عام ١٨٥٩ م. خلفه على حكم مصر الخديوي إسماعيل. (الموسوعة العربية العالمية ٢٣: ٣٣٢).

(٢) إسماعيل باشا حفيد محمّد علي باشا: خديوي مصر. ولد في سنة ١٨٣٠ م. وتولّى حكم مصر بعد سعيد باشا سنة ١٨٦٣ م إلى سنة ١٨٧٩ م. وقد تمّ في عهده فتح قناة السويس عام ١٨٦٩ م. توفّي سنة ١٨٩٥ م. (موسوعة المورد ٥: ٢١١).

(٣) محمّد توفيق بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمّد علي باشا: أحد الخديويّين بمصر. ولد سنة ١٨٥٢ م بالقاهرة، وتعلّم بها. وأحسن العربية والتركية والإنجليزية والفرنسية، وتقلّد ←

به من إصلاحات في القضاء والحياة النيابية، وقف من دعاة الإصلاح موقفاً مناوئاً، ممّا أدّى إلى تذمّر القوى الوطنية، وقاد عرابي[١] حركة في الجيش لمطالبة الخديو توفيق بالإصلاح، وإنهاء التدخّل الأجنبي في شؤون البلاد، وانتهزت بريطانيا الفرصة، فجيّشت قوّاتها لمناصرة الخديو ولاحتلال مصر. ولم تنجح ثورة عرابي في التصدّي للغزاة، لا لضعف في الجيش المصري، ولكن للخيانة، وتوقّفت بالاحتلال كلّ المشروعات العمرانية، كما تقلّصت المشروعات التعليمية، وخضعت لسياسة المحتلّ الذي أراد للتعليم أن يكون ذريعة للتغريب لا للتطوير والتجديد والنهضة.

وتوفّي توفيق سنة ١٣٠٩ هـ / ١٨٩٢ م، فخلّفه ابنه عبّاس حلمي[٢]

← نظارتي الداخلية والأشغال، فرئاسة مجلس النظّار. وعندما عُزل أبوه عن الخديوية تولّاها سنة ١٨٧٩ م ببرقية من الآستانة، تبعها على الأثر «فرمان» سلطاني بولايته. وفي أيّامه تمّ إنشاء نظام الشورى والمحاكم الأهلية. وقد تكاثرت في عهده الأحداث، فصبر لها. توفّي بالقاهرة سنة ١٨٩٢ م. (الأعلام للزركلي ٦: ٦٥).

(١) أحمد عرابي: ضابط وسياسي مصري، زعيم الثورة العرابية التي قامت سنة ١٨٨١م ضدّ النفوذ الأجنبي من أجل «مصر للمصريّين». ولد في محافظة الشرقية سنة ١٨٤١م، وتعلّم مبادئ العلوم، والتحق بالأزهر مدّة أربع سنوات، ودخل الجندية، فتدرّج إلى رتبة لواء بعد عدّة مشاكسات له من قبل الضبّاط الجراكسة. عادى الخديوي توفيق باشا مطالباً بالحقوق الوطنية، فأذعن له الأخير. عيّن وزيراً للحربية في وزارة محمود سامي البارودي، وما لبث أن هزم بمعركة التلّ الكبير سنة ١٨٨٢ م من قبل الإنجليز، وحكم عليه بالنفي إلى «سيلان»، وعاد إلى مصر سنة ١٩٠١ م، حيث قضى بقية حياته حتّى وفاته سنة ١٩١١ م، له مذكّرات بعنوان «كشف الستار من سرّ الأسرار». (موسوعة السياسة ١: ١٠٠).

(٢) عبّاس حلمي الثاني بن توفيق بن إسماعيل: أحد من حكموا مصر من أُسرة محمّد علي باشا. ولد بالقاهرة سنة ١٢٩١ هـ، وتعلّم بمدرسة عابدين، وولّي الخديوية بعد وفاة أبيه سنة ١٣٠٩ هـ بإرادة سلطانية من الآستانة. رحل إلى الآستانة مصطافاً. فنشبت الحرب العالمية ←

المعروف بعبّاس حلمي الثاني، وقد حاول أن يستقطب الطاقات الوطنية ليحدّ من سلطان الاحتلال، ولكنّه لم ينجح في محاولاته، فقد كان ينقصه الكتمان والحزم، ولمّا سافر إلى الآستانة سنة ١٩١٤م، ونشبت الحرب العالمية الأُولى، وتأخّرت عودته، اتّخذت بريطانيا تأخّره وسيلة لخلعه وتعيين غيره.

ويتّضح من هذه اللمحات التاريخية عن مصر منذ عصر محمّد علي إلى ثورة سنة ١٩١٩م أنّ الحياة الثقافية والتعليمية كانت تعاني من المدّ والجزر، وإذا كانت هذه الفترة التي تبلغ نحو قرن قد عرفت عدداً من زعماء الإصلاح والعمل الوطني فقد هيمنت عليها روح الركود والجمود، وبخاصّة بعد أن بسطت بريطانيا حمايتها على مصر، وحاربت دعاة الإصلاح ومقاومة الاحتلال بشتّى الوسائل المشروعة وغير المشروعة.

أمّا الأزهر فقد كان في تلك المرحلة التاريخية يعيش حياة طابعها التقليد في مناهجه ومقرّراته، وباءت جهود الشيخ محمّد عبده[1] في إصلاح الأزهر، وتطوير

← الأُولى، فتأخّرت عودته، فاتّخذت بريطانيا تأخّره ذريعة لخلعه، وبسطت حمايتها على مصر. واستقرّ عبّاس في «لوزان»، إلى أن ولّي أحمد فؤاد، فاتّصلت بينهما الرسل، ونزل له عبّاس عمّا كان له من حقّ في العرش، وقضىٰ بقية حياته مغترباً، وتوفّي بسويسرا، ودفن بالقاهرة سنة ١٣٦٣ هـ. كان فيه دهاء ينقصه الكتمان والحزم، وفيه بخل إلى جانب سرف في الملذّات. (الأعلام للزركلي ٣: ٢٦٠ ـ ٢٦١).

(١) محمّد عبده بن حسين (حسن) خير الله: الإمام الشهير، وأحد أعلام الفكر والإصلاح. ولد في محافظة الغربية سنة ١٨٤٩ م، ونشأ في البحيرة، وتعلّم بالجامع الأحمدي ثمّ بالأزهر، وتصوّف وتفلسف، وعمل في التعليم، وكتب في الصحف، وتولّى تحرير جريدة «الوقائع المصرية»، وأجاد اللغة الفرنسية بعد الأربعين من عمره، وشارك في الثورة العرابية، فسجن ثمّ نفي إلى بلاد الشام سنة ١٨٨١ م، وسافر إلى باريس، فأصدر مع صديقه وأُستاذه السيّد جمال الدين الأفغاني جريدة «العروة الوثقىٰ»، وعاد إلى بيروت، فاشتغل ←

مناهجه بالبوار؛ لأنّ الخديو لم يكن يريد للأزهر تطويراً، وناصره في هذا الجامدون والمقلّدون من الشيوخ، وما أكثرهم!

وقد عاش الشيخ محمّد بخيت المطيعي في الثلث الأخير من القرن الثالث عشر الهجري، والنصف الأوّل من القرن الرابع عشر، وكانت دراسته في الأزهر طوعاً للمنهج التقليدي، فتأثّر بهذا في الطور الأوّل من حياته العلمية، ثمّ أخذ بعد ذلك بنصيب وافر من الثقافة والأدب، ومن ثمّ كان له دوره في السياسة ومقاومة رغبات المحتلّ، كما كان له الأثر في فتاويه ومؤلّفاته التي جابه بها الفكر الاستشراقي ومن سار على دربه.

وأطمع فيما يلي أن أكشف عن معالم شخصية الشيخ، وعطائه العلمي، والتعريف بمؤلّفاته، وبيان منزلته بين علماء عصره. وطوعاً لهذا يتركّب منهج هذه الدراسة من أربعة مباحث وخاتمة.

تحدّث المبحث الأوّل عن نشأة الشيخ وتطوّر حياته. وتناول المبحث الثاني الكلام عن أهمّ ملامح شخصيّته. ودرس المبحث الثالث ثقافته ومنزلته بين علماء عصره مع الإشارة إلى دوره في التقريب بين المذاهب. وعرّف المبحث الرابع بإجمال أهمّ مؤلّفات الشيخ، مع بيان منهجه في الإفتاء وكثرة فتاويه. ولكنّها لم تجمع وتطبع في كتاب خاصّ. وسجّلت الخاتمة أهمّ نتائج الدراسة.

← بالتدريس والتأليف، ثمّ سمح له بدخول مصر، فعاد إليها سنة ١٨٨٨ م، وتولّى منصب القضاء، فمستشارية محكمة الاستئناف، فإفتاء الديار المصرية، واستمرّ إلى أن توفّي سنة ١٩٠٥ م بالإسكندرية، ودفن في القاهرة. من مصنّفاته: تفسير القرآن الكريم، رسالة التوحيد، الردّ على هانوتو، رسالة الواردات، شرح نهج البلاغة، الإسلام والنصرانية، مع العلم والمدنية. (الأعلام للزركلي ٦: ٢٥٢ ـ ٢٥٣، موسوعة السياسة ٦: ٩١ ـ ٩٢).

وبعض التوصيات.

رحم الله الشيخ محمّد بخيت المطيعي الفـقيه الأُصـولي والمـفتي المـجدّد، وجزاه خير الجزاء في دار السلام.

أ. د. محمّد الدسوقي

أُستاذ بكلّية دار العلوم / جامعة القاهرة

القاهرة في ١٢ ربيع الأوّل سنة ١٤٣٠ هـ الموافق ٩ / ٣ / ٢٠٠٩ م

المبحث الأوّل

نشأة الشيخ وتطوّر حياته

ولد الشيخ محمّد بخيت[1] المطيعي[2] ببلدة «المطيعة» من أعمال مديرية أسيوط[3] سنة ١٢٧١ هـ[4] ـ ١٨٥٦م. وفي الرابعة من عمره بدأ تعلّم القراءة والكتابة في كتّاب بلدته، وحفظ القرآن الكريم قراءةً وتجويداً ولمّا يبلغ العاشرة من عمره، ثمّ التحق طالباً بالأزهر في سنة ١٢٨٢ هـ، وأخذ في دراسة المذهب المالكي.

ولعلّ هذا يرجع إلى أنّ هذا المذهب كان السائد في صعيد مصر، ولعلّ القرية التي نشأ فيها كان أغلب أهلها مالكية، وربّما سمع من شيخ الكتّاب أو إمام المسجد أو غيرهما من الذين لهم بعض الدراية بالفقه طرفاً من حياة الإمام مالك أو تلاميذه وأهمّ ما أُلف في المذهب من المتون والشروح، فلا غرو أن أقبل فور دخول الأزهر على دراسة مذهب إمام دار الهجرة، وإمام مدرسة الحديث، ومن ثمّ حفظ «مختصر خليل»[5]، وهو ممّن اعتمد عليه المتأخّرون في المذهب، ولذلك شرحه عدد من

---

(١) ابن حسين. (الأعلام للزركلي ٦: ٥٠، معجم المفسّرين ٢: ٤٩٨).

(٢) راجع ترجمة الشيخ المطيعي في: كنز الجوهر: ١٧٢ ـ ١٧٤، معجم المطبوعات العربية ١: ٥٣٨ ـ ٥٣٩، الفكر السامي ٢: ٢٠١ ـ ٢٠٢، الفتح المبين ٣: ١٨١ ـ ١٨٧، الأعلام للزركلي ٦: ٥٠، معجم المؤلّفين ٩: ٩٨ ـ ٩٩، الأزهر في ألف عام ٢: ٤٦ ـ ٤٨، معجم الأُصوليين: ٤٣٥، معجم المفسّرين ٢: ٤٩٨ ـ ٤٩٩، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٦٢٤ ـ ٦٢٦، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٩١٧ ـ ٩١٨.

(٣) أسيوط: من المدن المصرية القديمة، تقع على الضفّة الغربية لنهر النيل، وهي من أهمّ المراكز الثقافية والتجارية والصناعية في مصر، كما أنّها مسقط رأس علماء كثيرين، منهم جلال الدين عبدالرحمان السيوطي الشافعي. (المنجد في الأعلام: ٤٧).

(٤) وبالضبط في العاشر من محرّم من السنة أعلاه. (الأزهر في ألف عام ٢: ٤٧).

(٥) يعرف صاحب هذا المختصر بالشيخ خليل، وهو: ابن إسحاق بن موسى ضياء الدين ←

فقهاء المالكية[١].

وفي يوم قال له أحد زملائه: «ماذا تريد أن تعمل بعد التخرّج في الأزهر»؟ فقال: «أُريد أن أعمل قاضياً»، فردّ عليه زميله قائلاً: «إنّ دراسة المذهب الحنفي شرط للعمل في القضاء»[٢]، فترك الطالب النجيب دراسة المذهب المالكي، وعكف على دراسة المذهب الحنفي. ويذكر أنّه كان يحضر شرح كتاب «مراقي الفلاح»[٣] على شيخين، ولمّا قيل له: لماذا تفعل ذلك؟ قال: «إنّ لكلّ شيخ مذاقاً خاصّاً في الشرح»[٤].

← الجندي، من أهل مصر، كان يلبس زي الجند، وولّي الإفتاء على مذهب مالك، وقد ترجم مختصره إلى الفرنسية. توفّي سنة ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م. (انظر الأعلام للزركلي [٢: ٣١٥]). (المؤلّف).

(١) كمحمّد بن عبدالله بن علي الخرشي المتوفّىٰ سنة ١١٠١ هـ في «الشرح الكبير على متن خليل»، ومحمّد بن أحمد بن محمّد عُليش المتوفّىٰ سنة ١٢٩٩ هـ في «منح الجليل في شرح مختصر خليل»، ومحمّد بن محمّد بن عبدالرحمان الحطّاب المتوفّىٰ سنة ٩٥٤ هـ في «مواهب الجليل بشرح مختصر خليل»، ومحمّد بن يوسف العبدري المواق المتوفّىٰ سنة ٨٩٧ هـ في «التاج والإكليل في شرح مختصر العلّامة خليل»، وغيرهم من فقهاء المالكية.

(٢) لأنّ المذهب الحنفي هو المذهب الرسمي للخلافة العثمانية، وكان مطبّقاً في الولايات التابعة لها، ومنها مصر، ولهذا لا يتولّىٰ منصب القضاء الشرعي إلّا من كان حنفي المذهب. (المؤلّف).

(٣) مراقي الفلاح شرح لنور الإيضاح، وهما من تأليف الفقيه الحنفي حسن بن عمّار بن علي الشرنبلالي، نسبة إلى قرية بالمنوفية بمصر اسمها شبرى بلولة. ولد سنة ٩٩٤ هـ، وجاء به والده من هذه القرية إلى القاهرة وعمر ابنه ستّ سنوات، فنشأ بها، ودرس في الأزهر، وكان مكثراً من التأليف، وأصبح المعوّل عليه في الفتوىٰ. توفّي سنة ١٠٦٩ هـ. (انظر الأعلام للزركلي [٢: ٢٠٨]). (المؤلّف).

(٤) أخبرني بإقبال الشيخ على دراسة المذهب الحنفي بدلاً من المذهب المالكي فضيلة الأُستاذ الدكتور علي جمعة مفتي الديار المصرية. (المؤلّف).

لمحة عن نظام التعليم في الأزهر قديماً وحديثاً

كانت الدراسة في الأزهر منذ إنشائه وإلى عهد قريب أساسها نظام الحلقة، وكان هذا النظام مفتوحاً للجميع، وكانت الحلقات متفاوتة المستويات، وكان الطالب الجديد يجلس بإرشاد من سبقوه في الحلقات التي تتناسب مع مستواه الفكري واستعداده العلمي، وينقل من حلقة إلى أُخرى تبعاً لتطوّر تحصيله ورغبته في المواد التي يدرسها، ولم تكن هناك قيود ولا شروط على الطلّاب، ولكن المصلحة وحدها هي التي توجّههم.

وكان الشيخ في نظام الحلقة يجلس بجانب عمود من أعمدة الأزهر على خشبة صغيرة أو على كرسي من جريد أو خشب، والطلبة حوله على شكل حلقة بترتيب معيّن، فلكلّ طبقة مكان، فالمعيدون والممتازون من الزوّار يجلسون على يمين الشيخ ويساره، ويجلس طلّاب العلم خلف هؤلاء، وهناك مكان لمن يجب أن يسمع الدرس من الطارئين أو الذين لا يحضرون الدرس بانتظام.

والعادة أن يحرص كلّ فرد على أن يجلس قريباً من الشيخ، ولكنّه لا يتعدّى المكان الذي هو أهل له.

وإذا كان ما يلقيه الشيخ من محفوظاته أو من مذكّرات كتبها ليقرأ منها فإنّ الدرس يسمّى إملاء، وفي هذه الحالة يبطئ في الإلقاء ويملي فقرة فقرة، ويكتب الطلبة ما يمليه، ويعقّب على هذا بالشرح والتغيير والتوضيح لما غمض على الطلّاب، وهم يدوّنون هذه الشروح على هامش أوراقهم التي كتبوا فيها الأُصول.

أمّا إذا كان الدرس يلقى من كتاب يمكن الحصول عليه فقد كان المتّبع أن يحصل الطالب على نسخة منه، وأن يقرأ بنفسه الدرس وحده أو مع أحد من زملائه قبل أن يسمعه من الشيخ، ثمّ يأتي الشيخ فيمهّد بفكرة عامّة عن موضوع الدرس، ويبدأ بعدها في قراءته في الكتاب، والطلّاب يستمعون إليه ناظرين في نسخهم، ومن حين إلى آخر يقطع الشيخ القراءة ليشرح لهم لفظة صعبة، أو جملة غامضة، أو

فكرة غريبة. ويكتب الطلّاب على هامش الكتاب ما يلقيه أُستاذهم من شروح، وكان من حقّ كلّ طالب أن يسأل عمّا خفي عليه أو أشكل، وكان الشيخ يشجّع على هذا، وبخاصّة إذا كانت الأسئلة دالّة على تعمّق في البحث، ومع هذا كان الشيخ أحياناً يقوم مقام السائل، فيلقي على طلبته بضعة أسئلة؛ ليختبر فهمهم، وليجيب بنفسه على ما تعسّر عليهم الإجابة عنه.

ولم يكن انتساب الطالب إلى الأزهر مقيّداً بشرط ما، فليس هناك اختبار لحفظ القرآن الكريم، أو مدى إلمام الطالب بالقراءة والكتابة. لقد كان مختاراً في دخول الأزهر دون قيد، وكان يتابع تلقّي العلوم على شيوخه وفق رغبته، ويقيم دارساً ما شاء له أن يقيم حتّى إذا آنس من نفسه علماً كافياً وملكة يستطيع بها أن يفيد غيره استأذن شيوخه، وجلس مجلس المعلّم، ولكنّ طلّابه كانوا يمطرونه بأسئلة كثيرة، فإن استطاع أن يجيب عنها ويقنع الذين تحلّقوا حوله بأنّه متمكّن من المواد التي يدرّسها، فإنّ هذا الموقف من الطلّاب يعدّ بمثابة امتحان وإجازة بالتدريس لمن يرغب في التصدّي له. أمّا إذا لم يجد الطلّاب في المدرّس الجديد كفاية للإفادة منه والإجابة عمّا سئل عنه، فإنّهم ينفضّون عن حلقته، ويعود هذا المدرّس إلى حيث كان طالباً يتلقّى العلم في مجالس الشيوخ.

فالامتحانات والإجازات كانت في الفترة الأُولىٰ في تاريخ الأزهر منحة من التلاميذ لأُستاذهم، أو شهادة منهم إليه.

ولمّا كان كثير من طلبة الأزهر من الأرياف، وهؤلاء يعودون إلى قراهم بعد أن يقضوا عدّة أعوام في الدراسة، ويجلسوا في بلادهم مجالس المعلّمين والمفتين، وليس في هذه البلاد تلاميذ يختبرون المدرّس الجديد، اقتضى الأمر أن يحصل كلّ من يرجع إلى قريته على إجازة من شيوخه تشهد له بالكفاءة في التعليم والإفتاء.

وقد استمرّ هذا النوع من الإجازات معمولاً به في الأزهر لمدّة قرون[1].

---

(١) انظر مجلّة «نور الإسلام» المجلّد الرابع، ص: ٥٧. وهذه المجلّة كانت تصدرها ←

المواد التي كانت تدرّس بالأزهر قديماً

في سنة ١٨٢٨ هـ أرادت الحكومة المصرية أن تقف على العلوم التي تدرّس في الأزهر الشريف؛ لتبعث بذلك إلى لجنة خاصّة. فأفادتها المشيخة بأنّه يدرّس في الأزهر: الفقه، الأُصول، التفسير، الحديث، الدراية، التوحيد، النحو، الصرف، المعاني، البيان، البديع، متن اللغة، الوضع، العروض والقافية، الحكمة الفلسفية، التصوّف، المنطق، الحساب، الجبر والمقابلة، الفلك والهيئة.

ثمّ قالت: هذه هي العلوم المتداولة في الأزهر، يقرؤها العلماء لطلبتهم، بحسب مراتبهم، وما عداها كالهندسة والطبيعة والموسيقى والتاريخ وغيرها لمن لهم اقتدار على تناولها، إلّا أنّ المشتغل بها قليل؛ لعدم رغبة الطلبة فيها.

وقد كان من العلماء من يعرف كثيراً من العلوم العقلية والطبّية وغيرها زيادة على العلوم الدينية والعربية. وهؤلاء لا يحصون كثرة، ولا مجال للحديث عنهم[١].

قوانين إصلاح الأزهر

لم يكن للأزهر منذ إنشائه وإلى نحو مائة وأربعين عاماً خلت قوانين تنظّم الدراسة فيه، كما تنظّم الامتحانات والإجازات العلمية، حتّى تولّى الشيخ محمّد العبّاسي المهدي[٢] مشيخة الأزهر، وكان عالماً ذكيّاً مستنيراً، هاله أنّ بعض الناس

← مشيخة الأزهر. ثمّ أُطلق عليها بعد ذلك مجلّة «الأزهر». و[انظر كذلك] الأزهر.. تاريخه وتطوّره: ١٥٢، إصدار مشيخة الأزهر. (المؤلّف).

(١) انظر مجلّة «نور الإسلام»، المرجع السابق. (المؤلّف).

(٢) ولد الشيخ محمّد العبّاسي المهدي بالإسكندرية سنة ١٢٤٣ هـ / ١٨٢٧ م. وتعلّم بالقاهرة، وكان أوّل من تولّى مشيخة الأزهر من الحنفية سنة ١٢٨٧ هـ. ولمّا رفض التوقيع على عزل الخديوي توفيق في ثورة عرابي عزل عن المشيخة، وكافأه هذا الخديو بعد ذلك بإعادته ←

يدّعون العلم وهم جهّال، وأنّ بعضهم يتظاهر بطلب العلم فراراً من خدمة الجيش! وأنّ في طلّاب الأزهر أشخاصاً تزيد أعمارهم على الستّين عاماً، ومن ثمّ استصدر أوّل قانون في إصلاح الأزهر من الخديو إسماعيل سنة ١٢٨٧ هـ / ١٨٧٢م يقضي بما يلي:

١ ـ أن يكون نيل العالمية بامتحان أمام لجنة من العلماء يختارهم شيخ الأزهر.

٢ ـ أن ينقسم العلماء إلى ثلاث درجات: أُولى، وثانية، وثالثة.

٣ ـ أن يصدر بذلك قرار عال.

٤ ـ أن يمتاز أصحاب الدرجة الأُولىٰ بكسوة تشريف ينعم بها عليهم الجناب العالي.

٥ ـ إنّ العلوم التي يمتحن فيها الطلبة هي: الفقه ـ الأُصول ـ التوحيد ـ الحديث ـ التفسير ـ النحو ـ الصرف ـ المعاني ـ البيان ـ البديع ـ المنطق.

وقد أراد الشيخ المهدي بهذا القانون أن يبعد عن الأزهر العناصر التي لا تمتاز بالعلم والكفاءة. وكان هذا القانون حدثاً جديداً بالنسبة للأزهر، وقد أُلّفت لجنة من ستّة أعضاء، وعيّنت المواد التي يجب الامتحان فيها، وكانت الامتحانات شفوية، وأهمّها طريقة التعيين التي اشتهر بها الأزهر، وهي تحديد نقطة في موضوع ليعدّ الطالب عنها كلّ ما يتصل بها، ويؤدّي الامتحان أمام لجنة من الشيوخ. وظهر الامتحان التحريري بعد ذلك، وهو ما يزال معمولاً به حتّى الآن[١].

← شيخاً للأزهر. وقد استقال من المشيخة سنة ١٣٠٣ هـ؛ لأنّ الخديو عاتبه حين عرف أنّه يجتمع في بيته بعض الساسة والتجّار الذين يأخذون على الحكومة انقيادها للإنجليز. اشتهر الشيخ بالإفتاء، وأهمّ مؤلّفاته «الفتاوى المهدية» في سبعة أجزاء. توفّي سنة ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م. (الأعلام للزركلي [٧: ٧٥ ـ ٧٦]). (المؤلّف).

(١) صدرت بعد هذا القانون عدّة قوانين، آخرها القانون رقم: ١٠٣ لسنة ١٩٦١ م، وأهمّ ما ←

الشيخ بخيت طالباً في الأزهر

أومأت في مستهلّ هذا الفصل إلى أنّ الشيخ المطيعي التحق طالباً بالأزهر سنة ١٢٨٢ هـ، وقد أقبل على دراسة المذهب الحنفي فقهاً وأُصولاً؛ لأنّه وسيلته للعمل في القضاء كما كان يتمنّى، ولم يقنع بدراسة هذا المذهب، وإنّما ألمّ بسواه من المذاهب، وأضاف إلى هذا دراسة علوم التفسير والحديث والتوحيد والنحو والصرف والبلاغة والمنطق، فضلاً عن دراسة العلوم الأدبية، كما أخذ بحظّ وافر من سائر العلوم والفنون.

لقد تتلمذ على يد كبار علماء الأزهر الأفذاذ، أمثال المشايخ: الدمنهوري، والمهدي، والشربيني، والملواني، والرفاعي[1].

← جاء في هذا القانون أن أصبح الجامع الأزهر جامعة، وأُنشئت فيه كلّيات مناظرة للكلّيات في الجامعات الأُخرى. وجمعت مناهج المعاهد بين العلوم التقليدية والعلوم التي تدرّس في وزارة التربية والتعليم. كما جمعت مناهج كلّيات الشريعة بين الفقه والقانون. (انظر الأزهر.. تاريخه وتطوّره: ٢٦٥). (المؤلّف).

(١) انظر: كنز الجوهر في تاريخ الأزهر، للشيخ سليمان الحنفي: ١٧٣، وأعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، للعلّامة أحمد تيمور: ١٠٧.

والشيخ الدمنهوري هو: محمّد الدمنهوري الشافعي، من المتخصّصين في العروض والبلاغة، ينسب إلى قرية «حدين» من قرى دمنهور، توفّي سنة ١٢٨٨ هـ.

وقد سبقت ترجمة الشيخ المهدي عند الحديث عن قوانين إصلاح الأزهر.

أمّا الشيخ الشربيني فهو: عبدالرحمان بن محمّد بن أحمد: فقيه شافعي أُصولي، ولّي مشيخة الأزهر [من] سنة ١٣٢٢ هـ إلى سنة ١٣٢٤ هـ، وكان ورعاً زاهداً، لم يتزلّف لكبير. توفّي سنة ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م.

أمّا الشيخ الملواني فلم أعثر له على ترجمة.

والشيخ الرفاعي هو: أحمد بن محجوب الفيّومي الرفاعي: فقيه مالكي من النحاة. من مؤلّفاته: حاشية على شرح لامية الأفعال لابن مالك، وتقارير في البلاغة والعروض. توفّي ←

ولأنّه طالب علم منهوم كان يسعى لأخذ العلم عن غير علماء الأزهر، فقد تلقّى العلوم الفلسفية والعقلية على السيّد جمال الدين[١] الأفغاني[٢]، والشيخ

← سنة ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م.

انظر في تراجم هؤلاء إلى جانب كنز الجوهر وأعلام الفكر الإسلامي الأعلام للزركلي [٦: ١٢٢ و٣: ٣٣٤ و١: ٢٠٢ على الترتيب]. (المؤلّف).

أقول: قد سمّي الملواني ـ والذي يقول عنه مصنّف الكتاب بأنّه لم يعثر له على ترجمة ـ بالشيخ عبدالغني الملواني في «الأزهر في ألف عام» ٢: ٤٧، وسمّي بعبدالغني الحلواني في «الفتح المبين» ٣: ١٨١.

كما أنّه له أساتذة آخرين لم يذكرهم المصنّف، منهم: الشيخ عبدالرحمان البحراوي (الفكر السامي ٢: ٢٠٢)، والشيخ محمّد البسيوني (شرح إحقاق الحقّ ٣: ٣٣١)، والشيخ محمّد محمّد الإنبابي (موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٦٢٥)، والشيخ محمّد عنتر الكبير (الأزهر في ألف عام ٢: ٤٧)، والشيخ الدرستاوي (المصدر السابق ٢: ٤٧) أو الدارستاني (كما سمّي بذلك في الفتح المبين ٣: ١٨١).

(١) جمال الدين محمّد بن صفدر الحسيني الأفغاني الأسد آبادي: أحد أبرز رجال النهضة والإصلاح في العصر الحديث. ولد في أسعد آباد سنة ١٢٥٤ هـ، ونشأ بكابل، وتلقّى العلوم، فبرع فيها. سافر إلى بلدان عديدة طلباً للإصلاح والنهضة، وأنشأ مع تلميذه الشيخ محمّد عبده جريدة «العروة الوثقى» في باريس. كان عارفاً باللغات: العربية، والفارسية، والبشتو، والتركية، والسنسكريتية. وتعلّم: الإنجليزية، والفرنسية، والروسية. كان كريم الأخلاق كبير العقل، صنّف عدّة كتب، منها: تاريخ الأفغان، رسالة الردّ على الدهريّين. دسّ له السمّ في الآستانة، فقضى بها نحبه سنة ١٣١٥ هـ، ونقل رفاته بعد ذلك إلى أفغانستان سنة ١٣٦٣ هـ. (دائرة المعارف الإسلامية ٧: ٩٥ ـ ١٠١، الأعلام للزركلي ٦: ١٦٨ ـ ١٦٩، الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث: ٧٧ ـ ٨١).

(٢) قال الشيخ بخيت في مقدّمة كتابه «تنبيه العقول الإنسانية لما في آيات القرآن من العلوم الكونية والعمرانية» ردّاً على ما يقال من: أنّ الأفغاني يرافق المستشرق «رينان» في طعنه على الإسلام والمسلمين: «وأُستاذنا الأفغاني ينسب إلى صاحب هذا الدين، جدّه محمّد ﷺ، فهو أولى بالذبّ عن الدين، وقد عاشرناه منذ وطئت قدماه مصر إلى أن فارقها، ←

حسن الطويل[١].

وظلّ الطالب بخيت يتلقّى العلوم الشرعية وآلاتها من العلوم العربية وغيرها نحو عقد من السنين، وكان في هذه السنوات لا يضيّع وقتاً أو يدّخر جهداً في مراجعة ومذاكرة ما يأخذه عن شيوخه، أو يطّلع عليه من المؤلّفات والدراسات.

وممّا يروي عنه أنّه كان لا ينام في الأُسبوع إلّا يومي الخميس والجمعة، فهو يقرأ ويذاكر ليلاً ونهاراً غالباً.

ولمّا آنس من نفسه بعد عشر سنوات قضاها في الطلب القدرة على التقدّم لامتحان شهادة العالمية، وفقاً لأوّل قانون صدر لإصلاح الأزهر، سعى لهذا الامتحان، وقد شكلّت لجنة لاختباره شفوياً، فبهر هذه اللجنة بما حصّله من العلوم، وبما تمتّع به من أُفق رحب، واطّلاع واسع، وذاكرة حافظة، وفهم دقيق، ومهارة في الحوار العلمي، فقرّرت بالإجماع منحه شهادة العالمية من الدرجة الأُولىٰ، وكان ذلك في أواخر سنة ١٢٩٢ هـ، وقد أُنعم عليه بكسوة التشريف من الدرجة الثالثة مكافأة له على نبوغه وتمكّنه من العلوم التي درسها.

ولم يكن هذا النجاح المتميّز يعني لديه انتهاء مرحلة الطلب في حياته، فقد استمرّ بعد ذلك في تلقّي العلوم على شيوخه من كبار العلماء والمفكّرين.

← وأخذنا عنه كثيراً من العلوم الفلسفية وغيرها، ولم نرَ منه في هذه المدّة على طولها وكثرة اجتماعنا به أنّه ﷺ يدين بما دان به «رينان»، أو يقول ما يشتمّ منه رائحة الطعن على الإسلام والمسلمين». والمعروف أنّ الأفغاني نزل مصر سنة ١٢٨٨ هـ / ١٨٧١ م، وفارقها منفياً سنة ١٢٩٦ هـ / ١٨٧٩ م. (المؤلّف).

(١) كان الشيخ حسن الطويل أحد من تفرّد في مصر بالبراعة في المعقول والمنقول، كان مالكي المذهب. ولد في «منية شهالة» بالمنوفية سنة ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م، وتعلّم بطنطا، ثمّ بالأزهر، وكان كثير الاشتغال بأحوال المسلمين دائم الهموم لما أصابهم من التأخّر، كما كان كثير الإنكار على المبتدعة. ووصفه العلّامة أحمد تيمور بالزهد الصحيح والورع وعلوّ النفس والتأدّب بآداب الشرع. توفّي سنة ١٣١٧ هـ / ١٨٩٩ م. (انظر: أعلام الفكر الإسلامي: ٩٣، والأعلام للزركلي [٢: ١٨٣]). (المؤلّف).

الحياة العلمية للشيخ بخيت

بعد نحو ثلاث سنوات من حصوله على شهادة العالمية عهد إليه بتدريس علوم الفقه والتوحيد والمنطق في الأزهر، ولكنّه لم يستمرّ في العمل بالتدريس إلّا نحو عامين، فقد أُسند إليه القضاء الشرعي لمديرية القيلوبية، ومكث في هذه المديرية قاضياً لها نحو عامّ لينقل قاضياً لمديرية المنيا، وظلّ في هذه المديرية نحو عامين، ثمّ يعيّن قاضياً لمحافظة بور سعيد، وبعد عامين ينقل إلى قضاء محافظة السويس، ويترك هذه المحافظة بعد عامين أيضاً إلى قضاء مديرية الفيّوم، ثمّ يغادر هذه المديرية بعد أربعة أعوام إلى قضاء مديرية أسيوط، وبعد نحو عام ينقل إلى التفتيش الشرعي بنظارة الحقّانية التي أُطلق عليها بعد ذلك وزارة العدل، ولكنّه ما لبث بعد عام من عمله في التفتيش الشرعي، حتّى عيّن قاضياً لمحكمة الإسكندرية ورئيساً لمجلسها الشرعي، ولم يمكث في عمله بالإسكندرية إلّا نحو ثلاثة أعوام، فقد عيّن عضواً أوّل بمحكمة مصر الشرعية ورئيساً لمجلسه العلمي في سنة ١٣١٤هـ، وفي سنة ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧م عيّن العضو الأوّل بمحكمة مصر الشرعية العليا بعد التشكيل الجديد للمحاكم الشرعية بمقتضى لائحة سنة ١٨٩٧م، وفي هذه الأثناء ناب عن الشيخ عبدالله جمال الدين أفندي[1] قاضي مصر ستّة أشهر أيّام

---

(١) عبدالله جمال الدين ابن حسن شمس الدين ابن محمّد هدايت الرومي القسطنطيني المعروف بداماد بركة زاده أو ركن زاده: أحد أشهر قضاة العثمانيين. ولد سنة ١٢٦٠ هـ في مدينة «جسرار كنه»، ودرس علوم الدين والشريعة على بعض العلماء، ونال شهادة العالمية، ودخل في خدمة الحكومة. وفي سنة ١٢٩٤ هـ عيّن قاضياً لبيروت، فمفتشاً في سوريا سنة ١٢٩٦ هـ، ثمّ عاد لقضاء بيروت سنة ١٢٩٨ هـ، وقضى بها مدّة، ثمّ استقال لمرض ألمّ بزوجته، فسافر إلى إسطنبول. وفي سنة ١٣٠٢ هـ تولّى مشيخة الإسلام في «روم إيلي» الشرقية، ومكث بها حتّى تعيّن لقضاء مصر سنة ١٣٠٨ هـ، ونال رتبة قاضي عسكر أناضول والنيشان المجيدي الأوّل، وتوفّي في مصر سنة ١٣١٨ هـ، ودفن في قرافة الإمام الشافعي. ←

مرضه، إلى أن حضر خلفه القاضي التركي يحيى أفندي[١].

وفي أواخر سنة ١٩٠٥ م فصل من عمله في الحكومة، وذلك أنّ الشيخ أصدر حكماً في قضية تتعلّق بمحاسبة نظّار الأوقاف، وبعضهم يمتّ إلى ذوي الأمر بأوثق الصلات، ولكن وزارة الحقّانية أبطأت في تنفيذ الحكم، فكتب الشيخ إلى بطرس غالي[٢] ناظر الحقّانية يعلمه أنّ السلطة التنفيذية إذا لم تقم بتنفيذ الحكم فإنّه لن يصدر حكماً ما فيما سيعرض عليه من القضايا، وسيدعو زملاءه إلى التوقّف حتّى يتمّ التنفيذ الفوري. وإزاء هذا الإصرار على محاسبة نظّار الأوقاف أيّاً كان مركزهم لم يصغ الشيخ إلى رجاء راج أو شفاعة شافع، [فـ] لم تجد الحكومة بدّاً من إقالته مختلقة عللاً لا أصل لها، وظلّ خارج الوظيفة مع كفاءته، ولزم بيته من سنة ١٩٠٥ م إلى سنة ١٩٠٧ م.

وفي هذه الفترة التي لزم فيها بيته جاء إليه مدير شركة أجنبية كبيرة يستعين به لدى القاضي يحيى أفندي، لإجازة استبدال أعيان وقف للشركة، وجهة الوقف فيها مصلحة على أن تعطيه الشركة في نظير تعبه في هذه الشفاعة سهماً ما من سهومها يساوي ١٥ ألف جنيه مصري، فقال لمدير الشركة: «هل كنت تعطيني شيئاً

← من مؤلّفاته: الاحتجاب في تستّر النسوان، السياسة الشرعية في حقوق الراعي وسعادة الرعية. (هدية العارفين ١: ٤٩٢، معجم المطبوعات العربية ٢: ١٢٩٦ ـ ١٢٩٧).

(١) انظر ترجمة الشيخ المطيعي في مقدّمة الجزء الأوّل من نهاية السؤل في شرح منهاج الأُصول، ط السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٣ هـ. (المؤلّف).

(٢) بطرس بن غالي نيروز: وزير مصري، من الأقباط الأرثوذكس. ولد بالميمون من قرئ بني سويف سنة ١٨٤٦ م، وتعلّم بمصر وأُوروبّا، وحذق بضع لغات، وتقلّب في المناصب، وولّي نظارة المالية، فالخارجية، فرئاسة مجلس النظّار. ونقم عليه الوطنيّون المصريّون إمضاءه اتّفاقية السودان، ورئاسته لمحكمة دنشواي، وإعادته قانون المطبوعات، ومقاومته الجمعية العمومية، ورضاه بمشروع قناة السويس. فانبرئ له إبراهيم ناصف الورداني (شابّ من أقباط مصر)، فأرداه قتيلاً. وقُتل به سنة ١٩١٠ م. (الأعلام للزركلي ٢: ٥٩).

من ذلك الذي تعرضه لو لم يكن بيني وبين قاضي مصر صلة»؟ فقال: «لا»، قال: «هذه رشوة لا أقبلها»، وطال الحوار بين الشيخ ومدير الشركة على غير طائل.

وقد سمع «لورد كرومر»[١] هذه الحادثة من فم مدير الشركة، فأيقن أنّ الأقوال التي لفّقت له عن سبب إقالته داحضة، وأنّه حين سأل عن سبب عزله اخترعت له أسباب غير صحيحة. ومن ثمّ طلب إلى ولاة الأُمور إعادة هذا القاضي، فعيّن رئيساً لمحكمة الإسكندرية، وفي سنة ١٩١٢ م نقل إلى إفتاء نظّارة الحقّانية، وأُحيل عليه قضاء مصر نيابة من القاضي نسيب أفندي، ثمّ أحيل عليه مع إفتاء الحقّانية رئاسة التفتيش الشرعي بها..

ويلاحظ أنّ الشيخ في كلّ المناصب القضائية التي تقلّب فيها كان عارفاً بقيمة نفسه، عزوفاً عن قبول ما هو أقلّ من قدره، لا يقبل أن يولّى قاضي محكمة مركزية، أو عضواً في أيّة محكمة شرعية كلّية، وكان هذا التنقّل في العديد من المديريات والمحافظات شهادة تقدير لكفاءته ونزاهته وتحرّيه الحقّ والعدل دون اعتبار لشفاعة مسؤول مهما تكن منزلته.

ومن ذلك أنّه كانت أمامه بالمحكمة مسألة تخصّ الأمير حسين كامل[٢]

---

(١) اللورد إيفلن بارنغ كرومر: سياسي بريطاني ومعتمد بمصر من سنة ١٨٨٣م إلى سنة ١٩٠٧ م. ولد سنة ١٨٤١ م لأُسرة تعمل في التجارة والمال، واشتغل ضابطاً بالجيش البريطاني سنة ١٨٥٨م، وعمل أميناً خاصّاً لحاكم الهند الإنجليزي، وجاء إلى مصر مندوباً لصندوق الدين الذي يضمّ حقوق الدائنين الأجانب. عمل وزيراً لمالية الهند، وعاد إلى مصر بعد الاحتلال قنصلاً عامّاً لبلده، وصار الحاكم الفعلي، وكان على كفاية مالية وإدارية كبيرة، وعيّن مستشارين إنجليز بالوزارات المصرية كجهاز للسيطرة على الإدارة المصرية. وبدأ السخط على سياسته بعد حادثة دنشواي سنة ١٩٠٦ م، فسحبته الحكومة الإنجليزية، وحلّ محلّه شخص آخر، فترك مصر سنة ١٩٠٧ م. ألّف كتاب «مصر الحديثة»، وكتاب «عبّاس الثاني». توفّي سنة ١٩١٧ م. (موسوعة السياسة ٥: ١١٥).

(٢) حسين كامل بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمّد علي باشا: أوّل من ولّي السلطنة بمصر بعد ←

(السلطان حسين فيما بعد)، وقد كلّم سموّ الخديو الشيخ ليحكم في مصلحة عمّه، فلمّا قدّمت القضية حكم فيها بما رآه موافقاً للمنهج الشرعي..

فلمّا تولّىٰ السلطان حسين سلطنة مصر كان أوّل عمل عمله أن سأل عن الشيخ، فلمّا بلغه طلب السلطان إيّاه ظنّ أنّه سيعزله من الخدمة، ولكن ما [كانت] أشدّ دهشته حين علم منه أنّه إنّما طلبه ليولّيه إفتاء الديار المصرية قائلاً: «إنّ رجلاً لا يبالي برجاء عبّاس حلمي باشا خديو مصر، ولا بالأمير حسين كامل عمّ الخديو، ولا يحكم إلّا بما يرى، جدير بأنّ يتبوّأ أعظم كرسي علمي في مصر...»[1].

ولم يكتف السلطان حسين بما قاله تقديراً واحتراماً للشيخ بخيت، فقد قال له عقب تعيينه مفتياً: «اعلموا أنّكم تخاطبون بفتاواكم العامّة، فالتزموا فيها الصراحة؛ حتّى لا تكون محتملة للتأويل، ولتكن لكم أُسوة حسنة في المرحوم الشيخ المهدي الذي لبث يخدم دينه أربعين عاماً يفتي الناس في أُمور دينهم، وقد ترك أثراً صالحاً ومثالاً جليلاً من الفتاوى، لايزال رجال الدين إلى اليوم يرجعون إليه في الوقوف على المعضلات الشرعية».

وهذا التوجيه من سلطان البلاد يدلّ على اهتمامه بمنصب الإفتاء ومعرفته السابقة في حلبة الفتوى من العلماء.

← دولة الخديويّين. ولد في القاهرة سنة ١٨٥٣ م، وتعلّم فيها، وأكمل دروسه في باريس. وصف بالنشاط والحزم والفراسة. ولّي قبل السلطنة نظارة الأشغال العمومية، فأنشأ السكك الحديدية بين القاهرة وحلوان، ثمّ ولّي نظارة المالية، فرئاسة مجلس شورىٰ القوانين، وعني بشؤون الزراعة في مصر. ولمّا نشبت الحرب العالمية الأُولى ونُحّي عبّاس حلمي الثاني أُقيم حسين كامل سلطاناً على مصر سنة ١٩١٤م، وعاجلته المنية سنة ١٩١٧ م، فلم يقم بعمل كبير في مدّة سلطنته. (الأعلام للزركلي ٢: ٢٥٢).

(١) انظر كلمة الشيخ عبدالوهاب النجّار في تأبين الشيخ المطيعي في مجلّة «الشبّان المسلمون»، عدد: صفر، سنة ١٣٥٥ هـ، ص: ٤٧٣. (المؤلّف).

وقارئ «الفتاوى المهدية» مقارنة بفتاوى الشيخ بخيت يلمس الشبه القريب بين الاتّجاهين لأنّ الشيخين الكبيرين يهتمّان بالنصوص المدوّنة لأئمّة التشريع، ولا تكاد ترى غير النصوص أمامك متتابعة حتّى يجيء التعقيب النهائي مرجّحاً رأياً على رأي، هذا طابع الإفتاء المتقارب لدى الشيخين[١].

لقد عيّن الشيخ بخيت مفتياً للديار المصرية في ٩ صفر سنة ١٣٣٣ هـ / ٢١ ديسمبر سنة ١٩١٤م، وظلّ يشغل هذا المنصب العلمي الرفيع إلى أن بلغ سنّ التقاعد في عام ١٩٢١م، وقد أصدر خلال هذه السنوات نحو ٢٠٢٨ فتوى[٢].

ولم يحل العمل في القضاء ـ على كثرة مسؤولياته ـ بين الشيخ والإفتاء والتدريس والتأليف والمحاضرات العامّة والخطابة والمناظرة.

أمّا الإفتاء فلأنّ شهرته العلمية ـ [وذلك] قبل أن يتولّى منصب مفتي الديار المصرية ـ كانت قد طبقت العالم الإسلامي جمعية في شتّى ربوعه من عربيه وعجميه، فلا غرو أن يرجع إليه فيما يجد من أُمور تتّصل بالدين، فسيل الخطابات المنهلّة من الشرق والغرب لا ينقطع عن بريده، والرجل مجاهد دؤوب، يعلم أنّ النكوص عن الإفتاء لدى من يملك فقهه تقصير في دين الله، وقد أعدّ نفراً من شبّان العلماء ليساعدوه في تسطير الفتوى حين تكلّ يده عن التسطير، بل إنّه وظّف ثلاثة من هؤلاء لهذا الفرض بذاته، لهم أجرهم المقتطع من معاشه[٣]، وبخاصّة بعد انتهاء مدّة الخدمة الرسمية في الدولة، فقد ظلّ إلى آخر يوم في حياته يفتي ويراجع ويعدّل فيما يفتي به، فقد قال عنه أحد تلاميذه في آخر فتوى له ـ وهي عن الرقّ في الإسلام ـ: «قرأتها عليه في سريره قبيل موته بيوم واحد، فأقرّها وعدّل فيها

---

(١) انظر النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، للدكتور محمّد رجب البيّومي ٣: ٣٣١، ط دار القلم. (المؤلّف).

(٢) انظر كلمة عن دار الإفتاء المصرية: ٣٤، ط وزارة العدل المصرية. (المؤلّف).

(٣) انظر النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٣: ٣٢٨. (المؤلّف).

كعادته، وأمر بتسويدها ليمهرها بتوقيعه لترسل إلى مصدرها»[١].

ولم ينقطع عن تدريس العلوم الإسلامية النقلية والعقلية لطلبة العلم الشريف من يوم أن نال شهادة العالمية إلى أن توفّي، أي: أنّه لازم بالتدريس أكثر من ستّين سنة، فإذا كان عمله في القاهرة أو بلد قريب منها كان تدريسه للعلم بالقاهرة، وإذا كان في بلد بعيد كان درسه بذلك البلد.

وقد قام بتدريس الكتب المطوّلة في علوم التفسير والحديث والفقه وأُصول الفقه والتوحيد والفلسفة والمنطق وغير ذلك، وتخرّج على يديه كثير من أفاضل العلماء الذين نفعوا الأزهر الشريف بعلمهم وفضلهم، كما كان لهم دورهم الرائد في نشر الثقافة الإسلامية، والتصدّي للقوى المضادّة للأحكام الشرعية، ومن هؤلاء الشيخ حسنين محمّد مخلوف[٢] الذي خلف الشيخ

---

(١) انظر مجلّة «الإسلام»، عدد: ١٨، من شعبان، سنة ١٣٥٤ هـ. (المؤلّف).

(٢) حسنين بن محمّد بن مخلوف العدوي المالكي: مفتي الديار المصرية. فقيه ومحدّث وأُصولي صوفي. ولد بالقاهرة سنة ١٨٩٠م، والتحق بالأزهر. فحفظ القرآن وقرأ العلوم، والتحق بمدرسة القضاء الشرعي، وحصل على الشهادة العالمية وهو دون الرابعة والعشرين، ودرّس في الأزهر، ثمّ عيّن قاضياً بالمحكمة الشرعية، وتدرّج في وظائف القضاء حتّى صار رئيساً لمحكمة الإسكندرية الكلّية، فرئيساً لتفتيش القضاء الشرعي بوزارة الحقّانية (العدل)، فنائباً لرئيس المحكمة الشرعية العليا، كما عيّن عضواً بجماعة كبار العلماء بالأزهر، وعضواً بمجمع البحوث الإسلامية، وعضواً مؤسّساً برابطة العالم الإسلامي، وشارك في تأسيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة، وشغل منصب مفتي الديار المصرية مرّتين، وأُسندت إليه رئاسة لجنة الفتوى بالأزهر، ومنح كسوة التشريف العلمية مرّتين. توفّي سنة ١٩٩٠ م. من جملة مؤلّفاته: كلمات القرآن تفسير وبيان، نفحات زكية من السيرة النبويّة، المرأة في الإسلام، الإسلام بين الشرق والغرب، البيان الإسلامي، المواريث في الشريعة الإسلامية. يعدّ من كبار أصدقاء التقريب العاملين على جمع كلمة المسلمين وتخليصهم من براثن التعصّب والتفرّق، ومن أقواله في التقريب التي نشرت في مجلّة: ←

عبدالمجيد سليم[١] في منصب مفتي الديار المصرية، وصاحب المؤلّفات

← «رسالة الإسلام»: «إنّني من المؤمنين بفكرة التقريب العاملين على أن يدرك المسلمون جميعاً مزاياها، وما تؤدّي إليه من جمع كلمتهم، وتوحيد أهدافهم، وظهورهم في العالم الحاضر بالمظهر الكريم اللائق بعظمتهم وسمو شريعتهم ونبل غايتهم، كما كانوا في الماضي قبل أن تعدو عليهم عوادي الفتن وتجرفهم أمواج الضغائن والإحن. إنّ الإسلام هو دين الوحدة كما هو دين التوحيد، وقد حرصت شريعته الخالدة على أنّ تقرّ في الناس أُسس التضامن والتكافل الاجتماعي، والتعاون على البرّ والتقوى، وعلى أن تنزع من بينهم أسباب العداوات والضغائن وما ينزغ به الشيطان بينهم ليفشلوا وتذهب ريحهم. وهذه هي القواعد الخمس التي بني عليها هذا الدين المتين، ترمي كلّها إلىٰ توطيد أمر المسلمين على الوحدة والأُلفة واتّفاق الغاية... ثمّ إنّنا نرىٰ الإسلام كما يشرّع أسباب التآلف والتجمّع ينهىٰ عن أسباب التقاطع والتفرّق، فهو لا يعتبر رابطة تربط المسلمين إلّا رابطة الدين، فلا جنسية ولا شعوبية ولا تفريق بالألوان أو اللغات أو القبائل... وإنّ إصلاح الأفكار، وتنقية الصدور من الأحقاد والأضغان، والدعوة إلى الأُلفة والاتّفاق، والرجوع إلى الينابيع الأُولى الصافية للدين، هي أساس نجاح الأُمّة، وإفاقتها من غفوتها، ونهوضها من كبوتها». (إتمام الأعلام: ١٢٦، مجلّة «رسالة الإسلام»، السنة: ٤، ص: ١٤١).

(١) شيخ الأزهر، ومفتي الديار المصرية في وقته، وأحد مؤسّسي دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة. ولد سنة ١٨٨٢ م في مصر، وبعد دراسته الأوّلية دخل جامعة الأزهر، وتخرّج منها سنة ١٩٠٨ م، وقد أخذ عن الشيخ محمّد عبده، وكان أُستاذاً للشيخ محمود شلتوت. وبعد إكمال دراسته عمل قاضياً ومدرّساً وعضواً في مجلس الاستفتاء، وولّي مشيخة الأزهر الشريف مرّتين، وإفتاء الديار المصرية نحو عشرين عاماً، يقال: أصدر ما يقارب ١٥ ألف فتوىٰ، بينها ما يرجع إليه الفقهاء والقانونيّون. وكان الشيخ عبدالمجيد من الأعضاء الناشطين لجماعة التقريب، وكان صريحاً وشجاعاً، وبسبب صراحته هذه استعفىٰ من رئاسة الأزهر سنة ١٩٤٦ م؛ لأنّ الحكومة أرادت التدخّل في شؤون الأزهر، وقد غضب منه بشدّة رئيس ديوان البلاط الملكي وهدّده بالأخطار التي سيواجهها نتيجة لعمله هذا، فأجابه الشيخ بكلّ صراحة وشجاعة: «مادمت ماشياً بين بيتي والمسجد فلن يهدّدني أيّ خطر». وبعد سنين من السعي الدؤوب في مجال التقريب والوحدة توفّي يوم الخميس العاشر من صفر سنة ١٣٧٤ هـ المصادف لسنة ١٩٥٤ م. (الأعلام للزركلي ٤: ١٤٩).

والدراسات العديدة في علوم القرآن والأحكام الفقهية[١].

ومع كثرة مشاغل الشيخ بمهامّ الأعمال فإنّه لم يهمل التأليف والكتابة، بل كان نصيبها منه الشيء الكثير، فقد بلغت تآليفه أكثر من ثلاثين كتاباً، في موضوعات متنوّعة، فضلاً عن المقالات والمحاضرات والخطب والمشاركة في الشؤون الاجتماعية والسياسية[٢].

لقد كانت حياة الشيخ المطيعي من الطفولة إلى الوفاة سلسلة جهاد متواصل، وعمل مستمرّ، ونشاط بالغ يثير الإعجاب ويحيّر الألباب، كان مجموعة من الذكاء والنبوغ والإنتاج، مخلصاً لدينه ووطنه، مكرماً لنفسه عارفاً قدرها، ممثّلاً لجلالة العلم ووقار العلماء، لقد عاش طول حياته خادماً للدين ناشراً للعلم

---

(١) انظر مقدّمة نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول، وكلمة عن دار الإفتاء المصرية: ٤٤. (المؤلّف).

(٢) ولا بأس هنا بذكر الحادثة اللطيفة التالية: في إحدى المرّات سافر الشيخ المطيعي ـ وذلك عندما كان مفتياً للديار المصرية ـ إلى إسطنبول، وكان في تلك المدينة رجل عُرف فيما بعد ببديع الزمان؛ لذكائه ومعرفته بعلوم عصره، ألا وهو العالم والمفكّر الإسلامي الشهير بديع الزمان سعيد النورسي، والذي كان آنذاك طالباً قد غلب كبار مشايخ الإسلام بمناظراته ومساجلاته العلمية، فاقترح بعضهم على الشيخ المطيعي أن يناظره، فأجاب بالقبول. وفي ذات يوم اجتمع المطيعي مع بديع الزمان في مقهىً قرب جامع «آيا صوفيا» بعد صلاة العصر، فطرح المطيعي السؤال الآتي على بديع الزمان أمام جمع من العلماء: «ما قولك عن الحرّية الموجودة في الدولة العثمانية وعن المدنية الأُوروبيّة»؟ فأجاب بديع الزمان بقوله: «إنّ الدولة العثمانية حُبلىٰ الآن بجنين أُوروبّا، وستلد يوماً حكومة مثلها. أمّا أُوروبّا فهي حاملة بالإسلام، وستلد يوماً ما!». وقد أُعجب الشيخ المطيعي بهذا الجواب الدقيق والعميق، والتفت ليقول لمن حوله: «إنّني أُوافق على ما قال؛ لأنّني أحمل القناعة نفسها، ولا تمكن المناظرة مع هذا الشابّ؛ لأنّ مثل هذا الجواب الوجيز والبليغ خاصّ ببديع الزمان». (رجل القدر: ٤٥ ـ ٤٦).

باللسان والقلم والتدريس والقضاء والإفتاء والمؤلّفات في نواحي العلوم المختلفة[١].

وفاة الشيخ بخيت

انتقل الشيخ محمّد بخيت المطيعي إلى جوار ربّه قبيل عصر يوم الجمعة ٢٠ من رجب الفرد[٢] سنة ١٣٥٤ هـ الموافق ١٨ من أُكتوبر سنة ١٩٣٥م، وكان قبل أن يسلم روحه الشريفة بلحظات يسيرة قد اغتسل، وهمّ على أثر خروجه من الحمام بالاستعداد لتأدية المكتوبة في أوّل وقتها، إلّا أنّه أحسّ بقشعريرة على أثر مرور هدوء لطيف وشعوره ببرد خفيف، فخارت قواه، وتداعى جسمه للراحة، فاضطجع في فراشه مستشفياً، وهنا قال: «قد انتهى الأجل»، ولم يلبث برهة حتّى صعدت روحه إلى الملأ الأعلى، ولم يطل مرضه الأخير، وكانت حالته فيه شبه عادية. وقد شيّعت جنازته من «كوبري الليمون» في تمام الساعة الثالثة بعد ظهر يوم السبت الحادي والعشرين من رجب، واحتفلت بتشييع جنازته الحكومة والأزهر وكبار علمائه وطلّابه، يتقدّمهم فضيلة الأُستاذ الأكبر الشيخ محمّد مصطفى المراغي[٣]

---

(١) انظر مجلّة «الإسلام»، ص: ٢١، العدد الصادر في ٥ من شعبان، سنة ١٣٥٤ هـ.

(٢) وقيل: بل في اليوم الحادي والعشرين من رجب. (الأزهر في ألف عام ٢: ٤٦).

(٣) الشيخ محمّد بن مصطفى بن محمّد بن عبد المنعم المراغي: عالم مصري، وشيخ الجامع الأزهر، ومن دعاة التجديد والإصلاح. ولد بالمراغة من جرجا بصعيد مصر سنة ١٨٨١ م. وتعلّم بالقاهرة، وتخرّج من الأزهر الشريف عام ١٩٠٤ م، ورشّحه الشيخ محمّد عبده ضمن من اختيروا لممارسة القضاء بالسودان، فعيّن بدنقلة، ثمّ نقل إلى الخرطوم سنة ١٩٠٦ م، ورأس مفتشي الدروس الدينية بالأوقاف عام ١٩٠٧ م، ثمّ عيّنه السلطان باشا قاضياً لقضاة السودان سنة ١٩٠٨ م، وبقي كذلك حتّى عاد إلى مصر سنة ١٩١٩، وتعلّم الإنجليزية في خلالها، وعمل بالقضاء الشرعي مدّة، ثمّ آلت رئاسة المحكمة العليا الشرعية إليه سنة ←

شيخ الجامع الأزهر، وكثير من موظّفي الحكومة والوجهاء والأعيان، وصلّى عليه في الأزهر الشريف جميع من حضر تقريباً، وقد غصّ بالمصلّين الإيوان والمقصورة على سعتهما، ثمّ حمل نعشه على الأعناق إلى مقرّه الأخير بقرافة المجاورين[١]، رحمه الله رحمة واسعة[٢].

تأبين الشيخ بخيت

بعد وفاة الشيخ تألّفت لجنة من العلماء والأُدباء اختير لرئاستها الأمير عمر

← ١٩٢٣ م، وعيّن شيخاً للأزهر عام ١٩٢٨ م، فمكث عاماً، وأُعيد إلى هذه الوظيفة سنة ١٩٣٥ م، كما رأس جمعية للدفاع عن الإسلام ضدّ نشاط الإرساليّات التبشيرية. وقد أظهر نزعة للإصلاح تجلّت في تطويره نظم التعليم ومناهجه بالأزهر وفي قوانين الأحوال الشخصية. وقد استمرّ في مشيخته للأزهر حتّى وفاته بالإسكندرية سنة ١٩٤٥ م، ودفن في القاهرة. من مؤلّفاته: الدروس الدينية، بحوث في التشريع الإسلامي، كتاب الأولياء والمحجورين، ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية، تفسير سورة الحجرات، تفسير سورة الحديد وآيات من سورة الفرقان، تفسير سورتي لقمان والعصر.

كان الشيخ المراغي قد مهّد الأجواء لحركة التقريب بمهاجمته القوية للأهواء التي تفرّق الأُمّة، فقد كان يقول: «يجب العمل على إزالة الفروق المذهبية، أو تضييق شقة الخلاف بين المذاهب، فإنّ الأُمّة في محنة من هذا التفرّق ومن العصبية لهذه الفرق، ومعروف لدى العلماء أنّ الرجوع إلى أسباب الخلاف ودراستها دراسة بعيدة عن التعصّب يهدي إلى الحقّ في أكثر الأوقات.. أيّها المسلمون، غضّوا الطرف عن الفروق الطائفية والمذهبية، ولا تجعلوا تلك الفروق سبباً في الفرقة وسلاحاً بيد عدوّكم يخرّب به بيوتكم، ولا تخشوا أحداً في إظهار شعائر الإسلام والانتصار له». (موسوعة السياسة ٦: ١٠٣، مجلّة «رسالة التقريب» / العدد: ٣٧ / ص: ١٥١).

(١) وقد نُقل ـ وذلك بعد دفنه في قرافة المجاورين ـ سنة ١٩٤٤ م إلى مسجد الملك فاروق الأوّل بحلية الزيتون. (الفتح المبين ٣: ١٨٧).

(٢) انظر مجلّة «الإسلام»، ص: ٣٨، عدد: ٢٧ / رجب / ١٣٥٤ هـ الموافق ٢٥ أكتوبر، سنة ١٩٣٥ م. (المؤلّف).

طوسون[١]؛ للإعداد لتأبين الفقيد، وفي مساء الجمعة ١٩ من ذي الحجّة سنة ١٣٥٤ هـ الموافق ١٣ من مارس سنة ١٩٣٦م في دار المركز العامّ للشبّان المسلمين بالقاهرة كان الاحتفال بهذا التأبين، وقد حضره رئيس اللجنة، وجمهور عظيم من العلماء والكبراء في مقدّمتهم الإمام الأكبر الشيخ المراغي، ومحمود صدقي باشا[٢]، والمشايخ: الفحّام[٣]، وعبدالمجيد

---

(١) هو عمر بن طوسون بن محمّد بن سعيد بن محمّد علي: مؤرّخ باحث من الأُمراء السابقين بمصر. مولده بالإسكندرية سنة ١٨٧٢ م، ووفاته بالإسكندرية [كذلك] سنة ١٩٤٤ م، تعلّم في سويسرا، وأتقن مع العربية التركية والفرنسية والإنجليزية، وعكف على تاريخ مصر الحديث وآثارها. فصنّف كتباً كثيرة بالعربية والفرنسية، وآزر الحركة الوطنية المصرية بقلمه وماله غير متقيّد بتقاليد أُسرته في الانكماش عن الدخول في غمار الجمهور، وساعد أهل طرابلس الغرب حين أغارت عليهم إيطاليا سنة ١٩١٠ م، وكان من أعضاء المجمعين العلميين بمصر ودمشق، ومن أعضاء الجمعية الجغرافية بمصر. وكان رضي الخلق مترفّعاً عن الصغائر، وفياً لأصدقائه، شعبياً محبوباً. (انظر الأعلام للزركلي [٥: ٤٨]). (المؤلّف).

(٢) محمود صدقي: طبيب مصري شهير. ولد بناحية «بيلة» بالغربية (مصر) سنة ١٨٥١ م، وتخرّج من مدرسة الطبّ بالقاهرة، ثمّ أُرسل للتخصّص إلى باريس، وعاد إلى مصر، فعيّن مدرّساً للتشريح الخاصّ بمدرسة الطبّ، فمفتشاً لصحّة مصر، فوكيلاً لمصلحة الصحّة العامّة، فمحافظاً لمدينة الإسكندرية، فمحافظاً للقاهرة. توفّي بالإسكندرية سنة ١٩٢٤ م. من آثاره كتاب «إرشاد الخواصّ في التشريح الخاصّ» بالاشتراك مع محمّد أمين. (معجم المؤلّفين ١٢: ١٧٠).

أقول: إنّ المعروف بمحمود صدقي باشا هو هذا المتقدّمة ترجمته، وسنة وفاته لا تنسجم وقول المؤلّف المحترم: إنّه كان حاضراً في مراسم تأبين الشيخ المطيعي سنة ١٩٣٦ م، فلاحظ.

(٣) شيخ الجامع الأزهر، وأحد دعاة التقريب. ولد بالإسكندرية سنة ١٨٩٤ م، وحفظ القرآن الكريم وجوّده، ثمّ دخل المعهد الديني، فنال منه الشهادتين الابتدائية والثانوية، ثمّ نال شهادة العالمية النظامية الأزهرية سنة ١٩٢٢ م. وفي سنة ١٩٣٦ م أُرسل في بعثة إلى باريس للحصول على الدكتوراه في الآداب، وكان موضوع رسالته «معجم عربي - فرنسي ←

اللبّان[١]، والشنّاوي[٢]، وغيرهم، وقد بلغ عدد الحاضرين أكثر من ألفي شخص.

وافتتحت الحفلة في تمام الساعة الخامسة مساءً بتلاوة ما تيسّر من القرآن الكريم، ثمّ ألقى الأمير عمر كلمة الافتتاح التي جاء فيها:

«حضرات أصحاب الفضيلة، حضرات السادة:

← لاصطلاحات النحويّين والصرفيين العرب»، وعيّن مدرّساً للأدب المقارن بكلّية اللغة العربية، وقام بتدريس النحو بكلّية الآداب بجامعة الإسكندرية، وظلّ يرقى في مناصب هيئة التدريس إلى أن أصبح عميداً لكلّية اللغة العربية، وبعد ذلك أُحيل على المعاش، ثمّ عيّن شيخاً للأزهر سنة ١٩٦٩ م، وانتخب لعضوية مجمع اللغة العربية سنة ١٩٧٢ م. وقد شارك في عدّة مؤتمرات عقدت بلبنان ونيجيريا وباكستان وموريتانيا وأندونوسيا وإسبانيا والسودان والجزائر والسعودية، وله فيها بحوث وكلمات تشهد بعلمه الغزير. توفّي في ٣٠ / آب / ١٩٨٠ م. أمّا مؤلّفاته فهي متنوّعة وإن كان معظمها لم ينشر في كتاب مكتمل، إلّا كتابه عن سيبويه، وله بحوث كثيرة، نشر بعضها في مجلّة مجمع اللغة العربية. (الأزهر في ألف عام ١: ٣٥٠ ـ ٣٥٣).

(١) عبدالمجيد اللبّان: فقيه مصري، ولد في مصر حدود سنة ١٨٧٠ م، وتعلّم في الأزهر الشريف، وتولّى مشيخة كلّية أُصول الدين فيه منذ إنشائها سنة ١٩٣٢ م، إلى وفاته سنة ١٩٤٢ م. له كتب مدرسية، طبع منها: السيرة النبوية، ودروس الأخلاق الدينية. (الأعلام للزركلي ٤: ١٥٠).

(٢) محمّد مأمون بن أحمد الشنّاوي: شيخ الجامع الأزهر. ولد في مصر سنة ١٨٨٥ م، وتعلّم في الأزهر، وكان من جملة أساتذته: الشيخ محمّد عبده، والشيخ أبو الفضل الجيزاوي، وعيّن مدرّساً لمعهد الإسكندرية، واختير للقضاء الشرعي سنة ١٩١٧ م، وأصبح شيخاً لكلّية الشريعة سنة ١٩٣٢ م، وشيخاً للأزهر سنة ١٩٤٨ م بعد وفاة الشيخ مصطفى عبدالرزّاق، إلى وفاته سنة ١٩٥٠ م. كان من رجال الإصلاح، أرسل بعثة تعلّمت الإنجليزية في إنجلترا، فكان أعضاؤها رسل الأزهر إلى العالم الإسلامي في الخارج، وربط الأزهر بالمعاهد الإسلامية في الباكستان والهند والملايو وغيرها، وفتح باب الأزهر، فبلغ الوافدون في أيّامه نحو ألفي طالب. من مؤلّفاته «الإسلام، أحاديث ودراسات». (الأعلام للزركلي ٧: ١٧، الأزهر في ألف عام ١: ٢٩٦ ـ ٣٠٥).

بسم الله الرحمٰن الرحيم

أفتتح هذه الحفلة شاكراً للجنة تأبين هذا الفقيد العظيم توجيهها إليّ الرغبة في حضورها ورياستها، فقد مكّنتني بذلك من أداء بعض الواجب عليّ لهذا الصديق الحميم الذي كان له في نفسي أجلّ مكانة، ولكن الذي يؤلمني في هذا الموقف شعوري بأنّني لا أستطيع إيفاءه حقّه من الرثاء والتأبين، فأترك هذا للجهابذة المفوّهين من الخطباء والشعراء، وأشكرهم سلفاً أجزل الشكر.

وكلمتي الصغيرة في تمجيد ذكراه العطرة هي أنّه عاش طول عمره فتى وشاباً وكهلاً وشيخاً، لم تفتر له همّة في تحصيل العلم وتعليمه، ولم تضعف له قوّة في تدوينه وتلقيه، فقد أنفق كلّ سني حياته الطويلة المباركة بكرم ليس بعده كرم وسخاء ليس كمثله سخاء في خدمة العلم والدين والقضاء والإفتاء والتأليف والتدريس، وكان في كلّ هذه النواحي الكثيرة إماماً كبيراً، وعلماً شهيراً، وسراجاً منيراً، فهو بحقّ بقية السلف الصالح، وشيخ الشيوخ، وحجّة الإسلام، ومفتي الأنام، فلينعم بفضل الله ورضوانه في الملأ الأعلى مع النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أُولئك رفيقاً، رحمه الله، وخلّد في العالمين ذكراه».

وبعد هذه الكلمة الموجزة الجامعة وقف الأُستاذ أمين سعيد[1] سكرتير

---

(١) أمين بن محمّد سعيد بن حسن سعيد: صحفي مؤرّخ من أهل اللاذقية. ولد فيها سنة ١٨٩٠م، وتلقّىٰ دراسته الابتدائية في مسقط رأسه، وعمل مع أبيه في مطبعة صغيرة له وجريدة أُسبوعية سنة ١٩٠٩ م، ووقع بينهما حادث انسلّ على أثره من اللاذقية ولم يعد إليها بقية حياته، وسافر إلى دمشق سنة ١٩١٦ م، ولمّا ثارت سوريا سنة ١٩٢٥ م كان في القاهرة يكتب في جريدة «المقطّم» بإمضاء «مكاتب سياسي شرقي»، وأصدر مجلّة «الشرق الأدنىٰ» مدّة، ثمّ عاد إلى دمشق، فأصدر جريدة «الكفاح» اليومية. توفّي في «بحمدون» لبنان سنة ١٩٦٧ م وهو يومئذٍ من محرّري جريدة «نداء الوطن» البيروتية. من مؤلّفاته: الثورة العربية الكبرىٰ، ملوك المسلمين المعاصرين ودولهم، تاريخ الدولة السعودية، تاريخ الإسلام السياسي، أيّام بغداد. (الأعلام للزركلي ٢: ٢٠ ـ ٢١).

الحفلة، وألقى كلمة لجنة التأبين، فبدأ بشكر الأمير عمر طوسون بقبول رياسة الخطبة والخطابة فيها تقديراً للفقيد، ثمّ قال: «إنّ هذه الحفلة جمعت أكبر عدد من الكبراء والعلماء والأُدباء، لا من مصر فقط، ولكن من البلاد العربية والإسلامية الأُخرى، فهي بذلك من مظاهر الإخاء الإسلامي الكريم، وتقدير المسلمين والعرب لصفات الزعيم الديني الراحل»، ثمّ وصف ما كان لوفاته من رنّة حزن في نفوس أهل الشرق والغرب، وقال: «إنّ رسائل التأبين وقصائد الرثاء تواردت على اللجنة من جميع الأنحاء، وإنّ الوقت يضيق عن تلاوتها كلّها»، وهو من أجل هذا يكتفي بتلاوة موجزة لمّا كتبه العالم العراقي الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء[١]، والعالم الغربي السيّد محمّد عبدالحي الكتّاني[٢]. ثمّ أورد من القصائد التي وردت على اللجنة بعض أبياتها، ومنها قصيدة للشيخ محمّد سعيد حسن سعيد من اللاذقية وأُخرى للأُستاذ محمّد سلامة الصوفي من شعرائها أيضاً، وختم كلمته مكرّراً عبارات الشكر والامتنان لسموّ الأمير عمر وللحاضرين[٣].

---

(١) هو محمّد [الـ] حسين بن علي بن الرضا [أي: محمّد رضا] بن موسى بن جعفر كاشف الغطاء: مجتهد إمامي أديب. من زعماء النورات الوطنية في العراق، من أهل النجف، كان من الدعاة إلى الوفاق بين المسلمين. انتهت إليه الرياسة في الفتوى والاجتهاد بعد وفاة أخيه أحمد، وكان من أعضاء المؤتمر الإسلامي في القدس سنة ١٣٥٠ هـ، وصنّف كتباً كثيرة. قصد إيران مستشفياً، فتوفّي بها سنة ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م، ونقل إلى النجف. (الأعلام للزركلي [٦: ١٠٦ ـ ١٠٧]). (المؤلّف).

(٢) هو محمّد عبدالحي بن عبدالكبير المعروف بعبد الحي الكتّاني: عالم بالحديث ورجاله، مغربي ولد وتعلّم بفاس، وكان منذ نشأته على غير ولاء للأُسرة المالكة، ولمّا فرضت الحماية الفرنسية على المغرب سنة ١٩١٢ م انغمس في موالاتها، كان جمّاعاً للكتب، وله تآليف كثيرة، وكان على ما فيه من انحراف عن الجادّة في سياسته صدراً من صدور المغرب ومرجعاً للمستشرقين خاصّة. توفّي سنة ١٩٦٢ م. (الأعلام للزركلي [٦: ١٨٨]). (المؤلّف).

(٣) انظر مجلّة «الشبّان المسلمون»، عدد محرّم، سنة ١٣٥٥ هـ، ص: ٤٢٥ ـ ٤٢٧. (المؤلّف).

وبعد كلمة سكرتير لجنة التأبين نهض الشيخ عبدالوهاب النجّار[١]، فألقى كلمة جامعة تناولت طرفاً من حياة الشيخ المطيعي، كما ألقت الضوء على بعض ما تمتّع به من قيم أخلاقية ومواقف وطنية، وسيرد الحديث عن أهمّ ما اشتملت عليه هذه الكلمة في مبحثي الشخصية والمنزلة العلمية.

وإذا كان بعض الشعراء العرب قد رثوا الشيخ بخيت كما جاء آنفاً في كلمة سكرتير لجنة التأبين، فإنّ عدداً من الشعراء المصريّين قد رثوا هذا الفقيد، ومن هذه المراثي ما نشرته مجلّة «الإسلام» في العدد الصادر يوم الجمعة ٢٧ من شهر رجب سنة ١٣٥٤ هـ، أي: بعد الوفاة بنحو أُسبوع، نشرت المجلّة دون أن تنسب ما نشرته إلى شاعر معين قصيدة، منها:

نـــنعى إلى أُمـــم الإســـلام قـــاطبة ... وعالم الشـرق مـن قـاص ومـن دان
نـــنعىٰ وفـي النـعي مأسـاة ومـرزأة ... أبـــا حـــنيفة حـــبر الأُمّـــة الثـــاني
أقـــضى القـضاة ومـفتيها ومـرجـعها ... إن أعضلت شـبهات المـلحد الشـاني
خـــطيبها إن دجـا خـطب وفـيصلها ... إمّـــا تـــعارض عـــند النـاس رأيـانِ
قضى المـطيعي فـابك اليـوم مـنتحباً ... حـــزناً عـــليه يـــدمع مـــنك هـتانِ

كذلك نشرت مجلّة «الإسلام» في العدد الصادر في ٥ شعبان سنة ١٣٥٤ هـ قصيدة تحت عنوان «أيّ خطب أصاب شرعة طه» للأُستاذ دياب العرابي، منها:

أيّ خـــطب أصـــاب شـــرعة طـــه ... بـــــوفاة الإمـــــام خـــير رعـــاته
كـــــان للـــقوم قـــاضياً وخـــطيباً ... وإمـــــاماً ومـــــرشداً للـــــداتـــه
كـــــان للـــخطب مـــذهباً ومـــبيداً ... حـــجب الجـــهل داثـــباً فـــي أنـاته
كـــان فـــي البـــحث قـدوة لشـيوخ ... شـــربوا الكـــوب مـــترعاً بـــعظاته

---

(١) ستأتي ترجمته في متن الكتاب، فانتظر.

وفي العدد الصادر في الثاني عشر من شعبان سنة ١٣٥٤ هـ نشرت المجلّة قصيدة لشاعر يدعى محمّد عبدالجليل، استهلّها بقوله:

الحـــزن حـــطّ رحـــاله وأقـــاما فـــأحال نـــور المشـــرقين ظـــلاما
لمّـــا نـــعى النـــاعي الإمـــام محمّداً مـــفتي الديـــار وآيـــتها المـــقداما
مـــنعى بـــخيت قـــد أثـــار نـفوسنا هـــلَعاً وحـــيّر هـــوله الأفـــهاما
فالشرق ضـجّ ولم يـزل فـي سكـرة حـــزناً عـــليه ونكّس الأعـــلاما
وانـــهارت الفـــتيا وصـــدع للـــقضا ركـــن بـــه قـــد كـــان قـــبل مـقاما

وختم الشاعر قصيدته التي تجاوزت ثلاثين بيتاً بقوله سائلاً القبر:

مـــاذا له أعـــددت يـــا قـــبر ومـــا قـــدّمت بـــين يـــديه حـــين أقـــاما
فأجـــاب هـــذه روضـــة أعـــددتها قـــد طـــاب فـــيها مـــنزلاً ومـــقاما
لا تـــحزنوا يـــا قـــومه وتـــجمّلوا بـــالصبر إنّ الحـــزن كـــان حـــراما
قد جاءنا الضـيف الكـريم فـرحّـبت لقـــدومه حـــور الجـــنان قـــياما
والله بشّـــــره بـــــخلد جـــــنانه وحـــــياة مـــــنه تـــحيّة وســـلاما

وفي الثامن عشر من شعبان أيضاً نشرت المجلّة قصيدة لشاعر أطلق على نفسه «البرنس»[1]، قال فيها:

اليـــوم أزهـــرنا عـــمّت بـــه الظـلم بفقد من عـلمه سـحّت بـه الديـم[2]
لله أزهـــرنا صـــار اليـــباب[3] بـــه لمّا نـعي خـير مـن تـعنو بـه الأُمـم
قـــضىٰ الإمـــام الذي كـــنّا نشـاهده بـــمشهد الســـبط للـتدريس يـنتظم
لله أعـــــمدة مـــــالت بـــــأزهرنا وقت الصـــلاة عـليه فـانطوىٰ العـلم

ومنها:

---

(١) يأتي البرنس باللغة الإنجليزية بمعنىٰ: الأمير.
(٢) الديمة: مطر يدوم يوماً وليلة أو أكثر. (تهذيب اللغة ١٤: ١٤٧).
(٣) اليباب: الخراب. (المصباح المنير: ٦٧٩).

قـضى بـخيت إمـام العـصر قـاطبة والعـلم والفـضل والقـرطاس والقـلم
أنا «البـرنس» أقـول اليـوم مـرثيتي فـيه وأجـري مـنها العـهد والذمـم
أسحت عليه الغوادي ما ارتـجلت له اليـوم أزهـرنا عـمّت بـه الظـلم

وقال شاعر السودان الأُستاذ عبدالله عـبدالرحـمٰن قـصيدة عـامرة نشـرها بالرسالة غبّ وفاة الشيخ، منها:

وأودى المطيعي حجّة الله فـي الورى فـغاب بـه كـنز مـن العـلم قـيّم
مضى يـملأ الدنـيا عـلوماً وحكـمـة فـويلي عـلى ركـن الهُـدىٰ يـتهدّم

إنّ الشيخ لشهرته العلمية التي تجاوزت مصر إلى العالم الإسلامي كلّه كـان مئات الأُلوف من العلماء والطلّاب في جميع بلاد المسلمين يرون فيه المثل الأعلى للاطّلاع الواسع والإفادة في شتّى البلاد الإسلامية، ومن هؤلاء المجاهد الجزائري عبدالحميد بن باديس[1] الذي كتب عنه بعد وفاته في مجلّة «الشهاب»[2] دراسة عرّفت به وبعلمه ومؤلّفاته.

لقد أطبقت كلمة الذين كتبوا عنه بأنّ الشيخ محمّد بـخيت المـطيعي كـان

---

(١) ولد ابن باديس في قسنطينة سنة ١٣٠٥ هـ، وأتمّ دراسته في الزيتونة بتونس. وأصدر مجلّة «الشهاب»، [وهي مجلّة] دينية علمية أدبية، صدر منها في حياته ١٥ مجلّداً، وكان شديد الحملات على الاستعمار، وممّا يذكر عن علاقته بالشيخ بخيت أنّه عندما حجّ فـي سـنة ١٩١٣ م، وفي طريق عودته كتب له شيخه حمدان لونيسي مـدرّس الحـديث بـالمسجد النبوي، وقد هاجر من الجزائر إلى المدينة من قبل، كتب خطاباً للشيخ المطيعي، وحمله إليه الشيخ ابن باديس، ولقيه في منزله، ولما قرأ الخطاب قـال واصـفاً حـمدان: «ذاك شـيخ عظيم». ثمّ أجاز ابن باديس، وكتب له إجازة، وسجّلها في دفـتره. تـوفّي ابـن بـاديس بقسنطينة في حياة والده سنة ١٣٥٩ هـ. (انظر ابن باديس.. حياته وآثاره، للدكتور عـمّار الطالبي). (المؤلّف).

(٢) مجلّة الشهاب: مجلّة إسلامية جامعة أنشأها المجاهد الجزائري عبدالحـميد بـن بـاديس المتوفّىٰ سنة ١٩٤٠ م. (معجم المؤلّفين ٥: ١٠٥).

علماً من أعلام العلوم الإسلامية، قلّ من يسدّ الفراغ الذي تركه في صفوف أقطابها العاملين.

رحمه الله رحمة واسعة ترفعه إلى مقام الكرامة عنده، وجزاه كفاء ما قدّم لدينه وأُمّته خير الجزاء.

* * *

المبحث الثاني

شخصيّته

أومأت في مستهلّ المبحث الثاني من الفصل الأوّل من كتاب «محمّد يوسف موسى»[1] إلى مفهوم الشخصية في علم النفس، وهو مفهوم يشمل جميع الصفات الجسمانية والوجدانية والخلقية والعقلية في حالة تفاعلها بعضها مع بعض وتكاملها في شخص معيّن يعيش في بيئة اجتماعية معيّنة[2].

ولم يرد في المصادر التي أُتيح لي الوقوف عليها وترجمت للشيخ المطيعي حديث عن صفاته الجسمانية من حيث اللون، والطول أو القصر، والبدانة أو النحافة، كما لم يرد حديث أيضاً عن أهله وأولاده.

وتدلّ مسيرة حياته، وكثرة تنقّلاته بين المدن التي عمل قاضياً بها، وعكوفه على التدريس والتأليف والفتيا طوال عمره، على أنّه عاش حياة صحّية طيّبة كانت عوناً له على القيام برسالته العلمية على أحسن وجه، فالصحّة الطيّبة عامل مهمّ في نجاح الإنسان في الحياة؛ لأنّها تمكّنه من العمل الدائب والجهد المتواصل.

---

(١) انظر محمّد يوسف موسى، رقم: ٢١، من سلسلة «علماء ومفكّرون معاصرون»: ٢٥. (المؤلّف).

(٢) لاحظ المعجم الموسوعي في علم النفس ٣: ١٤٠٦ ـ ١٤٠٩.

ويمكن تعريف الشخصية (Personality) في علم النفس: بأنّها الفردية الواعية. وتتّفق آراء غالبية علماء النفس على أنّ الشخصية ترجع إلى المظاهر غير المعرفية من الشخص ـ أي: الانفعالات والإرادة ـ لا إلى محض الذكاء والاستعدادات. كما أنّها ليست ذات صلة بالاستعدادات المتغيّرة نسبياً أو الضعيفة الأهمّية. وأخيراً فهي خاصّة بالسلوكيات، أي: بما يجعل الشخص يتصرّف على هذا النحو أو ذاك. فعليه مفهوم الشخصية يشمل «الاستعدادات العامّة الدائمة نسبياً التي تميّز تصرّف فرد من الأفراد خلال مرحلة طويلة». انظر المصدر السابق ٣: ١٤٠٦.

ولم يعرف الشيخ في حياته منذ أيّام الطلب في الأزهر إلى وفاته غير الجدّ والبحث والدرس، وتراثه العلمي من الكتب والفتاوى والبحوث والمحاضرات، فضلاً عن مشاركاته الإيجابية في المجالات السياسية والاجتماعية، خير برهان على ذلك فلولا أنّ صحّته كانت جيّدة وهيّأت له القيام بهذا الجهاد العلمي المجيد ما ترك للأُمّة تلك المؤلّفات والفتاوى والدراسات الجمّة.

ولأنّ الشيخ المطيعي تجاوز عمره الثمانين فقد نخرت أسنانه، ولم تعد قادرة على قضم الطعام ومضغه، ومن ثمّ اضطرّ إلى تركيب طاقم أسنان صناعي، وممّا يروى عن فراسته وذكائه: أنّه حين ذهب إلى عيادة طبيب الأسنان، وقدّم مساعد الطبيب الطاقم للشيخ، فلمّا وضعه في فمه، وأطمأن إلى أنّه لا يسبّب له ألماً، أراد أن ينظر في المرآة ليرى صورة الطاقم في فمه، فطلب من المساعد أن يحضر له مرآة، ولكن هذا قال: «لا توجد في العيادة مرآة»، فقال له الشيخ: «اخرج يا موسى ـ وكان يهودياً ـ المرآة من جيبك»، وفوجئ مرافق الشيخ بأنّ موسى يخرج مرآة من جيبه، فنظر فيها الشيخ، ثمّ ردّها إلى موسى، وهنا سأل المرافق الشيخَ: «كيف عرفت أنّ موسى يحمل مرآة معه»؟ فقال الشيخ: «ألا ترى أنّ شعر رأس موسى كثيف ومُرجّل، فهو لهذا يحمل مرآة ومشطاً، حتماً يحفظ على شعره تسريحه وجماله»[1].

الملامح العامّة لشخصية الشيخ المطيعي

يمكن من خلال تطوّر مراحل حياة الشيخ وما أشار إليه من ترجموا له أو تحدّثوا عنه وما جاء في بعض مؤلّفاته ودراساته تحديد ملامح شخصيته فيما يلي:

أ ـ التقوى، والصلابة في الحقّ، وعفّة اليد.

---

(١) أخبرني بهذه الواقعة الأُستاذ الدكتور علي جمعة مفتي الديار المصرية. (المؤلّف).

ب ـ مشاركاته الإيجابية في التصدّي لمشكلات عصره.

ج ـ مشاركاته السياسية.

د ـ التواضع، والكرم، وحبّ الدعابة.

أ ـ التقوى، والصلابة في الحقّ، وعفّة اليد

إنّ نشأة الشيخ الدينية، وثقافته الأزهرية، وما صدر عنه في بعض كتبه ومحاضراته أو مواقفه، يؤكّد أنّه كان تقياً ورعاً، يخشى الله في كلّ تصرفاته ويستشعر رقابته في كلّ أقواله وأفعاله، ولهذا كان يجهر بكلمة الحقّ دون أن يعبأ بذي سلطان أو مسؤول كبير، وما عرف عنه أنّه داهن أحداً، أو جامل في أحكامه القضائية، مهما تكن منزلة المدّعي أو المدّعى عليه، أو علاقته بهما، وقد أدّى به تشدّده في أقضيته إلى الفصل من وظيفته، فما عبِئ بهذا ولا سعى للعودة إلى عمله بوسيلة تخدش كرامته أو تنال من عقيدته.

والإنسان الذي يعمر الإيمان قلبه، لا يعرف التفريط في عمره، فهو يخلص في كلّ ما يعهد إليه به، ويؤمن بأنّ الله يحبّ من عبده إذا عمل عملاً أن يتقنه؛ لأنّ الحقّ سبحانه « **يحبّ معالي الأُمور، ويكره سفسافها** »[1]. وهكذا كانت حياة الشيخ المطيعي سلسلة جهاد متواصل وعلم مستمرّ يثير الإعجاب ويحيّر الألباب، فالرجل كان يقدّر قيمة الوقت، ويحرص ألّا ينفقه إلّا فيما يجدي، فلا غرو أن كان يبذل قصارى جهده في البحث والتنقيب والمراجعة، ولذا كان الجدّ والإخلاص في العمل

---

(١) هذا نصّ حديث، لاحظ: تأويل مختلف الحديث: ٢٥٠، المعجم الكبير للطبراني ٣: ١٣١، مجمع الزوائد ٨: ١٨٨، كنز العمّال ١٥: ٧٧٠، عوالي اللئالي ١: ٦٧، وسائل الشيعة ١٧: ٧٣.

والسفساف: الرديء من كلّ شيء، والأمر الحقير. (صحاح اللغة ٤: ١٣٧٥، النهاية الأثيرية ٢: ٦٣٤ ـ ٦٣٥).

سمة بارزة في شخصية الشيخ، وظلّت هذه السمة ملازمة له طيلة حياته حتّى اللحظات الأخيرة من عمره، ويروي عنه بعض من تتلمذ عليه وعمل معه: أنّه كان لا يكتفي بمراجعة أربعة عشر كتاباً في الفتوى الواحدة، وكان يقول لهذا التلميذ: «لقد علّمتني الكسل، فقد كنت قبلاً أُراجع في الفتوى الواحدة عشرين كتاباً على الأقلّ»[١].

ويشهد للشيخ بتقواه ودفاعه المجيد عن الإسلام ما واجه به بعض المستشرقين ومن سار على دربهم من أشباه المسلمين، فقد ردّ على المستشرق الفرنسي «رينان»[٢] ما جاء عنه من افتراءات وأباطيل في كتاب «تنبيه العقول الإنسانية لما في آيات القرآن من العلوم الكونية والعمرانية»، لقد فنّد الشيخ في هذا الكتاب الذي ألّفه بعد أن جاوز الستّين من عمره كلّ مزاعم الاستشراق عن المعجزة القرآنية، ونبيّ الإسلام الخاتم، مؤكّداً أنّ القرآن الكريم كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو رسالة الهداية للتي هي أقوم، والحضارة الإنسانية الخالدة، تلك الحضارة التي أنقذت أُوروبّا التي كانت تعيش على فتات علوم الإغريق من غياهب[٣] العصور الوسطى، وفتحت لها أبواب التطوير والتجديد، وإن جحدت فضل الحضارة الإسلامية عليها بعد ذلك.

---

(١) انظر مجلّة «الإسلام»، العدد الصادر في الخامس من شعبان، سنة ١٣٥٤ هـ، ص: ٢١. (المؤلّف).

(٢) أرنست رينان: أحد المستشرقين والفلاسفة الفرنسيّين المعروفين. ولد في مدينة «تريجيه» بفرنسا سنة ١٨٢٣ م، ودخل المدارس اللاهوتية، وبرز فيها، وتضلّع من اللغات الشرقية حتّى صار من ثقاتها، ثمّ رحل إلى لبنان، وعني بدراسة العقائد الإسلامية، وانتخب عام ١٨٧٨ م عضواً في المجمع اللغوي الفرنسي، وتوفّي عام ١٨٩٢م. من آثاره: كتاب ابن رشد والرشديّين، تاريخ اللغات السامية، تاريخ الأديان، حياة يسوع، كتاب الرسل، تقدّم الآداب الشرقية. (معجم أسماء المستشرقين: ٤١٨، موسوعة المورد ٨: ١٣٨).

(٣) الغيهب: الظُّلمة. (القاموس المحيط ١: ١١٦).

وممّا يدلّ على غيرة الشيخ الإسلامية ودعوته إلى تطبيق أحكام القرآن؛ لأنّ هذا هو السبيل لعودة العزّة والقوّة للأُمّة، ما جاء في كتاب «تنبيه العقول»، قال: «فعلّة تقهقر المسلمين في الشرق وفي أفريقيا وغيرها في هذا الزمان إنّما هو عدم تمسّكهم بالدين وإقامة شعائره، وعدم وقوفهم على علوم القرآن، حتّى كادوا يصيرون كأهل أُوروبّا أجانب من الدين. ولو اعتنوا بعلوم القرآن، وفلسفة الإسلام، وتمسّكوا بالدين، لعادوا أسياد الغرب كما كانوا أوّلاً»[١].

وحين كان عضواً بلجنة الدستور المصري أصرّ على أن يتضمّن الدستور أنّ دين الدولة هو الإسلام، وأدلى بالحجّة الدامغة للاعتراض، ثمّ كان من أوائل من قرّروا أنّ الأُمّة مصدر السلطات، ودافع عن ذلك كاتباً ومتحدّثاً[٢].

وإذا كان الشيخ من حيث تقواه وإخلاصه في العمل كما أومأت آنفاً فإنّه بلا مراء يتمتّع بعزّة النفس والشجاعة في الدفاع عن الحقّ؛ لأنّ الإيمان الصادق يمنح صاحبه عزّة لا تعرف المهانة، عزة تتأبّى على الخضوع للأهواء مهما يكن مصدرها، وتعتصم دائماً بالحقّ، لا تخشى في الانتصار له لومة لائم، أو سطوة ظالم، وما سبق من الإشارة إلى موقفه من تدخّل الخديو لديه ليقضي لصالح عمّه، ومن موقفه كذلك من ناظر الحقّانية لمماطلته في تنفيذ الأحكام القضائية أوضح برهان على عزّة نفسه وصلابته في الذود عن الحقّ وعدم الرضوخ لأيّ رجاء أو شفاعة.

أمّا عن عفّته عن أخذ المال دون وجه مشروع فإنّه فرع عن ورعه وتقواه، فالمؤمن التقي يجعل بينه وبين الشبهات جميعها حاجزاً لا يحوم حوله، فضلاً عن أن يتعدّاه، وهو إلى هذا يوقن بأنّ كلّ جسد نبت من سحت فالنار أولى به، ولذا كان الشيخ عفّ اليد واللسان، ومن الشواهد على ذلك ما ذكرته سابقاً من ردّه على مدير

---

(١) انظر تنبيه العقول: ٢٠٥، ط حلب. (المؤلّف).

(٢) انظر حقيقة الإسلام وأُصول الحكم: ٢٤، ط السلفية، سنة ١٣٤٤ هـ. (المؤلّف).

الشركة الأجنبية الذي سعى إليه ليشفع له لدى قاضي مصر في إجازة استبدال أعيان وقف للشركة مقابل مبلغ كبير في حينه.

لقد عرضت عليه قضية كان موضوعها النزاع على وقف كبير، فأصدر الحكم بما اقتنع به من رأي، وفرح المحكوم له بما نال، فذهب ـ وهو أمير ـ إلى الشيخ يحمل صكّاً بمبلغ كبير للشيخ لموقفه القضائي، ولكن الشيخ رمى المظروف في وجهه وصاح به: «نحن نحكم بشرع الله، ولا يخطر أمثالك لدينا ونحن نحكم»، وخرج الأمير صاغراً[١].

وحين كان ناظراً بشرط الواقفين على أوقاف يبلغ أجر النظر عليها سبع مائة جنيه في السنة، فكان يوزّع ذلك على الفقراء من أهل العلم وغيرهم في المواسم والأعياد، ويكتفي بمن يعهد إليه بتوزيع المال إلّا بأن يقدّم له كشفاً موقّعاً عليه ممّن أخذوا تلك المبالغ، ولم يكن أحد من أُسرته يعلم بذلك، حتّى رأوه في حسابه بعد إحالته على الناس، وقد سأله الناس عن سبب انقطاع ذلك عنهم، فأحالهم على من بعده، ولمّا سأله ذووه عن سبب توزيعه لتلك الأموال وهي حوله، قال لهم: «هذا مال منظور، وأجر على خدمة الفقراء، وما كنت بالذي يأخذ أجراً على خدمة فقير».

وقد كانت المحاكم المختلطة تستطلع رأيه في بعض النوازل المطروحة أمامها، فيفتيها بما تقتضيه الأحكام الشرعية، وكانت المحاكم تقدّر له أجراً على ذلك، فيردّه، وقد كتب إلى رئيس المحكمة هذه الحكمة الغالية: «عندنا العلم لا يباع»[٢].

---

(١) انظر النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٣: ٣٣٠. (المؤلّف).

(٢) انظر مجلّة «الشبّان المسلمون»، عدد: صفر، سنة ١٣٥٥ هـ، ص: ٤٧٤. (المؤلّف).

←

ب ـ مشاركاته الإيجابية في التصدّي لمشكلات عصره

تدلّ مؤلّفات الشيخ وأبحاثه ومقالاته ومحاضراته وما قضى به وأفتى على أنّه عاش مشكلات عصره، وواقع بيئته، وأنّه لم يدّخر وسعاً من أجل تقديم الحلول الشرعية لهذه المشكلات. وهو من ثمّ يؤكّد بما قدّم مسؤولية العلماء نحو الأُمّـة،

← أقول: لا بأس في المقام بإيراد كلام الشيخ عبدالله مصطفىٰ المراغي في حقّ الشيخ المطيعي، حيث يقول واصفاً أخلاقه:

«كان وديعاً بشوشاً، مستقيم الخلق، يمقت اللفّ والدوران، واسع الصدر، عفيف النفس، يصفح ما استصفح حتّىٰ يكاد ينسىٰ الإساءة إليه! وكان مع ذلك شديد الوطأة، لا يرحم من يجنح إلى الفساد والإفساد. [وكان] لا يرد حاجة مادامت في مقدوره. وكان أبي النفس، شديد الاحتفاظ بكرامته، محبّاً للخير، زاهداً في المال، حتّىٰ أنّه كان يأبىٰ التوسّط لأولاده أو أقربائه، بخلاف غيرهم، فإنّه كان يسارع إلى الأخذ بيدهم وقضاء حـاجاتهم. ويـذكر الكثيرون أنّه كان على موعد لملاقاة رشدي باشا وزير الحقّانية في الوزارة، وحـضر فـي موعده، فاستوقفه الحاجب عن الدخول إليه من الباب العامّ ورغب إليه في تلطّف أن يدخل على الوزير من طريق السكرتارية (على خلاف العادة). وعلم منه أنّ السبب هو انشغال الوزير مع المستشار القضائي ممّا يدعو إلى الانتظار قليلاً بحجرة الانتظار، فلم يقبل، وعاد إلى عربته طالباً إلى الحاجب أن يبلغ الوزير بأنّه حضر في موعده، ولم يجد أنّ الوزير يحافظ على هذا الموعد! ولم يقبل العودة مع السكرتير الذي أسرع في اللحاق وإبلاغه أنّ الوزير على استعداد لاستقباله مباشرة، وقد قابل رشدي باشا هذا الإباء بالتقدير والإكبار، فذهب إليه واسترضاه. وكذلك رفض أن ينزل مكان العلماء عمّا كان مـخصّصاً لهـم (مـع زمـرة الأُمراء) لدىٰ الاستقبالات والمقابلات الرسمية، وانضمّ إليه في ذلك المرحوم الشيخ سليم البشري شيخ الأزهر إذ ذاك. ولما أُريد استرضاؤهما ـ [وذلك] بأن يحتفظ لهما بمكانهما وأن يقتصر التنزيل على باقي العلماء ـ قال الشيخ سليم البشري كلمته المأثورة: «هو إحنا مشايخ علما إلّا بالعلماء، فتنزيلهم يعتبر تنزيلاً لنا، يا كلّنا سواء يا بلاش»! وترتّب على ذلك الاحتفاظ للعلماء بمكانهم مع الأُمراء لدىٰ الاستقبالات الرسمية. وأمّا عن زهده في المال فكان يوزّع أجر تنظّره على أوقاف الإفتاء، وهو مبلغ يزيد على ثلاث مائة جنيه سنوياً على الفقراء من الطلبة والعلماء الذين ليس لهم مرتّبات قائلاً: إنّه لا ياخذ أجراً على خدمة العلماء». (الفتح المبين ٣: ١٨٤ ـ ١٨٥).

وهي مسؤولية جسيمة؛ لأنّها تتعلّق ببيان أحكام الله في أفعال عباده، والتصدّي للأباطيل التي تحاول التشكيك في صلاحية هذه الأحكام لكلّ زمان ومكان.

ولا مجال لتفصيل القول في آراء الشيخ التي عالج بها أهمّ النوازل والمستجدّات التي عرفها المجتمع الإسلامي في أواخر القرن الثالث عشر الهجري ومنتصف القرن الرابع عشر، والتي عبّرت عن شخصيته الاجتماعية تعبيراً واضحاً، وأنّه لم يعش بأفكاره وفقهه في برج عاجي، وإنّما كان على معرفة بكلّ ما تموج به الحياة الإنسانية في زمنه من قضايا وأفكار وعادات معرفة علمية مكّنته من أن يكون في بحثه الفقهي وثيق الصلة بعصره ومقدّماً العلاج الملائم الذي يكفل سيادة التشريع في دنيا الناس.

وإذا كان المجال لا يسمح بتفصيل القول في هذا الجانب من شخصية الشيخ المطيعي، فإنّ «ما لا يدرك كلّه لا يترك كلّه»[1]، ولهذا أجتزئ ببعض القضايا التي تشهد له بأنّه كان في جهاده العلمي يعيش الواقع ويهتمّ به ويكتب عنه، وهذه القضايا تشمل مايلي:

١ ـ التكافل الاجتماعي.

٢ ـ رأيه في الشيوعية.

٣ ـ محاربة التبشير.

٤ ـ محاربة البغاء الرسمي.

---

(١) هذه إحدى القواعد المعروفة، وقيل: هي منطوق حديث نبوي شريف. وتعدّ هذه القاعدة أحد مدارك قاعدة «الميسور لا يسقط بالمعسور». ومعناها: أنّ الشيء الذي لا يمكن الإتيان بجميعه لا يجوز ترك جميعه، بل يجب الإتيان بالمقدار الذي يمكن المكلّف أن يدركه ويكون تحت قدرته.

راجع: عوالي اللئالي ٤: ٥٨، خزانة الأدب ٨: ٤٠٤، كشف الخفاء ٢: ٢٥٦ و٤٠٤، هداية المسترشدين ١: ٦٣٧ و٢: ٦٥٩، العناوين ١: ٤٦٧، تعليقة القزويني على معالم الأُصول ٣: ١١٠ و ١٧٤، كفاية الأُصول: ٣٧٠، القواعد الفقهية للبجنوردي ٤: ١٢٩ و١٣٩.

١ ـ التكافل الاجتماعي

لقد سألت وزارة المالية الشيخ ـ وهو يتولّى منصب الإفتاء ـ بتاريخ ١٩٢٠/٢/٢٥م عن عريضة مرفوعة من امرأة فقيرة لا تملك شيئاً، وليس لها قريب ما يستطيع أن يعولها مع تقدّم السنّ وضعف البنية، وهي تطلب من الدولة نفقة شهرية باعتبارها مواطنة مصرية، فدرس الشيخ الموضوع من جوانبه الفقهية وقوّاه بالسند القانوني حين أكّد أنّ بيت المال (وزارة المالية)، يجبي الأموال من مرافق مختلفة، حدّدها بالاسم، ومنها التركات التي لا وارث لها أصلاً، أو لها وارث ويبقى شيء من التركة، وهذا النوع على المشهور من المذاهب يصرف للفقراء الذين لا أولياء لهم، ومصرفه لكلّ عاجز عن الكسب، ومتى كانت المرأة فقيرة محتاجة وليس لها عائل كان الحقّ لها أن تأخذ من مصارف الخراج الخاصّ بالأراضي الزراعية ومن ضرائب الجمارك ومن التركات التي لا وارث لها، فيجب على الحكومة أن تعطيها الكفاية من مرفقي الضرائب والتركات[1].

هذه الفتوى التي أصّلت مفهوم التكافل في الإسلام لم يسمع أحد بمثلها قبل أن يصدع بها الشيخ المطيعي، وهي تعدّ آية من آيات فقهه المتجدّد، وفهمه السديد لمسؤولية الدولة نحو كلّ من يستظلّ برايتها مسلمين وغير مسلمين؛ لأنّ حماية الإنسان وتحقيق مستوى لائق من العيش له مبدأ إسلامي وأصل من أُصول الشريعة الغرّاء.

ولم تكن الحكومة تتوقّع هذا الردّ الحاسم، فأبطأت في التنفيذ، ولكن هذه الفتوى قد أحدثت صداها لدى بعض القضاة بالمحاكم الشرعية، يقول الأُستاذ عزيز

---

(١) انظر: فتاوى الشيخ محمّد بخيت المطيعي، للدكتور محمّد رجب البيومي، مجلّة «منبر الإسلام»، عدد: ربيع الأوّل، سنة ١٤٢٤ هـ، ص: ٩٥، مجموعة الفتاوى الإسلامية ١: ٣٠١، ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. (المؤلّف).

خانكي[١] مشيراً إلى قضية مماثلة رفعتها سيّدة مريضة متقدّمة في السنّ تطالب الحكومة بالنفقة عليها، وتقطّعت عنها أسباب الرزق، يقول: «والواقع أنّ القضية رفعت سنة ١٩٢٠م أمام محكمة نجع حماوي الشرعية، فحكمت المحكمة بتاريخ ١٩٢٠/٤/١٢م برئاسة فضيلة الأُستاذ الشيخ محمّد فرج السنهوري[٢]، بإلزام وزير المالية باعتباره والي بيت مال المسلمين بأداء النفقة التي فرضتها المحكمة، على أن يكون المفروض إلى المدّعية ديناً على زوجها يرجع به وزير المالية إليه.

هذا ما قرّره الأُستاذ السنهوري متأثّراً بفتوى الشيخ المطيعي، وقد أراد بالرجوع إلى الزوج احتمالاً لغناه فيما بعد؛ لأنّه فقير وعاجز لا يملك شيئاً، وذلك تخفيف لوقع الحكم على المسؤولين.

ومع ذلك فقد عارض التفتيش القضائي الشرعي حكم الأُستاذ، وأرسل مذكّرة إلى المحاكم الشرعية بعدم سماع مثل هذه الدعاوى؛ لأنّها غير ملزمة، وكلمة

---

(١) عزيز خانكي: محام، مؤرّخ، حلبي الأصل، مصري المنشأ والإقامة والوفاة، من طائفة الأرمن الكاثوليك، تعلّم بالمدرسة الخديوية ومدرسة الحقوق بالقاهرة، وتفقّه بالأزهر، وحضر دروس الشيخ محمّد عبده، واشتغل بالمحاماة، فكان من أقطابها، وإليه يرجع الفضل في إنشاء نقابة المحامين بمصر، وعني بتدوين كثير من الأحداث، فأصدر نحو أربعين كتاباً، وتوفّي سنة ١٩٥٦ م. (الأعلام للزركلي [٤: ٢٣]). (المؤلّف).

(٢) محمّد فرج السنهوري: قاضٍ من الوزراء. ولد سنة ١٨٩١ م بقرية «المندورة» مركز دسوق بمصر، والتحق بالأزهر، ثمّ بمدرسة القضاء الشرعي، فنال شهادتها العالمية، عيّن قاضياً، وتقلّبت به المناصب حتّى صار نائب رئيس في المحكمة العليا الشرعية، واختير وزيراً للأوقاف، ولمّا انقضت وزارته عمل بالمحاماة والتدريس. كان عضواً في: هيئة التدريس بأقسام الدراسات العليا بجامعتي القاهرة والإسكندرية (فرع الحقوق)، ومجمع البحوث الإسلامية، واللجنة العليا لتطوير القوانين المصرية، ولجنة تطوير الأزهر، واللجنة العليا لتطوير الجامعات، وغيرها. له كتابان، هما: الأُسرة في التشريع الإسلامي، وحاجة المجتمع إلى الدين. توفّي سنة ١٩٧٧ م. (إتمام الأعلام: ٣٩٨).

«ملزمة» ممّا يحار أمامها العقل، فالمدّعية فقيرة مريضة وللدولة عليها حقّ الرعاية، وباب النفقة حدّده الشيخ بخيت، وحصره في ضرائب الأرض والجمارك والتركات التي لا وارث لها، والمحكمة شرعية لا أهلية، فكيف يحدث هذا؟!

وبعد أكثر من عشرين عاماً، وفي أثناء الحرب العالمية الثانية، ظهر ما يسمّى بمشروع «بيفيردج»[١] الخاصّ بالتأمين الاجتماعي في بريطانيا، وبه نصّ يقرّر حقّ الفقراء والعجزة والضعفاء في مال الدولة؛ إذ لا بدّ من رعاية حقّ كلّ مواطن، وقام الكاتبون في مصر يتحدّثون عن إنسانية المشروع، وأنّه سبق ظافر لمدنية الغرب، فهل علم هؤلاء فتوى الشيخ بخيت وحكم الشيخ محمّد فرج السنهوري قبل أن يشيدوا بحضارة غربية لم تصل إلى ما وصلنا إليه منذ ظهر الإسلام في الوجود[٢]؟!

٢ ـ رأيه في الشيوعية

بعد أن نجحت الثورة الروسية سنة ١٩١٧ وقامت الشيوعية رسمياً[٣]،

---

(١) مشروع لنظم الضمان الاجتماعي، وضعه السياسي والاقتصادي البريطاني «وليام هنري بيفيردج» المتوفّى سنة ١٩٦٣ م، حيث أوكلت إليه الحكومة البريطانية أثناء الحرب العالمية الثانية برئاسة لجنة وزارية مكلّفة بتحضير تقرير عن نظم الضمان الاجتماعي، فنشر تقريره في ١ /كانون الأوّل / ١٩٤٢ م، وبيع منه أكثر من سبعين ألف نسخة في يوم واحد، وقد كان «بيفيردج» متأثراً بفكر «كينز» الاقتصادي، فهو ينطلق من فكرة موجزها ما يلي: «نظراً لدرجة الغنى الشامل الذي توصّلت إليه البلاد يشكّل عوز بعض المواطنين فضيحة يجب أن نلغيها، ونستطيع أن نفعل ذلك بفضل مجهود منهجي من قبل الأُمّة». فهو ـ أي: «بيفيردج» ـ يعبّر عن أفكاره التي تقوم على حقّ كلّ فرد بالضمان الاجتماعي، وحقّه في إيجاد عمل، وحقّه بحدّ أدنى من الدخل. (موسوعة السياسة ١: ٦٥٢ ـ ٦٥٣).

(٢) انظر النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٣: ٣٣٥. (المؤلّف).

(٣) لملاحظة ملابسات ثورة عام ١٩١٧ م الروسية راجع: موسوعة السياسة ١: ٨٨٧ ـ ٨٩٥، التاريخ المعاصر (أوروبّا): ٥١٧ ـ ٥٣٠.

ظهرت عدة كتب خاصّة تشيد بمبادئها، وتعلن أنّها الحلّ النهائي لمشكلات البشرية، وأنّ العقائد الدينية ليست إلّا أفيوناً للعامّة يسكرهم عن حقوقهم المغتصبة[١].

وقد تساءل بعض المسلمين إذ ذاك عن حقيقة الشيوعية، فبعث لمفتي الديار المصرية الشيخ بخيت بتاريخ ١٩١٩/٧/٢م يسأله عن هذا الاتّجاه الجديد، فكانت فتوى الشيخ أوّل فتوى تصدر في العالم الإسلامي جميعه.

وقد بدأت الفتوى ببحث تاريخي عن الدعوات الانحلالية القديمة في فارس المجوسية حين نادت لفترة ما بإباحة الأموال والأعراض للجميع، فعجّلت بانتشار الفوضى في فارس لأمد غير قصير، حتّى جاء الإسلام، فنظّم العلائق الاجتماعية، وشرّع العقود الناقلة للملك من هبة وبيع ووصية، وبيّن المواريث، وحدّد لكلّ وارث نصيبه المعلوم، وبيّن أنّ الله هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدّر. وجاءت خطبة الوداع دستوراً إنسانياً يحمي الحرمات ويحفظ الحقوق.

وبعد أن أفاض الشيخ في تقرير هذه الحقائق بأدلّة حاسمة يقرؤها المسلمون في كتابهم، ويرون تطبيقها في وقائع العصر النبوي المجيد، وسير الصحابة ومن تبعهم بإحسان، قرّر أنّ البلشفية[٢] تهدم الشرائع السماوية، وتجعل الناس فوضى في معاملاتهم، فهم يهدفون إلى هدم الكيان الاجتماعي، ويحرّضون الطبقات الفقيرة لتثير حرباً عواناً على كلّ نظام اجتماعي يستند إلى قواعد الفضيلة والآداب. وإذا

---

(١) من هذه الكتب: «ما العمل؟»، و«أهمّية المادّية النضالية»، و«الدولة والثورة»، والتي هي من تأليف «فلادمير إلتيش لينين»، لاحظ الموسوعة الفلسفية: ٤٢٢ ـ ٤٢٤.

(٢) البلشفية أو البلاشفة: هم الاشتراكيّون الديمقراطيّون الثوريّون، وعلى رأسهم لينين، فازوا بالأغلبية في المؤتمر الثاني لحزب العمّال الاشتراكي الديمقراطي الروسي في آب عام ١٩٠٣ م. ومن هنا جاءت تسميتهم من كلمة «بولشينتسفو» الروسية، وتعني (الأغلبية)، وقد دُعي خصومهم أنصار الجناح الانتهازي في الحزب «المناشفة»، أي: (الأقلّية). (المعجم السياسي: ٧٧).

كان هؤلاء لا يعتقدون في شريعة من الشرائع الإلهية ولا يعتقدون ديناً سماوياً فهم كافرون[١].

وحين صدرت هذه الفتوى الصريحة قال بعض المتهكّمين: ما للشيخ بخيت والحكم على المذاهب الأُوروبّية، ولماذا لا يحصر نفسه في نطاق الإسلام؟! كما صاحوا بالرجل حين هاجم الأُسطورة الداروينية[٢]، وعدّوه يتكلّم فيما لا يعرف!

ومن هؤلاء من قال: إنّ الشيخ يريد بمثل هذه الفتاوى أن يكون له شأن في السياسة متشبّهاً بمحمّد عبده وجمال الدين الأفغاني.

وكلّ هذه الأقوال التي هاجمت الشيخ والتي حاولت أن تطعن في صدق مواقفه وآرائه لا تنهض على أدلّة علمية، فهي تريد فحسب أن تنال من المواقف

---

(١) انظر: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٣: ٣٣٦، ومجلّة «منبر الإسلام»، عدد: ربيع الأوّل، سنة ١٤٢٤ هـ، ص: ٩٥. (المؤلّف).

(٢) المقصود ما كان يذهب إليه «تشارلز روبرت دارون» عالم الحيوان الإنجليزي المتوفّى سنة ١٨٨٢ م من أنّ ملكات الإنسان العقلية وغرائزه وتصوّراته الأخلاقية والدينية إنّما هي نتاج تغيّرات بيولوجية مفيدة، انتقلت ورسخت في النوع الإنساني بواسطة الوراثة، وذلك وفقاً لنظرية التطوّر التي قال بها قبله «لامارك»، وقد وضّح دارون ما ذهب إليه في كتابيه: «أصل الأنواع»، و«سلالة الإنسان». وقد صاغ «إرنست هيكل» رأي «دارون» بقوله: «إنّ الإنسان ينحدر من القرد»! (موسوعة الفلسفة ١: ٤٧٤).

ودارون هو: تشارلز روبرت دارون: عالم الحيوان المعروف. ولد في «إنجلترا» سنة ١٨٠٩م. وبدأ دراسة الطبّ في جامعة «أدنبرة» بإسكتلندا لمدّة عامين، ثمّ انصرف إلى الدراسات اللاهوتية في كلّية المسيح في «كمبردج»، ولكنّه لم يتمّها بيد أنّه ظلّ يواصل دراسة العلوم الطبيعية (الحيوان والنبات) والجيولوجيا. اعتزل بعد سفر في باخرة دام خمس سنوات في قرية «داون» وفيها واصل أبحاثه في الحيوان حتّى وفاته عام ١٨٨٢ م. من مولّفاته: أصل الأنواع، عن طريق الانتخاب الطبيعي، تغيّر الحيوان والنبات تحت تأثير الاستئناس، التعبير عن الانفعالات في الإنسان والحيوان. وكان كثيراً ما يردّد هذه العبارة: «إنّ حالتي العقلية هي اللاأدرية Agnosticism». (موسوعة الفلسفة ١: ٤٧٣ ـ ٤٧٤، تاريخ الحضارات العامّ ٦: ١٣٤).

الإسلامية الجادّة التي تقاوم الخضوع للغزو الفكري الذي أخذ في ظلّ الاحتلال لمصر يسعى للتبشير بين المسلمين في شتّى المجالات الدينية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

إنّ الشيخ كان يقدّر مسؤوليته نحو دينه وأُمّته، ومن ثمّ كان عليه أن يدلي برأيه وفتواه في كلّ ما يوجّه إليه من أسئلة، وقد أجاب في موضوع الشيوعية بالرأي الصحيح[١] الذي أكّدت الأحداث بعد ذلك صوابه، فقد إنهارت الشيوعية؛ لأنّها فضلاً عن محاربتها للدين تحارب الفطرة الإنسانية، وتلغي الحوافز الطبيعية، ولهذا لم تصمد الشيوعية إلّا في ظلّ سياسة البطش والقهر، فلمّا ضعفت القبضة الحديدية على الشعوب التي فُرض عليها النظام الشيوعي تمرّدت على هذا النظام واستردّت حياة الحرّية واحترام الحقوق الفردية.

٣ ـ محاربة التبشير

أمّا التبشير بالمسيحية بين المسلمين فله جذور قديمة ترجع إلى ما بعد هزيمة الجيوش الصليبية وطردهم من بلاد المسلمين، ولكن بعد أن خضع العالم الإسلامي كلّه تقريباً للنفوذ الاستعماري باحتلال أرضه، وفرضت القوانين والتقاليد الغربية عليه، أخذ التبشير يخطّط لزعزعة ثقة المسلمين بدينهم، والتبشير بالنصرانية بينهم، وتعاون الاستشراق مع التبشير في سبيل ذلك. وقد لجأ التبشير إلى وسائل متعدّدة، وأصبح يمثّل خطراً على عقيدة الأُمّة.

وتداعت أقلام الغيورين على الإسلام والمسلمين تحذّر من مغبّة ما يقوم به التبشير، وكان في مقدّمة هؤلاء هيئة كبار العلماء في الأزهر الشريف، فقد أصدرت بياناً إلى الأُمّة الإسلامية كشف عن حقائق غريبة لنشاط المبشّرين ووسائلهم

---

(١) النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٣: ٣٣٦، مجلّة «منبر الإسلام»، عدد: ربيع الأوّل، سنة ١٤٢٤ هـ، ص ٩٥. (المؤلّف).

الإجرامية كالتعذيب بالضرب لصرف الشباب المسلم عن دينه.

ولم تكتفِ الهيئة بما أصدرته من بيان منشور[١]، وإنّما اجتمعت في يوم الاثنين ٢٤ ربيع الأوّل سنة ١٣٥٢ هـ / ١٧ يوليو سنة ١٩٣٣م لتنظيم العمل لحماية المسلمين من خطر التبشير، وكان من قرارات هذا الاجتماع تأليف عدّة لجان برئاسة شيخ الأزهر الشيخ محمّد الأحمدي الظواهري[٢]؛ للعمل على مقاومة التبشير، والتصدّي بصورة عملية لما يقوم به من ممارسات غير إنسانية لحمل الفقراء والمرضى على ترك إسلامهم واعتناق النصرانية.

وقد تبرّع شيخ الأزهر وعدد من العلماء بمبالغ مالية لبناء مستشفيات يشرف عليها أطبّاء مسلمون، وكذلك إنشاء مدارس تربّي النشء تربية إسلامية بدلاً من المدارس الأجنبية التي تبثّ سمومها التبشيرية بين أبناء المسلمين الذين يدرسون فيها.

ونشرت هيئة كبار العلماء نداءً [وجّهته] إلى الأُمّة الإسلامية[٣] عقب هذا الاجتماع، قالت في مستهلّه:

«أيّها المسلمون، لقد جاءكم نبأ تلك الأموال المرصدة والجموع الحاشدة والمكائد المدبّرة والوسائل الماكرة التي يتّخذها أُولئك المتسمّون باسم المبشّرين محاولة لإفساد أمر الإسلام ونكث حبله.

---

(١) انظر مجلّة «نور الإسلام»، المجلّد: الرابع، ص: ٢٠٤. (المؤلّف).

(٢) محمّد الأحمدي الظواهري: الشيخ التاسع والعشرون للأزهر. ولد سنة ١٢٩٦ هـ في مدينة «كفر الظواهري»، وبعد إتمام العلوم الأوّلية أخذ العلم من كبار العلماء، كالشيخ محمّد عبده، وغيره. وفي سنة ١٣٤٩ هـ انُتخب لرئاسة حزب «الوفد»، وفي سنة ١٣٥١ هـ وبأمر من الملك فؤاد الأوّل عيّن رئيساً لجامعة الأزهر. له آثار قيّمة، منها: رسالة في الأخلاق، العلم والعلماء، التفاضل بالفضيلة. توفّي في جمادى الأُولى سنة ١٣٦٣ هـ. (الأعلام الشرقية ١: ٣٥٩).

(٣) انظر مجلّة «نور الإسلام»، المجلّد: الرابع، ص: ٢٧٩. (المؤلّف).

ولقد تجلّى لكم من ذلك ما عزّت معه المجاملة، وقبح بعده التواكل والإهمال، فأنفتم أن يسعى بينكم أُولئك المغرّرون المضلّون، ونهضتم نهضة المؤمن الأبي، وغضبتم غضبة ذي اليقين الحي. وكان علماؤكم منكم حيث يملي عليهم دينهم ويضعهم واجبهم، وها هم أُولاء قد ألّف كبارهم جماعة للعمل المنظّم، ووضعوا خطّة للسعي المحكم، ورتّبت تلك الجماعة نظامها، وبدأت جهدها مستعينة بالعون الإلهي، مهتدية بالهدي النبوي، واثقة من غيرتكم الإسلامية، قويّة الأمل في أريحيتكم الدينية، ما إن تشكّ لحظة في أنّكم باذلون في سبيل الله مالكم متطوّعون بكلّ مقدوركم، ملبّون داعي ربّكم: ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[1]».

إنّ هذا النداء كان دعوة من العلماء لحث الأُمّة على بذل الأموال في سخاءٍ للتصدّي لهذه الفتنة الضالّة، فلن يجدي في دفع ضررها الجهاد بالكلام فحسب، وإنّما ينبغي أن يكون مع هذا الجهد الذي يبصّر الأُمّة بما يمكر به هؤلاء المفسدون فيها بالإنفاق وبذل الأموال.

وجاء في ختام ذلك النداء:

«إنّ علماءكم لا يعرفون بكم حاجة إلى حثّ على إنفاق أو استثارة إلى بذل، وإنّما هي الذكرى فحسب، فإنّ الذكرى تنفع المؤمنين: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[2]».

ولم يكن الشيخ بخيت في غفلة عن هذه الهجمة الباغية، فقد نبّه إلى ذلك الخطر، وحذّر من مغبّة التغاضي عن مقاومته، وممّا كتبه في هذا ما نشر[3] تحت

---

(١) سورة الأنفال ٨: ٦٠.

(٢) سورة البقرة ٢: ٢٦٢.

(٣) انظر مجلّة «الإسلام»، السنة: الثانية، عدد: ١٤ ربيع الثاني، سنة ١٣٥٢ هـ، ص: ١٩ ـ ٢٢. (المؤلّف).

عنوان «التبشير وكيف نقاومه ونأمن غوائله»، استهلّه بذكر الحديث الذي رواه الإمام البخاري[١]، عن النبي ﷺ، قال: «**الدين النصيحة**»، قلنا لمن؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمّة المسلمين وعامّتهم**»[٢]، ثمّ قال: «فيجب على كلّ مسلم بمقتضى هذا الحديث أن ينصح الناس أفراداً وجماعات، حكومة وشعباً، علماء وغير علماء»، وبيّن أنّ واجب العلماء في باب النصح والإرشاد آكّد من غيرهم، وأشدّ من سواهم، بحكم أنّهم ورثة الأنبياء، وحملة الشريعة، وحفظة الدين، ومن ثمّ كان عليهم: تعليم الجاهل، وهداية الضالّ، وتنبيه الحاكم، ومحاربة البدع والرذائل، وإحياء السنن والفضائل، والذبّ عن دينهم بكلّ وسيلة مشروعة وبما أُوتوا من قوّة الحجّة والبيان، لا سيّما إذا تطاول عليه سفيه جاهل، أو تجنّى عليه مغرور فاجر، أو طعن عليه مبشّر مأجور لا يتورّع عن استخدام الإجرام في دعايته التبشيرية.

وخلص من هذا إلى بيان الأسباب التي أدّت إلى تنصير أبناء المسلمين وتخطّفهم من بين أيدينا إلى حيث معاهد التبشير ومدارس التنصير، وقد حصر هذه الأسباب في أُمور أربعة، هي:

١ ـ أولياء أُمور الطلبة من الأغنياء المفتونين بأُوروبّا والثقافة الغربية بإدخال أولادهم المدارس الأجنبية، فهذه المدارس لا تهتمّ بالثقافة الإسلامية، ومن ثمّ تجرّد طلّابها من الغيرة الدينية، ويصبح ولاؤهم للدول التي أنشأت هذه المدارس

---

(١) أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري: من أئمّة الحديث المشهورين. روى عن: إبراهيم بن حمزة الزبيري، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم. وروى عنه: الترمذي، والنسفي، وابن أبي الدنيا، وآخرون. من مصنّفاته: الصحيح، التاريخ الكبير، الأدب المفرد. كتب بخراسان والحجاز والشام والعراق ومصر. توفّي ليلة الفطر سنة ٢٥٦ هـ. (تهذيب الكمال ٢٤: ٤٣٠ ـ ٤٦١، سير أعلام النبلاء ١٢: ٣٩١ ـ ٤٧١، مرآة الجنان ٢: ١٢٤ ـ ١٢٥، طبقات الحفّاظ: ٢٤٨ ـ ٢٤٩).

(٢) صحيح البخاري ١: ٣٠. وانظر: مسند أحمد ٤: ١٠٢ و١٠٣، سنن الدارمي ٢: ٣١١، صحيح مسلم ١: ٧٤، سنن النسائي ٧: ١٥٦ و١٥٧، السنن الكبرى للبيهقي ٨: ١٦٣.

أكثر من ولائهم لوطنهم وقوميتهم، وبذلك تستحيل عواطفهم وأفكارهم وعاداتهم إلى عواطف غربية وأفكار أُوروبّية وميول وعادات إباحية.

٢ ـ قلّة الملاجئ والمستشفيات والمستوصفات لدى المسلمين مع وفرتها وكثرتها لدى المبشّرين، والحاجة الملحّة هي التي تدفع بالفقراء والضعفاء واليتامى إلى ملاجئ ومستشفيات التبشير، وفيها يقوم التبشير بمهمّته في جذب الفقراء ونحوهم إلى التنصير بما يبذله من مال ورعاية صحّية.

٣ ـ عدم الرقابة الكافية من الحكومة على ما يدرّس ويعلّم ويجري بين جدران تلك المدارس التبشيرية، وبخاصّة المؤلّفات والكتب التي تشتمل على كثير من الشكّ والتشكيك في عقائد المسلمين، والحطّ الجارح من قدر النبي الكريم، وكذلك عدم الرقابة على ما يجري في الملاجئ والمستشفيات والمستوصفات من محاولات لإغراء الضعفاء بالتخلّي عن عقيدتهم وقوميتهم.

٤ ـ ضعف المسلمين وتنازعهم أتاح لأعدائهم فرصة إحياء النعرة الوطنية والنزعة الإقليمية بينهم، وإحلالهما محلّ الأُخوّة الإسلامية، ممّا ترتّب عليه زوال التعاون والتناصر والتعارف، ومن ثمّ تفرّقوا واختلفوا وتنازعوا على الحدود، فلا غرو أن طمع فيهم الأجنبي وغزاهم المبشّرون في عقر دارهم.

وبعد أن انتهى الشيخ من الحديث عن أهمّ الأسباب التي أدّت إلى تنصير أبناء المسلمين بيّن كيفية درء خطر التبشير وإحباطه، وقد حصرها فيما يلي:

أوّلاً: واجب العلماء، وهذا الواجب يفرض عليهم إزالة شبه المبشّرين، ودحضها بالحجّة والبرهان، وإرشاد أفراد الأُمّة إلى مقاطعة المبشّرين في مدارسهم وملاجئهم ومستشفياتهم ومحاضراتهم وأنديتهم، ثمّ قال: «وأهمّ واجبات العلماء حيال هذا الخطر التبشيري أن يكوّنوا جبهة واحدة متّحدة طارحين الأنانية وحبّ الذات، ناسين أنفسهم وما قد يكون بينهم من جفاء واختلاف، مصلحين ذات بينهم من علاقة وارتباط ومودّة، كما أمر الله جماعة المسلمين وفي مقدّمتهم العلماء، قال

تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

ثانياً: واجب الحكومة، وهو السهر على مصالح الأُمّة، وحماية عقائدها ودينها من هجمات المبشّرين وطعنات الملحدين، وأن يكون رجالها أوّل الناس قياماً بالأعمال الدينية، وأبعد الناس عمّا يخلّ بالمروءة، وأن نكوّن لهم الرقابة التامّة على ما يجري في المؤسّسات التبشيرية.

ومن أهمّ واجبات الحكومة ألّا تشدّد في سنّ الدخول في مدارسها لأبناء المسلمين؛ حتّى لا تعطي آباءهم فرصة ينتهزونها في تبرير إدخال [أولادهم] تلك المدارس. وعلى الحكومة كذلك أن تجعل مستشفياتها أقلّ كلفة مع حسن معاملة المرضى وأهليهم، وأن تطبّق القانون بحزم على كلّ طاعن في دين الدولة، أو مرتكب أعمالاً هي ضدّ الأديان والإنسانية جمعاء، وأن تنشئ مصلّى في كلّ مكان من أماكن الدراسة وأماكن الحكومة ومصالحها على اختلاف طبقاتها، وأن تسرع في جعل التعليم الديني إجبارياً في جميع المدارس، ومادّة أساسية يترتّب عليها نجاح أو رسوب، وأن تعيد فتح الكتاتيب الخاصّة بتحفيظ القرآن وتعليمه.

ثالثاً: واجب الأُمّة، ويتمثّل هذا في الآتي:

١ ـ إخراج أبنائها من مدارس التبشير بسرعة دون توانٍ أو مماطلة، مهما كلّفها ذلك من تضحية.

٢ ـ بذل أموالها في سبيل حفظ دينها وعقائدها، كلّ بحسب طاقته.

٣ ـ مساعدة الحكومة فيما تتّخذ من التدابير إزاء التبشير، وتسهيل مهمّتها بالعمل والحكمة والرزانة.

٤ - إصلاح نفسها هي، وقديماً قالوا: «من أصلح نفسه أرغم أنف أعاديه».

وختم الشيخ دراسته عن التبشير وخطورته ومنهج مقاومته بقوله: «وصفوة

---

(١) سورة الأنفال ٨: ١.

القول: إنّ العلاج الشافي لأمراض الأُمّة ودفع خطر التبشير إنّما هو تربية الأُمّة تربية دينية مع التطبيق العملي لأحكام الدين. ومتى تسلّحت أفراد الأُمّة بالعقائد الإسلامية، وأشربت نفوسها حبّ المبادئ الدينية، وخالطت بشاشة الدين قلوبها، فقد أصبحت في مناعة دينية وحصانة إسلامية يستحيل معها أن يضلّها عن الحقّ أيّ مضلّ، أو أن يفتنها في دينها أيّ فاتن»[1].

وهذا الحديث عن التبشير يعبّر عن إدراك دقيق لهذا النشاط المعادي للإسلام والمسلمين، وهو يؤكّد أنّ ضعف العقيدة، وتقصير المسؤولين على تفاوت مراكزهم، بالإضافة إلى الدعم الاستعماري، كان من أهمّ الأسباب التي دفعت المبشّرين والمستشرقين على التخطيط لغزو المسلمين معنوياً.

ولو كان الشيخ قد امتدّ به العمر إلى العصر الحاضر لأزعجه كلّ الإزعاج ما بلغ إليه التبشير عبر القنوات الفضائية المرئية، وكذلك الجامعات والمدارس الأجنبية التي كثرت في بلاد المسلمين، وهي وإن كانت لا تدعو مباشرة إلى التنصير، فإنّها تمهّد له بما تقدّمه من ثقافات لا تخدم الإسلام والمسلمين بقدر ما تخدم الدول التي أقامت هذه الجامعات والمدارس؛ لأنّ الذين يتخرّجون فيها يعرفون عن لغات وثقافة هذه الدول أكثر ممّا يعرفون عن دينهم وتاريخهم وخصائص هويتهم! وهؤلاء وإن لم يرتدوا عن دينهم، غير أنّ برامج تلك الجامعات تميت فيهم روح الإسلام وحضارته، فلا يتحمّسون للعمل بتشريعاته، ويصبحون من ثمّ صيداً ثميناً لأعداء الدعوة إلى الحلّ الإسلامي لمشكلات الأُمّة الراهنة.

٤ ـ محاربة البغاء الرسمي

البغاء الرسمي هو عبارة عن الزنى العلني المرخّص به من الهيئة التنفيذية،

---

(١) انظر مجلّة «الإسلام»، السنة: الثانية، عدد: ٢٤، سنة ١٣٥٢ هـ، ص: ١٩ ـ ٢٢. (المؤلّف).

وهو محرّم في جميع الأديان[١] ومستقبح عند كافة العقلاء، وهو منكر من أكبر المنكرات إثماً، وأخطرها أثراً، وأعظمها مفسدة ، وأشدّها ضرراً بالصحّة والآداب والأخلاق والأموال والمجتمعات. هذا البغاء أُبيح في مصر في ظلّ الاحتلال الإنجليزي، فجنود هذا الاحتلال كانوا يغتصبون النساء عنوة، ممّا كان يثير حمية المواطنين، فيقتلون من الجنود ما يمكن قتله، وكان ردّ الاحتلال على هذا مضاعفة الاعتداء والإساءة، فرأى البعض إباحة البغاء الرسمي لعلّه يحدّ من اغتصاب الحرائر وانتهاك الأعراض، ولكن سلوك جنود الاحتلال ليس مبرّراً لإباحة البغاء.

وقد نجم عن إباحة هذا البغاء مشكلات شتّى، صحّية واجتماعية وأخلاقية، فضلاً عن أنّه محرّم شرعاً، ولذلك كثرت الأصوات التي تنادي بإلغاء هذا البغاء.

وتحت ضغط الرأي العامّ الذي ينادي بالإلغاء شكلّت لجنة لبحث هذا الموضوع، ورأسها الدكتور محمّد شاهين باشا[٢]، وقد كتب إلى الشيخ المطيعي رسالة ضمّنها خمسة أسئلة، وطلب منه الإجابة عنها، وهي:

١ ـ هل ترون إلغاء الرسمي أو إبقاءه؟ وما هي الأسباب التي تبنون عليها رأيكم؟

٢ ـ في حالة الإلغاء: ما هي الطرق التي تشيرون بها لمعاملة البغايا المرخّص لهنّ الآن؟

٣ ـ ما هي الوسائل التي تقترحونها لمكافحة البغاء السرّي؟

٤ ـ ما هي الوسائل التي تقترحونها لتلافي أضرار الأمراض السرّية؟

٥ ـ إذا كنتم ترون إلغاء البغاء الرسمي، فهل يكون ذلك تدريجياً، أم دفعة

---

(١) أمّا في الإسلام فواضح، وأمّا غير الإسلام فانظر: أحكام النساء في التلمود: ٥٧، موسوعة الأديان الميسّرة: ٢٨٦ (حيث صُرّح بحرمته عند جميع الأديان السماوية).

(٢) كان وكيلاً للداخلية للشؤون الصحّية. (المؤلّف).

واحدة، أي: يكتفى مبدئياً بعدم الترخيص لبغايا جديدات، فيندثر البغاء الرسمي تدريجياً، أم يحرم على البغايا الموجودات في الوقت الحاضر ممارسة مهنتهنّ، فيقضى على البغاء دفعة واحدة؟

وقد جاء ردّ الشيخ إجابة مستفيضة في بحث بلغ أكثر من عشر صفحات، تناول فيه حكم الإسلام في البغاء سواء أكان سرّياً أم رسمياً، مستشهداً بالآيات والأحاديث التي تبيّن أنّ هذا البغاء محرّم وجريمة نكراء، وأنّه له مساوئه وأضراره الخطيرة، وأورد في هذا ما قاله أحد الأطبّاء المتخصّصين في الأمراض التناسلية[١]، بأنّ الكشف الطبّي على البغايا الرسميات عمل سطحي لا فائدة فيه، وأنّ أكثر من تسعين في المائة منهنّ مصابات بواحد أو اثنين أو ثلاثة من الأمراض التناسلية[٢].

وأضاف الشيخ إلى هذا أنّ بلداً كمصر الإسلامية، وزعيمة الشرق في النهضة العلمية والفكرية، وفيها الأزهر المعمور قبلة العلوم الدينية ومصدر الثقافة العامّة للمسلمين، كيف يباح فيها الزنىٰ بصورة علنية، وتفتح بيوت للدعارة ونشر الرذيلة، ودين الدولة الرسمي هو الإسلام الذي يحرّم تحريماً قاطعاً هذه الجريمة المنكرة؟!

على أنّ بيوت الدعارة التي تمنحها الدولة رخصة لممارسة الرذيلة هي مباءة لتوزيع المخدّرات والمكيّفات السامّة، وترويج الاتّجار بالرقيق الأبيض من الفتيات القاصرات، كما أنّها مكامن اللصوص والمجرمين، يختبئون فيها بعد ارتكابهم جرائم

---

(١) انظر مجلّة «الفصول»، العدد: التاسع، مارس، سنة ١٩٣٢ م، مقال للدكتور فخري، عنوانه: «البغاء الرسمي، وهل الأفضل بقاء نظامه أو إلغاؤه؟». (المؤلّف).

(٢) كالزهري (السفلس)، والسيلان (Gonorrhea)، والكلاميديا (Chlamydia)، والحلأ التناسلي (Genital herpes)، والتوّلول (Warts)، والإيدز (Aids)، والكانديدياسيس (Candidiasis)، والترايكوموناسيس (Trichomoniasis)، وغيرها. راجع: الجنس والنفس ٢: ٢٤٨ ـ ٢٥١، الموسوعة النفسية الجنسية: ٦٢٣ ـ ٦٢٩.

السرقات والاختلاسات وخيانة الأمانات، حيث يبدّدون ما سرقوه من الأموال في هذه الأماكن الموبوءة، باستباحة كرامات الناس، وأعراضهم، ونشر الأمراض القاتلة بينهم.

وتناول الشيخ بعد ذلك الإجابة عن تلك الأسئلة، وقد وردت في غضون بحثه المستفيض، فقال في إجابة السؤال الأوّل: «إنّ الواجب شرعاً وطبعاً وعقلاً هو إلغاء البغاء الرسمي فوراً ودفعة واحدة، ولا يجوز بقاؤه بحال من الأحوال؛ للأسباب التي أوضحناها في المقدّمة، وهي المضار الصحّية والأخلاقية والدينية والمالية والاجتماعية التي بسطناها بإسهاب وتفصيل».

أمّا السؤال الثاني فتتلخّص إجابته في: أنّ من كان لها من البغايا أهل فإنّهم ينفقون عليها بعد إقناعهم بأنّها تابت، ومن تاب تاب الله عليه، فإن أبوا فعلى الدولة مساعدتهنّ على الحياة الشريفة بالإنفاق عليهنّ، أو بالعمل في المهن الشريفة التي تحسنها كلّ منهنّ. أمّا من كانت غنية فتؤمر بالكفّ عن البغاء، وتعيش عيشة الحرائر البعيدات عن هذه المهنة الدنيئة الحقيرة.

وجاءت إجابة السؤال الثالث في نحو أربع صفحات، ورد في مستهلّها: أنّ البغاء السرّي قديم ولا يمكن محوه، وإنّما يمكن تقليله وتضييق دائرته، وذلك بالعقوبة الشرعية، وتشديد الرقابة في الطرقات على الذين يتعرّضون للنساء، ومنع كلّ وسائل الإثارة الجنسية، وتدريس الدين في جميع المدارس، مع العناية في هذا بشرح سورتي النور والأحزاب شرحاً يتناسب ويتلاءم مع عقلية التلاميذ والتلميذات، وتبصير الأُمّة بخطر الزنى وأنّه منذر بفناء الأُمم، وتربية البنين والبنات تربية أخلاقية تهذّب النفوس وتكبح جماح الشهوات، وتطبع النشء بطابع العفّة والمروءة.

وتطرّق الشيخ بعد هذا إلى اللواط، فذكر أنّه جريمة منكرة محرّمة، وهو أقبح

من الزنىٰ، وله أضراره السيّئة البالغة، ومن أهمّها أنّه يصرف الرجل من المرأة، وقد يبلغ به الأمر إلى حدّ العجز عن مباشرتها، وبذلك تتعطّل أهمّ وظيفة من وظائف الزواج، وهي إيجاد النسل..

وحذّر الشيخ من شيوع هذه الجريمة في المجتمع الإسلامي؛ لأنّ في شيوعها إنذاراً بالهلاك والفناء، ويحلّ به ما حلّ بقوم لوط.

وفي إجابة السؤال الرابع حصر الوسائل التي يمكن بها تلافي أضرار الأمراض السرّية فيما يلي:

أوّلاً: إقناع الشعب بأنّ الأمراض السرّية هي السوس الذي ينخر في عظام الأُمّة، بل هي مقراض الأُمم ومقبرة الشعوب.

ثانياً: تصوير تلك الأمراض تصويراً ينفّر الناس منها، وذلك بواسطة شرحها للجماهير بالسينما والأشرطة والفانوس السحري[1].

ثالثاً: العناية بالشؤون الصحّية بواسطة النشرات الدورية، وتعميمها في المدن والقرى.

رابعاً: إلقاء المحاضرات الصحّية من رجال الفنّ وموظّفي مصلحة الصحّة، ولا بأس من الاستعانة بأئمّة المساجد، يصوغون التعاليم الصحّية وأضرار تلك الأمراض السرّية في قالب من الخطب الدينية المنبرية، فيستفيد جمهور كبير ممّن يحضرون المساجد يوم الجمعة لاستماع الخطب والعظات الدينية.

---

(١) الفانوس السحري أو فانوس الإسقاط (Magic lantern): جهاز بسيط لعرض الصور والخرائط والرسوم البيانية العادية والملوّنة بشكل مسلسل ومكبّر. وهو كناية عن مِسلاط (أداة لتسليط الصور على الشاشة) وحامل متحرّك للشرائح المنزلقة الشفّافة. يستعان به في المدارس وبعض المؤسّسات لشرح الموضوعات العلمية بأسلوب شبه سينمائي. (موسوعة المورد ٦: ١٦٩).

خامساً: عزل المصابين في مصحّات خاصّة.

وحَمَل الإجابة عن السؤال الخاصّ عنوان: «الخاتمة وصفوة القول»، جاء تحته: «فالواجب شرعاً وعقلاً وطبّاً أن يقضى على البغاء الرسمي دفعة واحدة، وبلا إمهال، أمّا إلغاؤه تدريجياً فهو بمثابة الانتحار البطيء»..

وجاء أيضاً: «إنّ كلّاً من الزنى واللواط محرّم في جميع الأديان من عهد آدم إلى يومنا هذا، فالقول بإباحة أحدهما كفر صراح، وخروج على الأديان كلّها، وخروج عنه جمعاء، فالقائل بذلك والمستحلّ ما حرّم الله هو رجل لا دين ولا ملّة له، فأيّ إنسان يرضى أن يكون مبيحاً لهذه الفاحشة إلّا إذا انسلخ عن الإنسانية فضلاً عن الدينية؟!»[1].

ويدلّ هذا البحث المستفيض عن وجوب إلغاء الزنىٰ الرسمي فوراً على غيرة إسلامية صادقة، وسعي حثيث لتطبيق أحكام الله، فهي مناط الخير والفلاح في الدارين، وحرص بالغ على إنقاذ الأُمّة من هذا البلاء، كما يشهد للشيخ في أنّه فيما يدلي به من آراء يعوّل على أهل الذكر والاختصاص، وهذا من أهمّ خصائص العلماء الذين لا يخوضون فيما لا يعلمون.

لقد جهد الشيخ برأيه وأصرّ على الإلغاء دون إبطاء مذكّراً بأنّه لا يجوز التسويف في هذا الإلغاء؛ لأنّه قد يوحي بأنّ هذه الجريمة النكراء لا بأس من إتيانها، ومن يقول بهذا فقد كفر بالأديان جميعها؛ لأنّها كلّها تحرّم الزنىٰ كما تحرّم اللواط.

وعلى الرغم من الأدلّة الدينية والعلمية التي اشتمل عليها البحث وأنّها كلّها تدعو إلى الإلغاء بلا إمهال، فإنّ اللجنة التي أُرسل إليها لم تتّخذ قراراً حاسماً في الموضوع، وظلّ البغاء الرسمي يمارس علناً في مصر، حتّى أُلغي في عهد إبراهيم

---

(١) نشر هذا البحث كاملاً في مجلّة «الإسلام»، السنة: الأُولى، ١٢ جمادى الثانية، سنة ١٣٥١هـ. (المؤلّف).

عبدالهادي[١] الذي خلف النقراشي[٢] بعد مقتله في رئاسة مجلس الوزراء، كما خلفه في رئاسة الحزب السعدي[٣].

ج ـ مشاركاته السياسية

لم يكن الشيخ المطيعي عالماً ضليعاً في فروع الدراسات الإسلامية بمفهومها

---

(١) إبراهيم عبدالهادي: رئيس حزب مصري، ورئيس وزراء، ورئيس الديوان الملكي. ولد من أُسرة المليجي بالدقلية (مصر) سنة ١٩٠٠ م. أدركته ثورة ١٩١٩ م طالباً بالحقوق، فعُرف بنشاطه الطلّابي الواسع، ورأس لجنة الطلبة الوفدية، واشتهر بملكته الخطابية، فحُكم عليه بالسجن ١٢ سنة عام ١٩٢٠ م بتهمة التآمر على الحكومة. فأُفرج عنه سنة ١٩٢٤ م. عيّن وزيراً لشؤون البرلمان ثمّ للتجارة والصناعة بوزارتي علي ماهر وحسن صبري، ثمّ وزيراً للأشغال، فالصحّة، فالخارجية، فالمالية في عدّة وزارات أُخرىٰ كوزارة أحمد ماهر وإسماعيل صدقي. أصبح عام ١٩٤٧ م رئيساً للديوان الملكي، وخلف النقراشي في رئاسة الوزراء، فنكّل تنكيلاً شديداً بالإخوان المسلمين، وفي سنة ١٩٥٢ م حكم عليه بالأشغال الشاقّة المؤبّدة، غير أنّه أُفرج عنه بعد سنوات عدّة. (موسوعة السياسة ١: ١٨ ـ ١٩).

(٢) محمود فهمي النقراشي: سياسي ورجل دولة مصري. ولد عام ١٨٨٨ م، وتلقّىٰ تعليمه بالإسكندرية والقاهرة ولندن، وانضمّ إلى «الوفد» عام ١٩١٩ م، واختير وكيلاً لوزارة الداخلية في عهد سعد زغلول، واختير عام ١٩٣٨ م وزيراً للداخلية، فالمعارف، فالمالية، فالخارجية عام ١٩٤٤ م. أصبح رئيساً للوزراء بعد مصرع أحمد ماهر عام ١٩٤٥م. اغتاله عام ١٩٤٨ م أحد أعضاء جماعة الإخوان المسلمين بعد عشرين يوماً من حلّها من قبله. (موسوعة السياسة ٦: ١١٣ ـ ١١٤).

(٣) حزب الوفد: حزب مصري قاد الحركة الوطنية الديمقراطية من عام ١٩١٩م حتّى أواخر الأربعينات من القرن الماضي. تألّف في ١٣ / تشرين الثاني / ١٩١٨ م بعد مقابلة سعد زغلول للمندوب السامي البريطاني للمطالبة بالاستقلال، وقد قام هذا الحزب بدور تأريخي حاسم في توحيد المسلمين والأقباط وتكوين الجامعة السياسية الوطنية، ونجح في انتخابات عام ١٩٢٣ م، فشكّل الوزارة سنة ١٩٢٤ م. من رؤسائه: سعد زغلول، مصطفىٰ النحّاس، مكرم عبيد، محمّد صبري أبو علم. تمّ حلّ هذ الحزب سنة ١٩٥٣ م. (موسوعة السياسة ٢: ٥٣٠ ـ ٥٣١).

المعاصر، وكذلك الدراسات العربية والتاريخية فحسب، وإنّما كان إلى هـذا رجـلاً اجتماعياً ومجاهداً وطنياً، وله بصماته في مجال القضايا السياسية منذ شبابه وحتّى الأعوام الأخيرة من عمره، ولعلّ تلمذته لجمال الدين الأفغاني، وما كان يتحدّث به هذا في مجالسه عن واقع الأُمّة ووجوب العمل الجاد لإخراجـها مـن ديـاجير[١] التخلّف والتسلّط والقهر والتدخّل الأجنبي في شؤونها، كان له الأثر في اهتماماته السياسية ومشاركته في النشاط الوطني لحماية الأُمّة ممّن يكيدون لها ولا يريدون أن تعيش عزيزة كريمة مستقلّة.

وكان أوّل ما تعرّض له بسبب مواقفه السياسية حين كان قاضياً بمديرية المنيا أن وشى في حقّه واشٍ من الكبراء إلى الخديو توفيق واتّهمه بأنّه مع الحركة العرابية، وذكر له واقعة اتّهمه بأنّه تولّى كبرها، فحنق عليه الخديو وعزم على إعدامه، فلجأ الشيخ إلى أُستاذه الشيخ المهدي، فقام في أمره مقاماً محموداً، ولم يزل بـالخديو حتّى رضي عنه.

ولمّا نهض مصطفى كامل[٢] يدعو إلى تحرير وطنه من المحتلّ الغـاصب، وسافر من أجل ذلك إلى بعض الدول الغربية يستحثّها عـلى مـعاونته مـن أجـل استقلال بلاده، اتّصل به الشيخ المطيعي، وبارك إنشاءه للحزب الوطني[٣]، وتعاون

---

(١) الديجور: الظلام. (القاموس المحيط ٢: ٢٨).

(٢) مصطفىٰ كامل باشا ابن علي محمّد: أحد مؤسّسي نهضة مصر الوطنية المعروفين. ولد في القاهرة سنة ١٨٧٤ م، وأحرز شهادة الحقوق من جـامعة «تـولوز» بـفرنسا قـبل بـلوغه العشرين، وكان خطيباً فصيحاً ساحر البيان. انصرف إلى مقاومة الاحتلال الإنجليزي بخطبه ومقالاته وكتبه، وأنشأ سنة ١٩٠٠ م جريدة «اللواء»، ودعا إلى إنشاء الحـزب الوطـني، وتوفّي شابّاً سنة ١٩٠٨ م. من مصنّفاته: فتح الأندلس، حياة الأُمم، الرقّ عند الرومـان، المسألة الشرقية، الشمس المشرقة. (معجم المطبوعات العربية ٢: ١٧٥٤ ـ ١٧٥٥، الأعلام للزركلي ٧: ٢٣٨ ـ ٢٣٩، موسوعة السياسة ٦: ٢٢٢).

(٣) الحزب الوطني: حزب مصري قاد الحركة الوطنية قبل الحرب العـالمية الأُولى. أسّـسه ←

بالرأي، وتوثّقت بينهما المودّة والصداقة.

وفي ١٩١٩ م هبّ الشعب المصري في ثورة اشترك فيها كلّ المواطنين رجالاً ونساءً للمطالبة بالاستقلال ورحيل جنود الاحتلال[١]، وقد اتّصل الشيخ بالقائمين بالحركة الوطنية الشعبية على الرغم من أنّه كان موظّفاً بالحكومة، وقد رأس الاجتماع العامّ بالأزهر، وقد تقرّر فيه توكيل الوفد الذي كان يرأسه سعد زغلول[٢] في المطالبة بحقّ مصر في الاستقلال، والمفاوضة فيه، وذهب على رأس

← مصطفىٰ كامل سنة ١٩٠٧ م، وكان برنامجه آنذاك يتضمّن السعي لاستقلال مصر، ونشر التعليم، وبثّ التعور الوطني، وإيجاد دستور يكفل الرقابة البرلمانية على الحكومة. وبعد وفاة مؤسّسه ترأس الحزب محمّد فريد، ثمّ انشقّ هذ الحزب، وعادى حزب الوفد، وتعاون بعض منشقّيه مع ثورة ١٩٥٢ م. تمّ إلغاؤه كلّياً سنة ١٩٥٣ م. (موسوعة السياسة ٢: ٥٢٩).

(١) الثورة المصرية عام ١٩١٩ م: ثورة سياسية هدفها المطالبة بالاستقلال عن بريطانيا وإجلاء قوّاتها المحتلّة، بدأت بمقابلة سعد زغلول وعلي شعراوي وعبدالعزيز فهمي المندوب السامي البريطاني عقب هدنة الحرب العالمية الأُولى للسماح لهم بالسفر لعرض مطالب مصر على الحكومة البريطانية، ورفض هذا الطلب، فتبع ذلك تأليف الوفد المصري عن طريق ما عُرف بحركة التوكيلات التي قامت بدور التعبئة السياسية للمطالب الوطنية مع إظهار رضا الرأي العامّ عن تمثيل هؤلاء القادة له. (موسوعة السياسة ١: ٩٢٥ ـ ٩٢٦).

(٢) سعد بن إبراهيم زغلول: من أبرز الشخصيات الوطنية المصرية في عصره. ولد في الغربية (مصر) سنة ١٨٥٧ م، وتعلّم في كتّاب القرية، ودخل الأزهر، فمكث فيه قرابة أربع سنوات، واتّصل بالسيّد جمال الدين الأفغاني، فلازمه مدّة، واشتغل بالتحرير في جريدة «الوقائع المصرية» مع الشيخ محمّد عبده. اشترك في الثورة العرابية سنة ١٨٨١م، فسجن شهوراً وأُفرج عنه. كان يحسن الفرنسية، وله إلمام بالألمانية والإنجليزية. حصل على إجازة الحقوق، فاشتغل في المحاماة، واختير قاضياً، فمُستشاراً، وتولّىٰ وزارة المعارف، فالحقّانية (العدل)، فوكالة رئاسة الجمعية التشريعية. وانُتخب عام ١٩١٩ م رئيساً لحزب «الوفد»، فنفي إلى مالطة، وعاد من المنفىٰ، فنفي إلى جزائر «سيشل» سنة ١٩٢٢ م. وفي سنة ١٩٢٤ م تولّىٰ منصب رئاسة الوزراء، فرئاسة مجلس النوّاب سنة ١٩٢٥م و١٩٢٦ م. توفّي سنة ١٩٢٧ م. (الأعلام للزركلي ٣: ٨٣).

جماعة من الوطنيّين إلى هيئة الوزارة، وعلى رأسها حسين رشدي[١] لمطالبتها بالاستقالة إذا لم تجب مطالبة الأُمّة في أن ينوب «الوفد» عنها في المطالبة باستقلالها.

ولم تتوقّف مشاركة الشيخ في الحركة الوطنية في ذلك الحين عند هذا الحدّ، بل تابع الحركة، وذهب إلى ممثّلي الهيئات السياسية في القاهرة، وقدّم إلى الجميع صورة من القرارات التي اتّخذت في اجتماع الأزهر، وكانت التقاليد الدبلوماسية تقضي بأن لا تقبل تلك الهيئات مثل هذه القرارات من رعايا دولة أُخرى مستظلّة بحمايتها، ولكن مكانته العالية وشخصيته الممتازة جعلت هذه الهيئات تسمح بمقابلته ومجاملته بتسلّم القرارات منه، وإن كانوا بينهم وبين أنفسهم يعتبرون المقابلة شخصية[٢].

موقفه من لجنة «ملنر»

وحين أدركت بريطانيا أنّ الحركة الوطنية في مصر ينمو نشاطها على نحو ينذر بثورة عارمة ضدّها عوّلت على إيفاد لجنة من علية رجالها للوقوف على المطالب المصرية، حتّى إذا وقفوا على تلك المطالب عن كثب عالجوا الحالة بالعلاج الناجع، وكان على رأس هذه اللجنة اللورد «ملنر»[٣].

---

(١) حسين رشدي باشا ابن طبوزاده محمّد حمدي باشا: من رجال السياسة والإدارة في مصر. ولد بالقاهرة سنة ١٨٦٣ م، وتعلّم بها وبباريس، وولّي وزارة الحقّانية، فرئاسة مجلس النظّار سنة ١٩١٤ م، وجُعل من أعضاء مجلس الشيوخ سنة ١٩٢٥ م، ثمّ تولّى رئاسته، إلى أن توفّي بالقاهرة سنة ١٩٢٨ م. كان فيه وقار ومرح وذكاء نادر. (الأعلام للزركلي ٢: ٢٣٧).

(٢) انظر مجلّة «الشبّان المسلمون»، عدد: صفر، سنة ١٣٥٥ هـ، ص: ٤٧٤ ـ ٤٧٥. (المؤلّف).

(٣) ألفرد ملنر: سياسي بريطاني، ولادته عام ١٨٥٤ م، ووفاته عام ١٩٢٥م. ساعد تصلّبه ←

وقد قاطع المصريّون تلك اللجنة مقاطعة تامّة، ومن خوطب منهم في شيء يتعلّق بمهمّتها كان يقول: «الكلام مع سعد زغلول، والمفاوضة مع هيئة الوفد»..

وكان للشيخ رأي خاصّ، وهو كما يقول الفرنسيّون: لا ونعم، أي: أنّه يقاطعها ولا يقاطعها..

أمّا مقاطعتها فمعناها أنّه لا يسعى إلى مقابلة أحد من رجالها، وأنّه لا يقاطعها إذا اتّصلوا به وسعوا إليه، وأنّه حينئذ لا ينبغي له أن يجبن عن إجابتهم إذا سألوه عن مطالب أُمّته وما يدعو إلى طمأنينتها وعودة الأُمور إلى مجاريها في نصابها الطبيعي اللائق.

وطوعاً لهذا الموقف زار اللورد «ملنر» الشيخ بمنزله بالزيتون، فقد ذهب إلى «سراي» فضيلته وبرفقته آخر في الساحة السادسة بعد ظهر يوم السبت ٢٠ / ديسمبر / ١٩١٩م، ولم ينصرفا إلّا عند منتصف الساعة التاسعة تقريباً، فكانت مدّة هذه المقابلة أطول مدّة قضاها اللورد في مقابلة أحد كبار المصريّين.

بدأ اللورد حديثه بالثناء على الشيخ: لصراحته في الرأي، وأنّه لهذا يأمل أن يقف منه بخصوص موقف المصريّين الذين ارتقوا كثيراً، وبلغوا شأواً أبعد مدى ممّا كانوا عليه سابقاً؛ إذ تقدّمت الصناعة، وراجت التجارة، وازدادت الثروة.

وشكر الشيخ اللورد على حسن ظنّه به، وذكر أنّه يعتقد أيضاً في صراحة اللورد، تلك الصراحة التي تدفع إلى القول بأنّ المصريّين تقدّموا تقدّماً مطّرداً في الحال الفكرية أيضاً، وهم من أجل ذلك يطلبون تمتّع بلادهم بالاستقلال التامّ الذي هو أُمنية الجميع.

ولمّا أخذ اللورد يفسّر معنى الحماية ويشرح الفوائد التي تعود على

← بوصفه مفوّضاً سياسياً في جنوب إفريقيا على نشوب حرب البوير (١٨٩٩ م ـ ١٩٠٢ م). أُوفد إلى مصر لدراسة الوضع فيها إثر ثورة عام ١٩١٩ م. فوضع تقريراً شهيراً أوصى فيه بإلغاء الحماية على مصر وإعلانها دولة مستقلّة ذات سيادة. (موسوعة المورد ٧: ٣٣).

المصريّين أوّلاً وعلى الإنجليز ثانياً، قال له فضيلة الشيخ: «إنّ المصريّين يعرفون وحدهم ما ينفعهم وما يضرّهم، وهم إذا أجمعوا على المطالبة بالاستقلال التامّ فما ذلك إلّا لاعتقادهم يقيناً أنّه خير وسيلة لرقيهم، فيجب تحقيق طلبهم، وإذا كانت إنجلترا تريد حقيقة جعل مصر في أمن وسلام من كلّ اعتداء خارجي فحسب فيمكنها الاتّفاق على ذلك مع الدول الأُخرى».

وكان من ضمن كلام الشيخ أن قال: «إنّ تألّم المصريّين من إعلان الحماية كتألّم الإنجليز إذا أعلنت فرنسا عليهم الحماية فعلاً»، فقال اللورد: «إنّ مصر ليست كإنجلترا التي عاشت طول عمرها مستقلّة»، فقال الشيخ: «وكذلك مصر العريقة في المجد».

ثمّ قال اللورد: «إنّه يحسن بالمصريّين أن يتقابلوا مع الإنجليز في منتصف الطريق»، فقال الشيخ: «إنّي موافق على ذلك أيضاً، ويا حبذا لو تقدّمت إنجلترا إلى منتصف الطريق بما رسمته هي من الخطط السياسية»، وأكّد الشيخ له بأنّ المصريّين طيّبو القلب وإرادتهم قويّة، وقد عرفوا معنى الحياة، وعزموا عزماً أكيداً على الفوز بها اليوم أو غداً.

وأشار اللورد في حديثه إلى بلاغ السادة العلماء، وأبدىٰ ما يدلّ على اهتمامه العظيم به، ثمّ قال: «إنّ انجلترا تعدّ مصر خيراً».

وما كادت الصحف تنشر ما جرى في هذا اللقاء حتّى أرسلت جهات عدّة تحيّي الشيخ على موقفه، ومن هذا ما بعث به علماء معهد الإسكندرية التلغراف الآتي: «لا زلت لعلماء الدين إماماً، وفي نصرة الحقّ سبّاقاً ومقداماً».

وقد نقل هذا الحديث الذي كان بين الشيخ واللورد «ملنر» إلى سعد زغلول، فسرّه ذلك، وأرسل إلى المفتي خطاباً قال فيه:

«باريس ٢٦ يناير سنة ١٩٢٠م.

حضرة صاحب الفضيلة مفتي الديار المصرية:

أكتب إلى فضيلتكم عن ابتهاج عظيم بالأجوبة التي أجبتم بها اللورد «ملنر»

في داركم العامرة، وقد أيّدت الحقّ بالحجج الناهضة، ودحضت الباطل بالإنارات الواضحة، وكانت أحسن وقعاً وأبلغ أثراً من المقاطعة، ولا غرو فهي أجوبة أكبر مفتي في الإسلام، رضي الله عنكم وأرضاكم، وسدّد خطانا وخطاكم، آمين[١].

سعد زغلول»

وهذه المواقف البطولية الوطنية للشيخ حقيقة تاريخية لا مراء فيها؛ لأنّ الذي تحدّث عنها أُستاذ التاريخ الإسلامي بالجامعة المصرية وبالأزهر الشريف[٢]. وكان يكتب تاريخ الثورة المصرية يومياً على صفحات «البلاغ» تحت عنوان «الأيّام الحمراء»، فهو من ثمّ مؤرّخ معاصر للأحداث، يتحدّث عنها عن مشاهدة وعيان، ويصف عن يقين لا يتطرّق إليه الكذب ما شاهده وسمع به.

ولكن بعض المعاصرين من الذين لا يحبّون أن يحمد لأعلام الإسلام فضل في مقاومة الباطل وإظهار الحقّ أوعزوا لمن يكتب في صحفهم الحمراء أنّ ما يقال عن جهاد الشيخ السياسي ملفّق لا أصل له، ولم يشر إليه من كتبوا تاريخ الثورة!

والواقع أنّ ما كتب من هذا الجهاد لا يعرف التلفيق؛ لأنّه يعتمد على أحداث شهيرة ووقائع مدوّنة، والذين يقولون بأنّ هذا الجهاد ملفّق هم الذين يلفّقون فيما اخترعوه من بطولات زائفة وأساطير موهومة، فظنّوا أنّ من يكتب التاريخ على وجهه الصحيح يخترع كما يخترعون ويلفّق كما يلفّقون!

وإذا كان بعض من كتبوا تاريخ الثورة المصرية قد تجاهلوا هذه المواقف الرائعة، فلأنّهم اهتمّوا بمواقف الزعماء من رجال الأحزاب التي ينتمون إليها، أمّا الحقّ لوجه الحقّ فلا يسطّره غير الأفاضل الأماثل ممّن يعلمون أنّ كتابة التاريخ شهادة أمام الله يحاسب عليها الكاتب يوم يقوم الناس لربّ العالمين، ومن هؤلاء

---

(١) انظر مجلّة «الشبّان المسلمون»، عدد: صفر، سنة ١٣٥٥ هـ، ص: ٤٧٤ ـ ٤٧٨. (المؤلّف).

(٢) هو الشيخ عبدالوهاب النجّار. (المؤلّف).

فضيلة الأُستاذ الكبير الشيخ عبدالوهاب النجّار[١].

دعوته لحقن الدماء بين عاهلي جزيرة العرب

لم تكن مشاركات الشيخ السياسية خاصّة بوطنه مصر، وإنّما شملت أقطاراً إسلامية أُخرى؛ لأنّ «من لم يهتمّ بأمر المسلمين فليس منهم»[٢]، فضلاً عن أنّ الرجل كان علماً على مستوى العالم الإسلامي بعلمه ومواقفه الشجاعة التي تخدم الأُمّة وتدفع عنها أوزار التفرقة والاحتلال والضعف والتخلّف، ومن هذه المواقف دراسة كتبها في صورة نصيحة عامّة، فالدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمّة المسلمين وعامّتهم، لعاهل نجد والحجاز، وهو الملك عبدالعزيز بن سعود[٣] (ت: ١٣٦٧ هـ /

---

(١) انظر النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٣: ٣٤١.

والشيخ عبدالوهاب النجّار: باحث يُسلك في عداد المؤرّخين، من فقهاء مصر. ولد سنة ١٢٧٨ هـ، وتخرّج في مدرسة دار العلوم سنة ١٣١٥ هـ، واشتغل بالمحاماة الشرعية. عُيّن مدرّساً للأدب والشريعة في كلّية الخرطوم، فأُستاذاً للتاريخ الإسلامي في الجامعة المصرية القديمة، فأُستاذاً للشريعة في دار العلوم، واشترك في أكثر الجمعيات الإسلامية، وفي مقدّمتها جمعية «الشبّان المسلمين». له عدّة مؤلّفات، منها: تاريخ الإسلام في ستّة أجزاء، وقصص الأنبياء، وتاريخ الخلفاء الراشدين، والأيّام الحمراء، وهو مفصّل أخبار الثورة المصرية سنة ١٩١٩ م على طريقة «يوميّات الجبرتي». توفّي سنة ١٣٦٠ هـ / ١٩٤١ م. (الأعلام للزركلي [٤: ١٨٢ ـ ١٨٣]). (المؤلّف).

(٢) هذا مضمون حديث ورد بألفاظ مختلفة، كلّها تصبّ في معنىً واحد. لاحظ: المعجم الأوسط للطبراني ١: ٢٩٤ و ٨: ٢٣٠، تحف العقول: ٤١، المستدرك للحاكم ٤: ٣٥٢، تاريخ مدينة دمشق ٢١: ٢٠٧، النوادر للراوندي: ١٤٢، الدرّ المنثور ٣: ٢٣٨، وسائل الشيعة ١٦: ٣٣٦، كشف الخفاء ٢: ٣٦٨.

(٣) عبدالعزيز بن عبدالرحمان بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمّد آل سعود: ملك المملكة العربية السعوية الأوّل. ولد في الرياض سنة ١٨٧٦ م، واستقرّ مع أبيه في الكويت سنة ١٨٩١ م، وشبّ فيها، وشنّ الغارات على آل رشيد وأنصارهم، حتّى استطاع السيطرة على جميع الحجاز، ونودي به ملكاً عليها وعلى نجد. فاض «البترول» في بلاده، فانتعشت ←

١٩٥٣م) وعاهل اليمن الإمام يحيى بن محمّد بن يحيى حميد الدين[١] (ت: ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨م) بسبب الحرب التي نشبت بينهما واستمرّت نحو خمس سنوات (١٩٢٩ م ـ ١٩٣٤ م)، وكان الخلاف الذي أدّىٰ إلى هذه الحرب مردّه إلى السيطرة على منطقة عسير[٢] التي كان يحكمها الأدارسة، فاليمن تريد ضمّها إليها، ويرفض الملك عبدالعزيز ما تريده اليمن، وانتهت هذه الحرب باتّفاقية الطائف سنة ١٩٣٤م، وبمقتضى هذه الاتّفاقية رسمت الحدود بين اليمن ومنطقة عسير التي أصبحت جزءاً من المملكة العربية السعودية[٣].

← وأتجهت صوب العمران، وقام ببعض الأعمال الإصلاحية لبلاده. توفّي في الطائف سنة ١٩٥٣ م، ودفن في الرياض، وخلفه على الحكم ابنه سعود الأوّل. (الأعلام للزركلي ٤: ١٩ ـ ٢١).

(١) يحيىٰ بن محمّد بن يحيىٰ حميد الدين: ملك اليمن، ومن أئمّة الزيدية. ولد بصنعاء سنة ١٨٦٩ م، وتفقّه وتأدّب فيها، وولّي الإمامة بعد وفاة أبيه سنة ١٩٠٥م، وكانت صنعاء في أيدي العثمانيين، فهاجمها ودخلها، ثمّ أُخذت منه، فأعاد الكرّة وهكذا، حتّى أخذها نهائياً بعقد صلح سنة ١٩١٩ م، فخلص له ملك اليمن استقلالاً، وطالت أيّامه. تآمر عليه ابنه إبراهيم مع بعض خاصّته (ابن الوزير)، فقتلوه بالقرب من صنعاء سنة ١٩٤٨ م. وقد خلّف (١٤) ولداً يلقّبون بسيوف الإسلام، وكان شديد الحذر من الأجانب، آثر العزلة في حدود بلاده. (موسوعة السياسة ٧: ٤٠٠ ـ ٤٠١).

(٢) عسير: إحدىٰ مناطق المملكة العربية السعودية الثلاث عشرة التي حدّدها نظام المناطق السعودي، وهي تقع في أقصىٰ الجنوب الغربي للمملكة، وتحدّها من الشرق منطقتا الرياض ونجران، ومن الشمال والغرب منطقة مكّة المكرّمة، وترتفع عن مستوى سطح البحر بنحو ٢٠٠٠ م في المتوسّط. وهي تتكوّن من عدد من المحافظات: خميس مشيط، بيشة، النماص، محايل، سراة عبيدة، تثليث، رجال ألمع، أحد رفيدة، ظهران الجنوب، بلقرن، المجاردة. والعاصمة هي مدينة أبها، وعدد سكّانها يقرب من المليونين نسمة، وتصل مساحتها إلى نحو ٧٠٠٠٠ كم٢. (الموسوعة العربية العالمية ١٦: ٢٥٠).

(٣) أخبرني بتاريخ هذه الحرب واتّفاقية الصلح الأُستاذ الدكتور رأفت الشيخ أُستاذ التاريخ الحديث بجامعة الزقازيق. (المؤلّف).

فقد سفكت في هذه الحرب دماء المسلمين، وقد آلم الشيخ المطيعي ما جرى بين عاهلي الجزيرة من شقاق وإراقة للدماء، فكانت هذه الدراسة التي جمعت بين النصيحة والبحث العلمي[١]، وقد عرض فيها أوّلاً لرسالة الجهاد في الإسلام، وأنّه ليس سفكاً للدماء تراق ظلماً وعدواناً، ولا طلباً للدنيا، ولا رغبة في ملك، ولا توسّعاً في استعمار، ولا حبّاً في إذلال العباد، ولا إكراهاً في دين، ولا قهراً للنفوس، ولا جمعاً للأموال، وإنّما الجهاد في الإسلام تشريع سام يقصد به إعلاء كلمة الله تعالى، ونصرة دينه، وحماية الدعوة، وتأمين كلمة التوحيد حتّى تشقّ طريقها إلى القلوب في رغبة صادقة واقتناع كامل.

ويخلص الشيخ من هذا بعد ذكر بعض الآيات القرآنية التي لا تأذن بالحرب إلّا عند الاعتداء على المسلمين، والتي تدعو إلى إعداد القوّة، والتي تأمر ببرّ المخالف في الدين متى سالمنا ولم يؤلّب علينا عدوّاً، يخلص إلى تساؤل عمّا جرى فيقول: «إذاً فعلام هذه الحرب بين العاهلين الكبيرين، وكلاهما إمام مسلم وقدوة في الإسلام؟! وما بال دماء المسلمين تراق بأيديهم، وهي عزيزة علينا وعظيمة عند الله؟! أهي جهاد في سبيل الله؟! أهي ضرورة لردّ عدوان الأعداء؟! أفيها مصلحة لأحد من المسلمين. أالله أذن بها؟! كلّا. وإنّما هي فتنة يبوء بإثمها من أيقظها من نومها، وأرسلها ناراً يصلى بها المسلمون دون خلق الله!».

ثمّ بيّن حكم الله في القتال بين الفريقين المسلمين، مذكّراً بأنّ من حمل السلاح علينا فليس منّا، وأنّ القتل العمد جريمة لها عقابها العظيم، وأنّ الرسول ﷺ في حجّة الوداع حرّم الدماء والأموال والأعراض، فما يجري بين العاهلين مخالف لما شرع الله، وعليهما أن يتحاكما إلى القرآن والسنّة، وأن يوقفا رحى القتال بينهما، ويحقنا الدماء التي لا تباح إراقتها إلّا في سبيل الله.

---

(١) نشرت في مجلّة «الإسلام»، العدد: الثاني، من السنة: الثالثة، في أربع صفحات. (المؤلّف).

وذكر بعد هذا واجب المسلمين حيال الفريقين المتنازعين، وهو التدخّل للإصلاح، والنزول على حكم الله، والأخذ بمبدأ التحكيم في الإسلام؛ إبقاءً على وحدة العرب، وإشفاقاً على عرى الإسلام أن تنفصم، وعقدة الجامعة الإسلامية أن تنفرط.

وكان ختام هذه النصيحة التأكيد على ما يجب على المسلمين في كلّ زمان ومكان، وهو الاتّحاد، وأن يكون شعارهم دائماً: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[١]، فالاتّحاد سبب السعادة، وهو أفضل سلاح تشهره الأُمم الضعيفة في وجوه الأقوياء، وقد أمرنا الله بالاعتصام بحبله وعدم التفرّق أو التنازع؛ حتّى لا تذهب ريح الأُمّة، ويعدو عليها غيرها، فيذلّها وينهب ثرواتها.

وأخيراً يقول: «يا أهل نجد والحجاز واليمن، هذا صوت الرسول ينذركم، وحكم الله في كتابه الكريم يناديكم: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً﴾[٢]. ولقد أبرأت ذمّتي، ونصحت لكم، وأنا على يقين بأنّكم ستنزلون على حكم الله، وقد ذكّرتكم به وفي مقدوركم أن توقفوا القتال، وتحسموا مادّة النزاع، ولا تشفع تلك الأعذار المهلهلة، فإنّها لن تغني عنكم من الله شيئاً، ورجاؤنا في الله أن يلهمكم الصواب والحكمة والرشاد: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلإِصْلَاحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[٣]».

وعلّق رئيس تحرير مجلّة «الإسلام» على هذا البيان الموجّه إلى عاهلي جزيرة العرب، فقال: «ذلك البيان الشامل المؤثّر الذي جمع من النصح والإرشاد للمسلمين عامّة، وللنجديّين واليمنيّين خاصّة ما لم يجمعه كتاب ولم يتضمّنه بيان

---

(١) سورة الفتح ٤٨: ٢٩.

(٢) سورة الأحزاب ٣٣: ٣٦.

(٣) سورة هود ١١: ٨٨.

والذي تأيّدت كلماته الجامعة ونصائحه الرشيدة بالحجج الناصعة والبراهن القاطعة من آي الذكر الحكيم والأحاديث الشريفة والسنن الصحيحة والفكرة الصائبة، ممّا لم يدع بعده قولاً لقائل.

هذا البيان كان له من حسن الوقع في النفوس وقوّة التأثير في القلوب ما حمل جماعة كبيرة من قرّاء المجلّة أن يحملوا إلينا بالبريد والبرق رسائل الشكر والتهنئة والتقدير والإعجاب بهذا البيان الناصع الشافي المعبّر عمّا يشعر به كلّ مسلم من الحسرة والألم لما حلّ بجماعات المسلمين من فرقة وشتات وعداوات ومنازعات وتفكّك وانحلال».

وهذه الكلمات من رئيس التحرير ليست للمجاملة ، ولكنّها تعبير صادق عن أثر ما وجّهه الشيخ إلى عاهلي جزيرة العرب في نفوس المسلمين، إنّها رسالة أُخوّة تؤكّد أنّ من لم يهتمّ بأمر المسلمين فليهتمّ، وأنّ هذا الاهتمام ليس مقصوراً على شعب دون آخر؛ لأنّ الولاية بين المؤمنين والمؤمنات تفرض على كلّ مسلم أن يكون لأخيه كاليدين تغسل إحداهما الأُخرى، ولهذا كان الشيخ بتلك المشاركات السياسية يصدر عن عاطفة دينية ومسؤولية إسلامية، والأُمّة تظلّ بخير مادامت هذه المسؤولية وتلك العاطفة حيّة نامية في المشاعر والضمائر والأقوال والأفعال، وبغير ذلك تفقد الأُمّة أهمّ عوامل وحدتها وقوّتها وخيريتها وشهادتها على غيرها من الأُمم.

د ـ التواضع، والكرم، وحبّ الدعابة

إنّ مكانة الشيخ وما حظي به من منزلة بين الشعوب الإسلامية، وكثرة ما كان يوجّه إليه من أسئلة، وما ألّف من كتب وألقى من محاضرات، لم يكن ذريعة للاستعلاء أو التيه على غيره من الأقران والعلماء، وذلك لإيمانه بأنّ ما تمتّع به من طاقات علمية نعمة جزيلة أسبغها الله عليه، ومن حقّ هذه النعمة شكرها وإذاعتها

بين الناس؛ لتظلّ نوراً يبدّد ظلمات الجهل والتخلّف، ويهدي الجميع سواء السبيل.

إنّ البخل بالعلم لؤم وظلم، وكتمانه شرّ دائم، ولو استنّ الناس بذلك ما انتقل علم من جيل إلى جيل، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾(١).

وروي عن رسول الله ﷺ(٢) أنّه قال: «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة»(٣).

وجاء عن الإمام علي (كرّم الله وجهه): «ما أخذ الله العهد على أهل الجهل أن يتعلّموا، حتّى أخذ العهد على أهل العلم أن يعلموا»(٤).

والشيخ المطيعي كان مثالاً حيّاً للعالم الذي لا يبخل بما أنعم الله عليه، لقد بذل في سخاء، ومن ثمّ كان يتلقّى الرسائل من شتّى البلاد الإسلامية تستفتيه فيما يواجهون من قضايا تتعلّق بأُمور دينهم، وكان الرجل لا يتوانى في الردّ على كلّ رسالة، بل استعان ببعض تلاميذه لمعاضدته في ذلك مقابل ما كان يدفعه لهم من ماله الخاصّ.

إنّ هذا السلوك العلمي يعدّ امتداداً لما سار عليه السلف الصالح من بذل العلم حسبة وتقرّباً إلى الله، كما يعدّ تواضعاً وكرماً وإيماناً صادقاً بالمسؤولية التي يتحمّلها العلماء في تبصير الأُمّة بأحكام دينها، حتّى يكون الناس على بيّنة وبصيرة وهداية واستقامة.

---

(١) سورة آل عمران ٣: ١٨٧.

(٢) انظر: مسند أحمد ٢: ٢٦٣ و٢٩٦ و٣٠٥ و٣٥٣ و٤٩٥، سنن ابن ماجة ١: ٩٧ و٥٩٨، سنن أبي داود ٣: ٣٢١، مسند أبي يعلى ٤: ٤٥٨.

(٣) رواه الإمام الترمذي في كتاب العلم [٥: ٢٩]. (المؤلّف).

(٤) أدب الدنيا والدين، للماوردي: ٦٣، ط القاهرة. (المؤلّف).

أقول: قارن: الكافي ١: ٤١، خصائص الأئمّة للشريف الرضي: ١٢٥، نهج البلاغة: ٥٥٩، تفسير البغوي ١: ٣٨٣، زاد المسير ٢: ٦٨ ـ ٦٩.

ولم يكن كرم الشيخ محصوراً في بذل العلم والإنفاق في سبيل تبليغه إلى من يطلبه، وإنّما كان يوزّع ما يأخذه من نظارة بعض الأوقاف على الفقراء من أهل العلم وغيرهم في المواسم والأعياد.

ويقول عنه بعض تلاميذه: «وأمّا عن صلات البرّ والإحسان التي كان يصل بها في السرّ بعض المعوزين والبائسين فحدّث عن الحنان الأبدي والكرم الحاتمي ولا حرج، وكثير ممّن لم ينتفع بماله انتفع بجاهه»[١].

وأطبقت كلمة الذين ترجموا له أو تحدّثوا عنه أنّه كان فيه زكانة[٢] شاهدة، ودعابة لطيفة[٣]، فهو ـ [وذلك] على حدّ تعبير بعضهم ـ يحبّ الدعابة الحلوة، والنكتة الظريفة المستملحة[٤]. وهذا يعني أنّ الشيخ لم يكن على علمه الغزير متزمّتاً منغلقاً جهم الوجه، وإنّما كان رجلاً يهشّ للترويح المهذّب، والمزاح الذي لا يخرج عن الحقّ، ولا يعرف الابتذال، أو ما لا يليق بكرامة الإنسان.

ويتّضح من الحديث المجمل عن تلك الملامح العامّة لشخصية الشيخ المطيعي أنّ هذه الشخصية تميّزت بالورع، والبعد عن الشبهات، ومعايشة واقع الأُمّة بمشكلاته الفكرية والاجتماعية والسياسية، والإسهام في معالجة هذه المشكلات من منظور إسلامي. وكانت إلى هذا تتمتّع بروح الدعابة والكرم، إنّها شخصية مجاهدة أنفقت عمرها كلّه في طلب العلم وتدريسه، والفصل في المنازعات القضائية، والإفتاء والتأليف، وإلقاء المحاضرات، والضرب على أيدي الملحدين والذين في قلوبهم مرض من المبشّرين والمستشرقين، فضلاً عن المشاركة في الجهاد الوطني، فهو أشبه بالبحر من أيّ النواحي أتيته استقيت منه، ثمّ هو البحر في

---

(١) انظر مجلّة «الإسلام»، العدد: الخامس، من شعبان، سنة ١٣٥٤ هـ، ص: ٣٩. (المؤلّف).

(٢) الزَّكَن: التفرّس والظنّ. (صحاح اللغة ٥: ٢١٣١).

(٣) انظر مجلّة «الرسالة»، السنة: الثالثة، ص: ١٧٥. (المؤلّف).

(٤) انظر مجلّة «الإسلام»، عدد: ١٨، من شعبان، سنة ١٣٥٤ هـ، ص: ١٢. (المؤلّف).

جلاله وهديره لا ينقص منه شيء، ولم يتح لعالم أزهري قديماً وحديثاً ما أُتيح للشيخ من خدمة العلم والدين والتوفّر على البحث والتنقيب طيلة حياته، فلا غرو أن أدّت هذه الشخصية رسالتها في الحياة على أحسن وجه وأكرم غاية[١].

* * *

(١) انظر مجلّة «الإسلام»، عدد: ١٨ شعبان، سنة ١٣٥٤ هـ. (المؤلّف).

المبحث الثالث

ثقافته ومنزلته بين علماء عصره

تطلق الثقافة على كلّ ما فيه استنارة للذهن وتهذيب للذوق وتنمية لملكة النقد والحكم لدى الفرد أو في المجتمع، وتشتمل على المعارف والمعتقدات والفنّ والأخلاق، وجميع القدرات التي يسهم بها الفرد في مجتمعه[1].

ولها طرق ونماذج عملية وفكرية وروحية، ولكلّ جيل ثقافته التي استمدّها من الماضي وأضاف إليها ما أضاف في الحاضر، وهي عنوان المجتمعات البشرية.

ويفرّق بينها وبين الحضارة على أساس أنّ الأُولىٰ ذات طابع فردي وتنصبّ بخاصّة على الجوانب الروحية، في حين أنّ الحضارة ذات طابع اجتماعي ومادّي[2].

وطوعاً لهذا المفهوم الشامل للثقافة فإنّ الشيخ المطيعي اتّسمت ثقافته بالجمع بين الماضي والحاضر على هدى وبصيرة، كما اتّسمت بالعمق والتنوّع والمتابعة لكلّ جديد من الأفكار والآراء والمشكلات، مع الإسهام في دراستها ونقدها، وقد غلب عليها في أيّام شبابه الثقافة الفقهية التقليدية التي تعوّل كثيراً على النصوص التراثية مع جهد علمي محدود في الترجيح بين الآراء، وتجلّى ذلك في مؤلّفاته وفتاويه في تلك المرحلة من حياته، ثمّ أخذ بعد ذلك بنصيب وافر من الأدب والثقافة العامّة، فعرفت كتاباته الأُسلوب الأدبي، وتجاوزت ثقافته نطاق التخصّص العلمي الدقيق إلى مجالات الدراسات الفكرية والاجتماعية والسياسية والتاريخية

---

(١) لاحظ: موسوعة لالاند الفلسفية ١: ٢٤١، الموسوعة العربية العالمية ٨: ٣٨، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية: ٩٢.

(٢) المعجم الفلسفي: ٥٨، إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة. (المؤلّف).

والأدبية، ومردّ ذلك إلى أنّ الشيخ كان في كلّ أطوار حياته لا يملّ الاشتغال بالقراءة ومدارسة العلم ومواصلة البحث، ومن ثمّ كان المثل الأعلى للاطّلاع الواسع، والعزيمة الماضية، والهمّة العالية..

يقول عنه أحد تلاميذه: «ومن عجيب صبره وقوّة جلده أنّه كان يمكث أمامي على مكتبه يطالع في كتاب التفسير للآلوسي[١] ستّ ساعات متواليات دون ملل أو سآمة، وكثيراً ما كان ينسى ميعاد الغداء، ولولا أنّي أُنبّه فضيلته إلى أنّ وقت الظهر كاد يخرج ما كان يفارق الكتاب الذي بيده، يطالع ويدوّن على هامش أيّ كتاب ما يعنّ له من آراء وملاحظات، تعرف منها ـ لو قدّر لك الاطّلاع عليها ـ أنّه نابغ محقّق ذو ثقافة كاملة وتكوين تامّ، مع اعتدال وشجاعة نادرتين»[٢].

ويقول تلميذ آخر[٣]: «وكان لا يملّ الاشتغال بالعلم على كبر سنّه، تلك

---

(١) أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الآلوسي البغدادي: مفسّر شهير. ولد ببغداد سنة ١٢١٧ هـ، وتدرّج في المراحل العلمية حتّى غدا رجلاً يشار إليه بالبنان. وهو مفسّر محدّث أديب مجتهد سلفي الاعتقاد. تقلّد الإفتاء ببغداد سنة ١٢٤٨ هـ، وعزل، فانقطع للعلم، ثمّ سافر سنة ١٢٦٢ هـ إلى الموصل، فالآستانة، ومرّ بماردين وسيواس، وغاب ٢١ شهراً، وأكرمه السلطان عبدالمجيد، وعاد إلى بغداد مدوّناً رحلاته. توفّي ببغداد سنة ١٢٧٠هـ مخلّفاً عدّة تصانيف، منها: روح المعاني، نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول، غرائب الاغتراب، الخريدة الغيبية، الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية. (الأعلام للزركلي ٧: ١٧٦ ـ ١٧٧).

(٢) مجلّة «الإسلام»، عدد: ٥، من شعبان، سنة ١٣٥٤ هـ. (المؤلّف).

(٣) بمناسبة الحديث عن تلاميذ الشيخ، أُورد هنا أسماء بعض من تتلمذوا على يديه: الشيخ محمّد مصطفى المراغي، الشيخ عبد المجيد سليم، الشيخ محمّد مأمون الشنّاوي، الشيخ الظواهري، الشيخ أحمد حسين، الشيخ محمّد محمّد عبد الرحمان الحنيفي الحلبي، وغيرهم.

راجع: معجم المطبوعات العربية ١: ٨٠٠، الفتح المبين ٣: ١٨٣ ـ ١٨٤، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٦٢٥.

الظاهرة العجيبة التي كانت تدهشني حينما أحسّ بالتعب يصرعني، وأنا أقرأ له المصادر وأُرتّبها وأُلخّصها، وهو صامد كأنّه في روضة من رياض الجنّة، حتّى إذا ما ألحّ بيّ التعب قلت له: حسبنا مصادر، ألم يكفك عشرة كتب في الاطّلاع على موضوع واحد؟! فيتأوّه ويقول: لقد علّمتني الكسل، فقد كنت قبلاً أُراجع في الفتوى الواحدة عشرين كتاباً على الأقلّ. ثمّ يقول: يا ويح الشباب في هذا الزمن! فإذا قمنا إلى الصلاة كان أسرعنا إلى أدائها، حتّى إذا انتهينا منها كان أسبقنا إلى المكتبة يطلب مواصلة البحث، فإذا فاجأنا زائر أو ذو حاجة سررت أنا وزميلي الذي كان يعمل معي، ريثما يقضي الزائر حاجته لنستريح نوعاً ما، فإذا قضى الزائر وطره حاسبنا الشيخ على الزمن، واستأنف البحث، وطلب قراءة الدرس الذي كان يواظب عليه، ويعدّه فرضاً لا مناص منه»[1].

والشيخ مع إقباله على العلم والتعلّم والاطّلاع الواسع كان مثلاً عالياً في الذكاء والعبقرية وتوقّد القريحة، ومن ثمّ كان واسع الآفاق رحب المدارك، يتناول كلّ علم تناول المتخصّص الدارس، فيبزّ المتخصّصين ويفوق الدارسين.

التنوّع الثقافي للشيخ المطيعي

إنّ من كان مثل الشيخ في عكوفه على القراءة، والتبحّر في العلم، والتمتّع بالموهبة العقلية والذكاء والعبقرية، وما كتب من مؤلّفات، وألقى من محاضرات، وسطّر من فتاوى ودراسات، وعاش مشكلات الأُمّة يعالجها بالحكمة والموعظة الحسنة، يكون بلا مراء متعدّد المجالات الثقافية والفكرية، وتكون حياته كلّها سلسلة من الجهاد في شتّى المجالات العلمية والاجتماعية والسياسية.

---

(١) انظر مجلّة «الإسلام»، عدد: ٥، من شعبان، سنة ١٣٥٤ هـ. (المؤلّف).

لقد ألّف الشيخ في كلّ العلوم الإسلامية بمفهومها المعاصر[١]، ألّف في علوم: القرآن، والسنّة، والسيرة النبوية، وعلم التوحيد، والأُصول، والفقه، والتاريخ. وكان إلى هذا يلمّ بالعلوم الفلسفية والعقلية والأدبية، بل إنّ قوّته في هذه العلوم لا تقلّ عن قوّته في العلوم الشرعية[٢].

ولقد أفاض المتحدّثون عنه بعد وفاته، فأشادوا بمكانته العلمية وتشعّب اهتماماته الثقافية، فيرى بعضهم[٣] أنّه كان أعلم جيله بدقائق الفقه الحنفي، وأبسطهم لساناً في وجوه الخلاف بين أصحاب الشافعي[٤] وأصحاب أبي

---

(١) يطلق مصطلح العلوم الإسلامية في العرف المعاصر على الدراسات التي تتّصل بالإسلام عقيدة وشريعة اتّصالاً مباشراً، كالتفسير والحديث والتوحيد والفقه، وهذا الإطلاق ـ وإن أخذ طابع المصطلح ولا مشاحنة فيه ـ لا يعني إسلامياً أنّ ما سوى تلك الدراسات كالأدب والطبّ والفلك والزراعة وغيرها من العلوم النافعة للإنسان ليست إسلامية؛ وذلك أنّ مفهوم العلم في الإسلام واسع الدائرة، ويشمل كلّ علم يحمي الإنسان من أمراض النفس والعقل والجسم، ويتيح له أن يستعمر الأرض كما أراد الله، فذلك الإطلاق يصبح إذن من باب العامّ الذي أُريد به الخاصّ. ومع ذلك تجدر الإشارة إلى أنّ عدوى تغلغل المفاهيم غير الإسلامية في المجتمع الإسلامي لأسباب مختلفة قد رسّخ في أذهان المثقّفين المسلمين أنّ من العلوم ما هو ديني، ومنها ما ليس كذلك، ولذا وجب التأكيد على هذه الحقيقة، وهي أنّ مصطلح العلوم الإسلامية هو من قبيل العامّ الذي خصّصه العرف، وأنّ كلمة الدراسات الإسلامية يجوز أن تطلق على كلّ دراسة تقدّم خيراً للبشرية. (انظر منهج البحث في العلوم الإسلامية، للمؤلّف، ص: ١٢ (الهامش)، ط: ٢). (المؤلّف).

(٢) انظر مجلّة «الإسلام»، عدد: ٥، من شعبان، سنة ١٣٥٤ هـ. (المؤلّف).

(٣) انظر مجلّة «الرسالة»، السنة: الثالثة، ص: ١٧٥٧. (المؤلّف).

(٤) أبو عبدالله محمّد بن إدريس بن العبّاس بن عثمان بن شافع الشافعي القرشي: الإمام المشهور. ولد بغزّة (أو باليمن أو بعسقلان) سنة ١٥٠ هـ، ونشأ في مكّة، فأخذ عن سالم بن خالد الزنجي، ورحل إلى المدينة، فلازم مالك بن أنس. استعمله والي اليمن في أعمال كثيرة، وزار بغداد مرّتين وحدّث بها، ثمّ خرج إلى مصر واستقرّ بها، إلى حين وفاته سنة ←

حنيفة[١]، كما ذهب آخرون إلى أنّه عرف بالزعامة في علم الأُصول، فكان يرجع إليه جلّة العلماء فيما يشكل من مسائله، ويصادفون لديه لكلّ مشكلة حلاً، كأنّها مرّت به من قبل، فعالجها وانتهى إلى ما يحسن السكوت عليه من أمرها[٢].

ولم عبقريته مقصورة على نبوغه في علمي الفقه والأُصول، وإنّما كان في كلّ ما كتبه العالم المتبحّر المتمكّن من مادّته، ويتجلّى ذلك في كتبه: «تنبيه العقول الإنسانية لما في آيات القرآن من العلوم الكونية والعمرانية»، و«حقيقة الإسلام وأُصول الحكم»، و«توفيق الرحمٰن للتوفيق بين ما قاله علماء الهيئة وبين ما جاء في الأحاديث الصحيحة وآيات القرآن».

التنوّع الثقافي للشيخ المطيعي، ذلك التنوّع الذي عبّر عن ثقافة امتدّت فروعها وتشابكت أغصانها وتعدّدت ثمراتها..

فالكتاب الأوّل وإن كانت الغاية منه تفنيد مزاعم المستشرق الفرنسي

← ٢٠٤ هـ. سمع من: مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وعبدالعزيز الماجشون، ومحمّد بن الحسن الشيباني، وغيرهم. وروىٰ عنه: سليمان بن داود الهاشمي، وابن حنبل، وأبو ثور، وإسحاق بن راهويه، وآخرون. كان فقيهاً حافظاً لغوياً شاعراً، وكان يكره علم الكلام. من كتبه: الأمالي، مجمع الكافي، عيون المسائل، البحر المحيط، الرسالة. (الثقات لابن حبّان ٩: ٣٠ ـ ٣١، الأنساب للسمعاني ٣: ٣٧٨ ـ ٣٨١، وفيات الأعيان ٤: ١٦٣ ـ ١٦٩، روضات الجنّات ٧: ٢٤٥ ـ ٢٥١).

(١) أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي الكوفي مولىٰ بني تميم الله بن ثعلبة: الإمام المشهور. ولد سنة ٨٠ هـ في الكوفة. رأىٰ أنساً. وروى عن: عطاء بن أبي رباح، وعاصم بن أبي النجود، وعلقمة بن مرثد، وسعيد بن مسروق الثوري، وعدي بن ثابت الأنصاري، وآخرين. وروىٰ عنه: ابنه حمّاد، وإبراهيم بن طهمان، وزفر بن الهذيل، وأبو يوسف القاضي، ووكيع، ومحمّد بن الحسن الشيباني، وغيرهم. كان خزّازاً يبيع الخزّ. له: المسند، والمخارج. توفّي سنة ١٥٠ هـ، وقيل: سنة ١٥١ هـ. (تاريخ بغداد ١٣: ٣٢٣ ـ ٤٥٤، مرآة الجنان ١: ٢٤٢ ـ ٢٤٤، تهذيب التهذيب ١٠: ٤٠١ ـ ٤٠٣، نزهة الجليس ٢: ٢٧٣ ـ ٢٨٢).

(٢) انظر مجلّة «نور الإسلام»، المجلّد: الرابع، ص: ٥٧. (المؤلّف).

«رينان» حول القرآن والإسلام، فإنّ الشيخ أفرد ثلاثة أرباع هذا الكتاب لأبحاث عن القرآن الكريم من حيث ما ورد فيه عن بدء تكوين الإنسان والعالم كلّه، وخلق الدوابّ والأرض والسماوات وما بينهما، والدليل على دوران الأرض من القرآن، ودلالة القرآن على تعدّد الشموس والأقمار، ثمّ علوم الفلسفة، وحصرها في أربعة أنواع: رياضية ومنطقية وطبيعية وإلهية، ثمّ تحدّث عن أقسام كلّ نوع، وانتقل من الكلام عن الفلسفة إلى الحديث عن دلالة القرآن على مادّة الفحم الحجري[١]، وسائر ما يتبعه من المواد الملتهبة، وخلص من هذا كلّه إلى تنفيذ مزاعم «رينان» التي تعزو تخلّف المسلمين إلى تمسّكهم بدينهم!

وهذا رأي من لا دراية لديه بتاريخ الأُمّة الإسلامية وفقه دستورها الخالد، فما صدر عن «رينان» يعبّر عن جهل وتعصّب، لا عن فهم ومعرفة صحيحة، و«من جهل شيئاً عاداه»[٢]، ولهذا لا يصحّ أن يطلق على «رينان» وأمثاله من الملحدين والمتعصّبين كلمة فيلسوف؛ لأنّهم يدّعون الفلسفة والعلم وهم بعيدون عن ذلك كلّه.

والشيخ في أبواب هذا الكتاب كلّه مفسّر ومحدّث ومتكلّم وفقيه وأُصولي دارس لعلم النفس، وبخاصّة علم نفس الطفولة، كما أنّه ملمّ بفروع علم الطبّ، وعلى معرفة بالفلك والجيولوجيا والفلسفة والمنطق والتاريخ والأدب، فقد كان يستشهد أحياناً ببعض الأبيات الشعرية كقوله، في مستهل الباب الذي عقده للردّ على «رينان»:

---

(١) الفحم الحجري: بقايا النباتات المسحجرة التي نمت مستعينة بالطاقة الشمسية قبل ملايين السنين، وأغلب أنواعه صلب أسود لامع. وفيها الفحم القارّي، وفحم الليجنايت، وفحم الأنتراسايت. ويتمّ استخراجه من تحت الأرض عن طريق حفر المناجم. ويُستعمل كوقود، وفي إنتاج النايلون والمتفجّرات والخشب ومستحضرات التجميل والأدوية والأسمدة. (موسوعة أكسفورد العربية ٨: ١٩ ـ ٢٢).

(٢) قارن: الكشف والبيان ٥: ١٣٣، زاد المسير ٤: ٣٠، مستدرك الوسائل ١٨: ٢٦١.

والبـــدر مستصغر فـي عـين نـاظره والذنب للـعين لا للـبدر فـي الصـغر

أمّا كتاب «حقيقة الإسلام وأُصول الحكم» فهو ردّ على كـتاب: «الإسـلام وأُصول الحكم» المنسوب للشيخ علي عبد الرزّاق[1]، فقد تجاوز هذا الشيخ في كتابه بحوث الفقه الخالص إلى بحوث التاريخ والسياسة والاجتماع، وقد تتبّع الشيخ المطيعي هذه البحوث بالنقد والتحليل والمراجعة في استفاضة كشفت عـن ثـقافة متنوّعة الفنون، ولم يكن تضلّعه الركين في علمي الفقه والأُصول واضحاً ملموساً مع ما اضطرد به الحديث إلى مسائل في علم الاجتماع وعلوم السياسة وتقويم البلدان، ممّا جعل هذا الردّ فريداً في مصنّفات الفقيه الأُصولي الكبير.

ومن أنفس فصول هذا الكتاب ما دحض به الرأي القائل بأنّ شريعة الإسلام مقصورة على الأُمور الدينية، وهي دعوى باطلة يردّدها العلمانيّون الآن جهلاً دون علم، فإنّهم ما قرؤوا القرآن، وما عرفوا به مـن آيـات السـياسة والجـهاد والأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر امتثالاً لحكم الله.

وإذا كان الكتاب المنقود قد ارتكز على الزعم بأنّ الشريعة الإسلامية روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والسياسة، فقد عصف الشيخ بهذا الزعم في وضـوح ساطع لا يقبل المراء[2].

وأمّا كتاب «توفيق الرحمٰن» فقد عرض فيه في المـقدّمة إلى أهـمّية عـلم

---

(١) ولد الأُستاذ علي عبدالرزّاق سنة ١٣٠٥ هـ / ١٨٨٨ م، ودرس في الأزهر، وحصل منه على شهادة العالمية. ولّي القضاء بالمحاكم الشرعية، وانتُخب عـضواً بـمجلس النـوّاب والشيوخ، كما عُيّن وزيراً للأوقاف. وهذا الكتاب أثار عليه ضجّة، وحكـم عـليه بـسببه بتجريده من شهادة العالمية. تـوفّي سـنة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م. (الأعـلام للـزركلي [٤: ٢٧٦]). (المؤلّف).

(٢) انظر مجلّة «منبر الإسـلام»، عـدد: ربيع الأوّل، سـنة ١٤٢٤ هـ، ص: ٩٧ ـ القـاهرة. (المؤلّف).

الهيئة، وقال في تعريفه: «اعلم أنّ علم الهيئة هو: قواعد كلّية وقوانين عامّة يبحث فيها عمّا يتعلّق بالسماوات والأرض والنجوم ومداراتها التي هي أفلاكها من حيثية مخصوصة»[١].

وبيّن بعد ذلك أقسام هذا العلم، وذكر: أنّ موضوعه هو الأجرام السماوية والأرض التي هي واحد منها، واستطرد إلى الحديث عن تاريخ علم الهيئة قديماً وحديثاً، ثمّ درس ما ورد في الكتاب والسنّة من آيات وأحاديث تتعلّق بمسائل هذا العلم، وحاول استقراء كلّ النصوص الشرعية موضّحاً أنّه لا تعارض بينها وبين ما ذهب إليه علماء علم الهيئة، وقد عوّل في دراسته في على آراء بعض المفسّرين والفلاسفة، وهو بهذا يردّ على كثير من العلماء الذين اشتبه عليهم ما جاء في علم الهيئة متعلّقاً بالسماوات أو أجرامها والأرض وأقسامها، وظنّوا أنّ ذلك يصادمه ما جاء في الآيات القرآنية والسنّة النبوية الصحيحة، وأنّ هذا التوافق من شواهد الإعجاز القرآني، فلم يكن محمّد ﷺ يعرف شيئاً من قوانين النجوم ومداراتها، وجيولوجية الأرض وجبالها، والسحاب وأنواعه، إلى غير ذلك من المسائل.

وخلص الشيخ من دراسته التي بلغت نحو ٢٦٠ صفحة من القطع كبير ببنط[٢] صغير، بحيث بلغ عدد الأسطر في كلّ صفحة أكثر من ثلاثين، خلص إلى أنّ العقول لا تقف إلّا على قليل من أسرار خلق السماوات والأرض، وأنّ في خلق السموات والأرضين واختلاف الليل والنهار لآيات لأُولي الألباب، وأنّ الحرص على الكمال يقتضي منّا أن نبحث في مذاهب العلماء ونأخذ بما هو أقرب للصواب.

إنّ كتاب «توفيق الرحمٰن» يعطي صورة عن ثقافة علمية للشيخ ربّما لم يكن

---

(١) جاء في المعجم الوسيط [٢: ١٠٠٢]: «علم الفلك، وهو: علم يبحث عن أحوال الأجرام السماوية، وعلاقة بعضها ببعض، وما لها من تأثير في الأرض». (المؤلّف).

(٢) البُنط في اصطلاح الطباعة: وَحدة لقياس حجم الحرف، يقال: حرف ذو اثني عشر بنطاً. (المعجم الوسيط ١: ٧١).

أحد من معاصريه يهتمّ بها، فهو في هذا الكتاب جمع بين البحث في النصّ الشرعي ومدى تطابقه مع ما انتهى إليه علماء علم الهيئة، وهو بهذا لم يحصر نشاطه الثقافي [في] مجال التخصّص العلمي الدقيق، وهو الفقه والأُصول، وإنّما تجاوز هذا إلى قضايا معاصرة في علم الفلك والنجوم، وهذا ما تجلّى أيضاً في كتابه «تنبيه العقول»، ممّا يدلّ على أنّ الشيخ كان طلعة، ويسعى وراء المعرفة أنّى تيسّرت له.

ويلاحظ أنّ بين هذه الكتب الثلاثة قواسم مشتركة، أهمّها ما يلي:

١ ـ أُلفت هذه الكتب في فترة زمنية واحدة تقريباً، فقد صدرت قبل وفاة الشيخ بنحو عشر سنوات.

٢ ـ كلّ كتاب من هذه الكتب كانت الغاية الأُولىٰ من تأليفه الردّ على بعض الذين لم يفقهوا الإسلام، أو طعنوا في شريعته، وتقوّلوا عليه، وجاء الردّ على هؤلاء قوياً مدعماً بالبراهين العلمية التي لا مراء فيها.

٣ ـ عبّرت هذه الكتب عن تنوّع ثقافي للمؤلّف، ودلّت على أنّه وقد ـ بلغ السبعين من عمره ـ كان يتمتّع بقدرة طيّبة على الكتاب والمجادلة بالتي هي أحسن.

٤ ـ إذا كان أُسلوب الشيخ في التأليف قبل هذه الكتب يغلب عليه سرد النصوص والتعليق عليها والترجيح بينها في عبارة مركّزة موجزة، فإنّ أُسلوبه في تلك الكتب عبّر عن نفس طويل في الصياغة يجنح إلى الإسهاب والإطناب والبسط.

٥ ـ سادت في هذه الكتب عاطفة دينية تذود عن العقيدة الإسلامية، وتوضّح أهمّ خصائصها، وتذكر بأنّ الاعتصام بها هو مناط صلاح الدنيا والآخرة.

٦ ـ تؤكّد هذه الكتب أنّ الإسلام دين العلم والحضارة، وأنّه عقيدة وشريعة، ودين ودولة، وأنّه يدعو إلى الاجتهاد، ويحرّم على العلماء الجمود والتقليد، وأنّه دين الحرّية والعدالة والفضيلة، والأُمّة فيه مصدر السلطان.

ثقافته التاريخية

إذا كان الشيخ المطيعي في كتابيه: «تنبيه العقول»، و«حقيقة الإسلام» قد تطرّق إلى كثير من المسائل التاريخية، وإذا كان فيما سبق الكلام فيه عن الشيوعية والتبشير والبغاء قد أشار إلى طرف من الحقائق التاريخية، فإنّه كان يُسئل أحياناً لا عن حكم شرعي في نازلة أو مسألة، وإنّما عن موضوع تاريخي صرف، وهو في إجابته عن مثل هذه الأسئلة يرجع إلى المصادر الأصيلة وغيرها، ويستقرئ كلّ الآراء، ثمّ يوازن بينها بميزان علمي، ويرجّح ما يراه أصحّ أو أرجح..

ومن ذلك السؤال التالي الذي وجّه إليه، وهو: هل السيّدة زينب (رضي الله عنها) مدفونة بالقاهرة في ضريحها الموجود ضمن مسجد السيّدة زينب؟ وما الدليل التاريخي على ذلك بالتفصيل؟ ولفضيلتكم وافر الشكر.

وبعد أن ذكر الآراء التاريخية في الموضوع عقّب عليها بقوله: «فأنت ترى أنّ المسألة قد أصبحت بين رأيين:

الأوّل: رأي علماء التاريخ، وفي مقدّمتهم الإمام الطبري[1]، والإمام ابن

---

(١) أبو جعفر محمّد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري: العالم المشهور. مولده سنة أربع وعشرين ومائتين، وطلب العلم بعد الأربعين ومائتين، وأكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علماً وذكاءً وكثرة تصانيف، على تعبير الذهبي. سمع من: ابن أبي الشوارب، وإسماعيل بن موسى السدّي، ومحمّد بن حميد الرازي، ومحمّد بن عبدالله بن بزيع، والحسن بن الصبّاح البزّار، وآخرين. وحدّث عنه: أبو القاسم الطبراني، وأحمد بن كامل القاضي، وأحمد بن القاسم الخشّاب، وأحمد بن علي الكاتب، وطائفة. كان فقيهاً مؤرّخاً مفسّراً لغوياً عالماً. من مصنّفاته: جامع البيان، تهذيب الآثار، تاريخ الأُمم والملوك، الخفيف في أحكام شرائع الإسلام، التبصير، تاريخ الرجال. توفّي ببغداد سنة ٣١٠هـ.
(تاريخ بغداد ٢: ١٦٢ ـ ١٦٩، معجم الأُدباء ١٨: ٤٠ ـ ٩٤، وفيات الأعيان ٤: ١٩١ ـ ١٩٢، تذكرة الحفّاظ ٢: ٧١٠ ـ ٧١٦، سير أعلام النبلاء ١٤: ٢٦٧ ـ ٢٨٢، ميزان الاعتدال ٣: ٤٩٨ ـ ٤٩٩، طبقات الشافعية الكبرى ٣: ١٢٠ ـ ١٢٨، طبقات الحفّاظ: ٣٠٧ ـ ٣٠٨).

الأثير[١]، والعلّامة الثقة ابن جبير[٢]، والسخاوي[٣]. ورأيهم أنّ السيّدة زينب أُخت الحسين وبنت علي (كرّم الله وجهه) لم تحضر إلى مصر قط، لا في الحياة ولا بعد الممات، وعليه فلا مدفن لها في مصر، ولا جامع، ولا مشهد.

والرأي الثاني هو رأي: الصوفية، وعلى رأسهم الخوّاص[٤]،

---

(١) أبو الحسن عزّ الدين علي بن محمّد بن محمّد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الموصلي المعروف بابن الأثير الجزري: مؤرّخ، محدّث، حافظ، أديب، لغوي، نسّابة. ولد بجزيرة «ابن عمر» سنة ٥٥٥ هـ أو ٥٥٠ هـ، ونشأ في مسقط رأسه، ثمّ سكن الموصل، وسمع بها، وقدم الشام رسولاً، فحدّث بدمشق، وعلا صيته. من مؤلّفاته: الكامل في التاريخ، أُسد الغابة، اللباب في تهذيب الأنساب، الجامع الكبير في علم البيان، كتاب الجهاد. توفّي بالموصل سنة ٦٣٠ هـ. (تذكرة الحفّاظ ٤: ١٣٩٩ ـ ١٤٠٠، شذرات الذهب ٥: ١٣٧ ـ ١٣٨، هدية العارفين ١: ٧٠٦، معجم المؤلّفين ٧: ٢٢٨ ـ ٢٢٩).

(٢) أبو الحسين محمّد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي: رحّالة أديب. ولد في «بلنسية» سنة ٥٤٠ هـ، ونزل في «شاطبة»، وبرع في الأدب، ونظم الشعر الرقيق، وحذق الإقراء، وأُولع بالترحّل والتنقّل، فزار المشرق ثلاث مرّات، ومات بالإسكندرية في رحلته الثالثة سنة ٦١٤ هـ. من كتبه: الرحلة «تذكرة بالأخبار عن اتّفاقات الأسفار»، نظم الجمان في التشكّي من إخوان الزمان، نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرن الصالح. (شذرات الذهب ٥: ٦٠ ـ ٦١، دائرة المعارف الإسلامية ١: ١١٦، الأعلام للزركلي ٥: ٣١٩ ـ ٣٢٠).

(٣) شمس الدين محمّد بن عبدالرحمان بن محمّد السَخاوي الشافعي: مؤرّخ وعالم بالحديث والتفسير والأدب. أصله من «سخا» إحدى قرى مصر، ومولده في القاهرة سنة ٨٣١ هـ، ووفاته في المدينة سنة ٩٠٢ هـ. برع في العلوم حتّى أُشير إليه بالبنان، وأخذ عن جماعة يزيدون على أربع مائة نفس، وألّف مؤلّفات كثيرة، منها: المقاصد الحسنة، الضوء اللامع، شرح ألفية العراقي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ، الكوكب المضيء، التحفة اللطيفة في أخبار المدينة الشريفة، طبقات المالكية، الرحلة المكّية. (شذرات الذهب ٨: ١٥ ـ ١٧، إيضاح المكنون ١: ٢٧ و٢٣٨، الأعلام للزركلي ٦: ١٩٤ ـ ١٩٥).

(٤) أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخوّاص: صوفي شهير، من أقران الجنيد. ولد في سامرّاء، وتوفّي في جامع الري سنة ٢٩١ هـ، وله عدّة كتب مصنّفة. روى عن: جعفر ←

والشعراني[١]. ويتلخّص رأيهم في أنّ المدفون بالمسجد الزينبي صاحبة المشهد والمزار المعروف بمصر وفي قناطر السباع إنّما هي السيّدة زينب بنت علي وأُخت الحسين (رضي الله عنهم).

والذي يطمأن له القلب ويشهد له التاريخ وينبغي أن يعوّل عليه هو أنّ المدفونة بمصر والتي لها مشهد يزار، وعاينه العلّامة ابن جبير من الشريفات العلويات، إنّما هي السيّدة زينب بنت يحيى[٢] بن زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب.. ثمّ يقول: «فقد تبيّن أنّ المسألة مسألة تاريخية، فيعوّل فيها على ما قاله المؤرّخون المعتمدون كالطبري وابن الأثير وابن جبير ومن وافقهم. وأمّا ما قاله الصوفية فهو مبني على الكشف ومشاهدة الأرواح ، والأرواح لا تتقيّد بمكان دون مكان، بل هي في عالم البرزخ، يراها أهل الكشف في أيّ مكان كشف لهم عنها فيه، فيترك لأهل الكشف ما قالوه. وأمّا ما قاله المؤرّخون فهو متعلّق بالأجسام والجثث، وهي تتقيّد بالمكان. وعليه، فجثمان السيّدة زينب بنت علي وأُخت الحسين وجثّتها لا كلام ولا شكّ في أنّها لم تكن بمصر لا في الحياة ولا

← الخالدي، وغيره. (تاريخ بغداد ٦: ٧ ـ ١٠، الأعلام للزركلي ١: ٢٨، معجم الصوفية: ١٥٧).

(١) أبو محمّد عبدالوهاب بن أحمد بن علي الشعراني الحنفي: من العلماء المتصوّفين، يرجع نسبه إلى محمّد بن الحنفية. ولد سنة ٨٩٨ هـ في «قلقشندة» بمصر، ونشأ بساقية «أبي شعرة» إحدى قرى المنوفية، وإليها نسبته، وتوفّي بالقاهرة سنة ٩٧٣ هـ. من تصانيفه: لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، الأنوار القدسية، البدر المنير، الجواهر والدرر الكبرى، لطائف المنن، الميزان الكبرى. (شذرات الذهب ٨: ٣٧٢ ـ ٣٧٤، معجم المطبوعات العربية ١: ١١٢٩ ـ ١١٣٤، معجم المؤلّفين ٦: ٢١٨).

(٢) زينب بنت يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: شريفة علوية، كانت عابدة صالحة، يتبرّك بها الناس. توفّيت بمصر سنة ٢٤٠ هـ، ودفنت في المشهد المجاور لقبر عمرو بن العاص. وكان الظافر الفاطمي يأتي إلى زيارتها ماشياً. (رحلة ابن جبير: ٢١، الأعلام للزركلي ٣: ٦٧).

بعد الممات»[١].

فالشيخ بعقلية المؤرّخ المدقّق يعوّل على المصادر الموثوق بها، والتي تجزم بأنّ السيّدة زينب بنت الإمام علي لم تحضر قط إلى مصر، ويرفض الروايات والأخبار التي لا تقوم على أدلّة علمية بقدر ما تؤسّس على خواطر نفسية وتجلّيات روحية، وهذه لا تعدّ مصدراً تاريخياً يعتدّ به. وهذا يشهد للشيخ بأنّ ثقافته التاريخية أصيلة وعميقة تكاد تضارع ثقافته الفقهية والأُصولية.

وقد أثار رأي الشيخ في موضوع دفن السيّدة زينب بمصر عدداً من الباحثين والكتّاب[٢]، منهم من عارضه، ومنهم من أيّده، ومن هؤلاء العلّامة أحمد زكي باشا[٣]. والشيخ لم يردّ على الذين عارضوه، كما أنّه لم يشكر الذين أيّدوه.

ثقافته الأدبية

كان للشيخ المطيعي ثقافة أدبية تشهد له بالاطّلاع على التراث الأدبي شعره ونثره، وقد عبّرت محاضراته العامّة التي ألقاها في الجمعيات الإسلامية وفي الجامعة عن هذه الثقافة، فلم تكن هذه المحاضرات تعوّل على كثرة النصوص،

---

(١) مجلّة «الإسلام»، السنة: الأُولى، عدد: ٥، شعبان، سنة ١٣٥١ هـ. (المؤلّف).

(٢) انظر مجلّة «الإسلام»، عدد: ١٩، شعبان، سنة ١٣٥١ هـ. (المؤلّف).

(٣) أحمد زكي بن إبراهيم بن عبدالله المعروف بشيخ العروبة: أديب بحّاثة مصري. ولد بالإسكندرية سنة ١٨٦٧ م، وتخرّج بمدرسة الإدارة والحقوق بالقاهرة، وأتقن الفرنسية، وكان يفهم الإنجليزية والإيطالية واللاتينية. عيّن مترجماً لمجلس النظّار، وسكرتيراً أوّلاً، واتّصل بعلماء المشرقيات، ومثّل مصر في مؤتمراتهم، وقام بفكرة إحياء الكتب العربية، وجمع مكتبة في نحو عشرة آلاف كتاب ووقفها. توفّي بالقاهرة سنة ١٩٣٤ م، ودفن في قبر أعدّه لنفسه في الجيزة. من كتبه: موسوعات العلوم العربية، أسرار الترجمة، قاموس الجغرافية القديمة، الدنيا في باريس، التعليم في مصر، تاريخ المشرق. (معجم المطبوعات العربية ١: ٩٧١ ـ ٩٧٢، الأعلام للزركلي ١: ١٢٦ ـ ١٢٧).

وإنّما كانت ترعى مواقف التأثير ونواحي الإمتاع، وما كان يهتمّ بالمحسّنات البديعية أو الألفاظ الغريبة أو الوحشية، وإنّما ينطلق في حديثه على سجيته دون تكلّف، فتأتي العبارات والمفردات صحيحة فصيحة في مستوى راق من البلاغة والفصاحة وحسن البيان[١].

جاء في التعريف بالشيخ في مقدّمة[٢] كتاب: «تنبيه العقول»، فكان لا يسمع محاضرة إلّا وينتقص مبيّناً ما فيها من الصواب والخطأ، والاستقامة والاعوجاج، شارحاً ذلك في بيان عذب، وأُسلوب علمي، وديباجة أدبية عالية.

وكانت فتاوى الشيخ في فترة عمله مفتياً تتّسم بسلاسة العبارة وعدم النقل من النصوص القديمة، وإن كان في بعض الأحيان يشير إلى بعض القواعد في المذهب الحنفي[٣].

وكان إلى [جانب] هذا شاعراً، بيد أنّ شعره لم يجمع في ديوان، ولعلّه لم يكن بالقدر الذي يمكن أن يجمع في ديوان، ومنه ما رواه أحد تلاميذه، قال: «قلت له مرّة: إنّني أُلاحظ على فضيلة مولاي الشيخ أنّه لا يردّ زيارة الأُمراء والعظماء الذين يزورونه، لعلّ ذلك لكبر السنّ؟ فقال: لا، بل لأنّي متّ من أمر بعيد، وهل الميّت يكلّف بردّ زيارة من يزوره؟ فقلت له: ولكنّك حي الأحياء، لا حيّ فقط، فأنشدني من شعره، وكلّ شعره من السهل الممتنع:

تركت الناس حتّى أصدقائي ... فلا ملكاً أزور ولا وزيرا
ولست بكاره أحد ولكن ... رأيت زيارتي للناس زورا
لأنّي متّ من أمد بعيد ... فكيف إذا الفتىٰ سكن القبورا

---

(١) انظر محاضرة: «الراديو من الوجهتين الدينية والفنّية»، منشورة في مجلّة «الهداية الإسلامية»، عدد: جمادى الأُولى، سنة ١٣٥٢ هـ. (المؤلّف).

(٢) ص: ٢٢. (المؤلّف).

(٣) انظر الفتاوى الإسلامية ٢: ٦٥٧. (المؤلّف).

وسكّـــان القــبور وإن يــزاروا فـما زاروا عـظيماً أو حـقيراً»[١]

وأهدى الشيخ صورته لمجلّة «الإسلام»، وذيّلها ببيتين من الشعر، هما:

حـبست لكـم ظـلّي بـهذا لأنّـني يـعزّ عـلى قـلبي فـراق أحـبّتي
فإن أكُ في الأحياء فجسمي بـحبّكم وإن أكُ في الموتىٰ ففي الحيّ صورتي

وجاءت كلمة «الإسلام» في صورة الأُستاذ الإمام كما يلي:

لم نعهد الكوكب السيّار فـي الأُفـق مـصوّراً فـوق قـرطاس مـن الورق
أيـقنت ذلك حـقّاً مـذ نـظرت إلى مـثال هـذا الإمـام المـبدع اللـبق
في ظلّ صورتك المحبوب مـنظرها نرىٰ مـثالك فـي خَـلْق وفـي خُـلِق

وأضاف صاحب المجلّة إلى هذه الأبيات قوله: «ونحلّي هذه الصحيفة مـن صحف المجلّة بصورته الخالدة؛ لتخلد بخلودها، وينبه شأنها بنباهة ذكر صاحبها، وليكون لها الشرف بالاعتزاء إلى فضله، والانتماء إلى نبله، مدّ الله في أجله، وأطال عمره، وأدام النفع به»[٢].

لقد كان الشيخ المطيعي طُلعة، ولذلك ما كان يحصر نفسه في دائرة ثـقافية محدودة أو ضيّقة، وإنّما كان يسعى للتزوّد المعرفي أنّى يتاح له، وبخاصّة ما كان منه وثيق الصلة بالدراسات التي تخصّص فيها، وهو اللغة العربية وآدابـها، وظـهر ذلك واضحاً في كلّ ما سطّره في العقدين الأخيرين من حياته، فقد ساده الأُسلوب الذي يتميّز بالسلاسة والوضوح والدقّة اللغوية.

فقيه لا يعرف التعصّب المذهبي

إذا كان الشيخ حنفي المذهب، وكان يصدّر توقيعه على الفتوى بإمضاء محمّد بخيت المطيعي الحنفي، فإنّه كان يتّسع في الفتوى، فيلمّ بآراء المذاهب المختلفة،

---

(١) انظر مجلّة «الإسلام»، عدد: ١٨، من شعبان، سنة ١٣٥٤ هـ. (المؤلّف).
(٢) مجلّة «الإسلام»، العدد: الثالث، من السنة: الثالثة. (المؤلّف).

ويختار ما يرتاح إليه، غير مفرّق بين مذهب ومذهب؛ لأنّه يعرف أنّ الحقّ رائد الجميع[١].

وهذا الاختيار ينسحب عليه مفهوم الاجتهاد الانتقائي، وهذا الاجتهاد يقتضي الانفتاح على كلّ المذاهب المعتبرة دون تعصّب لرأي مذهبي خاصّ، فالاجتهاد الإنشائي فريضة شرعية لمن توافرت فيه شروط الاجتهاد المطلق، ولكن هذا الاجتهاد في العصر الحاضر لا سبيل إليه إلّا بالاجتهاد الجماعي[٢]، بيد أنّ

---

(١) انظر مجلّة «منبر الإسلام»، عدد: ربيع الأوّل، سنة ١٤٢٤ هـ، ص: ٩٦. (المؤلّف).

(٢) اتّفاق أغلب المجتهدين بعد وفاة الرسول ﷺ في عصر من العصور على حكم شرعي.

وعرّفته ندوة الاجتهاد الجماعي في العالم الإسلامي المنعقدة بتاريخ ١٩٩٦/١٢/٢٣ م بالإمارات العربية المتّحدة بهذا التعريف: اتّفاق أغلبية المجتهدين في نطاق مجمع فقهي أو هيئة أو مؤسّسة شرعية ينظّمها ولي الأمر في دولة إسلامية على حكم شرعي لم يرد فيه نصّ قطعي الثبوت والدلالة بعد بذل غاية الجهد فيما بينهم في البحث والتشاور.

ويستمدّ حجّيته عند جمهور أهل السنّة من: السنّة. وفعل الصحابي. والأخذ بالأحوط، وغلبة الظنّ. وكونه في مظنّة الأخذ بالأقوى والراجح.

وشروطه شروط الاجتهاد الفردي، ويضاف إليها: النبوغ الفقهي، والتخصّص، واتّفاق أهل الاجتهاد على الكلّيات.

ومجالات الاجتهاد الجماعي: القضايا العامّة المستجدّة، والقضايا المصيرية للأُمّة الإسلامية في ظلّ التحدّيات المعاصرة، والقضايا الجامعة المشتركة بين المسلمين التي وقع فيها خلاف بين المتقدّمين، والنهوض بفروض الكفايات في الاجتهاد ذاته والخروج بأحكام ملزمة.

أمّا دوره في مجال الوحدة والتقريب فإنّ المقصد الأساس من إيجاد مؤسّسة الاجتهاد الجماعي هو توحيد الفتيا والأحكام والتصوّرات وفق خطّة كبرى، وهذا أمر يشغل بال المسلمين، وتسعى مؤسّسات الاجتهاد الجماعي من أجل تحقيقه وتطبيقه بعد وصفه في أهدافها. (الاجتهاد في الإسلام: ٢٦٣ ـ ٢٦٧، بحوث وتوصيات ١: ٥٤٥ وما بعدها).

هذا، وقد وضع الدكتور شعبان محمّد إسماعيل كتاباً في هذا المصطلح بعنوان «الاجتهاد الجماعي ودور المجامع الفقهية في تطبيقه».

الاجتهاد الانتقائي قد يتحقّق من فرد يستطيع أن يرجّح بين الآراء، ويختار منها ما يكون أكثر ملاءمة للواقع المعاصر من حيث معالجة المشكلات ووضع الحلول العملية لها.

وهكذا كان الشيخ المطيعي يرى أنّ التراث الفقهي بكلّ مذاهبه ملك للأُمّة، وعلى علمائها أن ينتفعوا بهذا التراث دون تعصّب، فالتعصّب آية على الانغلاق الفكري والجمود المذهبي، وقد برئ منه أئمّة المذاهب، وما زعموا أنّ آراءهم لا تجوز مخالفتها، ولكن عصر الجمود والتقليد هو الذي أضفى على آراء المذاهب قداسة لا يقرّها نقل ولا عقل.

وكانت قد هبّت فتنة بين بعض المنتسبين للعلم وليسوا من أُصلائه حول تفضيل صاحب مذهب فقهي على إمام مماثل، وبادر بعضهم بطبع كتاب يسمّى «مغيث الخلق في ترجيح القول الأحقّ»، ينسب إلى إمام الحرمين الجويني[1] (ت: ٤٧٨ هـ)، وفيه سبٌّ صريح وافتيات منكر على الإمام أبي حنيفة، وكان الشيخ بخيت حينئذٍ في مرضه الأخير، حيث لقي ربّه بعد أمد قريب، وقد تصدّر لقمع هذه الفتنة الباغية، فقد أرسل إليه من يظنّ أنّ الرجل الكبير سيكيل بالصاع صاعين لمن شاق أبا حنيفة، بل لصاحب المذهب الذي ينتسب إليه الجويني، وهو الإمام الشافعي، وخاصّة ما جاء بالكتاب من أنّ أبا حنيفة قليل البضاعة في علم الحديث، ولكن الرجل الكبير والإمام الحجّة البصير ألقى درساً كبيراً في صفحات متتالية في

---

(١) أبو المعالي ركن الدين عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن محمّد الجويني الشافعي المعروف بإمام الحرمين: من أشهر علماء الشافعية. ولد في «جوين» من نواحي «نيسابور» سنة ٤١٩ هـ، ورحل إلى بغداد، فمكّة حيث جاور أربعة سنين، وذهب إلى المدينة، فأفتى ودرّس، جامعاً طرق المذاهب، ثمّ عاد إلى نيسابور، فبنى له الوزير نظام الملك «المدرسة النظامية». توفّي بنيسابور سنة ٤٧٨ هـ. من مصنّفاته: غياث الأُمم والتياث الظلم، البرهان، نهاية المطلب، الشامل، الورقات. (وفيات الأعيان ٣: ١٦٧ ـ ١٧٠، مرآة الجنان ٣: ٩٤ ـ ٩٩، الأعلام للزركلي ٤: ١٦٠).

وجوب احترام الأئمّة جميعاً، وقال في خاتمة حديثه:

«إذا تقرّر هذا، فمذهب أبي حنيفة ومذهب غيره من الأئمّة سواء، ولا يمكن لأحد من المجتهدين أن يعتقد أنّ مذهب غيره خطأ لا يحتمل الصواب، وأنّ مذهبه صواب لا يحتمل الخطأ، وإلّا لكان مذهب هذا المجتهد بمنزلة كلام المعصوم الذي لا يخطئ، وليس هذا في وسع بشر سوى الرسل ﷺ، فلا وجه إذاً لتخصيص مذهب وتفضيله على مذهب آخر. وعلى هذا إمّا أن يكون ما ذكر في الكتاب «مغيث الخلق» مدسوساً على الإمام الجويني، والرجل بريء منه، وهو أكبر الظنّ عندنا، وإمّا أن يكون صحيحاً، وهو يناقض آراءه ونقوله التي ذكرها في «البرهان»، وغيره. ولو أردنا تقصّي كلّ ما جاء في سؤال السائل ممّا ذكر في الكتاب لوجدنا له ردّاً وأقمنا له من الحقّ ضدّاً، ولكنّنا نكون بذلك قد خضنا متعصّبين لمذهبنا مفضّلين إمامنا، فنقع فيما وقع فيه إمام الحرمين. وما أُريد بهذه العجالة إلّا أن ألفت نظر السائل الباحث وجميع المسلمين إلى وجوب الاعتقاد بأنّ الأئمّة الأربعة كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها، وأنّهم من الكمال وعناية الله بهم بحيث لا يقاس عليهم غيرهم»[١].

فهذا الموقف من الشيخ يدلّ على نصفة تامّة، ويُصوّر خلقاً نبيلاً يجب احتذاؤه، إنّه موقف الاحترام والتقدير لكلّ المذاهب، وأنّها جميعها على درجة سواء، فلا مفاضلة ولا تمييز بينها؛ لأنّها فهم بشري للنصوص الشرعية، فليس لها من ثمّ عصمة، وكلّ من يرى غير ذلك فهو مخطئ، ولا يعوّل على ما يذهب إليه.

والشيخ مع هذا شكّك في نسبة كتاب «مغيث الخلق» إلى إمام الحرمين، بل كاد يجزم بأنّه منحول، فالآراء التي وردت فيه تناقض ما جاء في «البرهان»[٢]،

---

(١) انظر النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٣: ٣٣٨. (المؤلّف).

(٢) هو كتاب «البرهان في أُصول الفقه»، قام بتحقيقه مؤخّراً الأُستاذ صلاح محمّد عويضة، ونشرته دار الكتب العلمية البيروتية سنة ١٤١٨ هـ في طبعته الأُولى.

وهو موسوعة أُصولية، و«نهاية المطلب»[١]، وهو موسوعة ضخمة في الفقه، وغيرهما من مصنّفات أبي المعالي.

وإذا كان الشيخ قد ذكر أنّ المذاهب الأربعة السنّية كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها، فإنّ هذا لا يعني أنّ سوى هذه المذاهب ليس داخلاً في هذه الحلقة المفرغة، وبخاصّة المذاهب غير السنّية، فقد ردّ على «رينان» في افترائه بأنّ أُمّة الفرس شيعية وليسوا بمسلمين، قال: «والله، يعلم ويشهد إنّه لكاذب فيما يقول. أمّا الفرس فمنهم سنّيون وشيعيّون، ولكنّهم مسلمون قبل كلّ شي، وها هم علماء الفرس وأئمّتهم قديماً وحديثاً يعتنقون الإسلام، ويحجّون بيت الله الحرام ككلّ المسلمين، ويصلّون صلاة المسلمين إلى قبلة المسلمين، ويصومون كما يصوم المسلمون، وهذه كتبهم ومؤلّفاتهم المخطوطة والمطبوعة تملأ البلاد، وهي كتب إسلامية أُصولاً وفروعاً».

ويقول أيضاً: «ومنهم كثير من أفاضل العلماء المجتهدين في فقه الشريعة الإسلامية، وفي فقه الحنفية خصوصاً»[٢].

ويتحدّث الشيخ في معرض ردّه على «رينان» حيث ذهب إلى أنّ انتقال مركز الخلافة إلى بغداد قد عاق مسيرة النهضة العلمية نحو مائتي عام، فيقول: «وبعد أن دخل أهل العراق ومن جاورهم من الفرس في دين الإسلام قد وجد منهم مجموعة عظيمة في العلوم الفلسفية، عقلية كانت أو شرعية، كونية أو عمرانية، وكانوا جميعاً ـ وعلى الأخصّ الفرس منهم ـ أشدّ الناس تمسّكاً بدين الإسلام، وكان منهم المجتهدون في فقه الحنفية وفقه الشافعية وفقه الإمامية.

---

(١) هو كتاب «نهاية المطلب في دراية المذهب» الذي يقول عنه الدكتور محمّد الزحيلي: «وتصل بعض نسخه المخطوطة إلى ستّة وعشرين مجلّداً».

(٢) انظر تنبيه العقول: ١٨٨ ـ ١٨٩. (المؤلّف).

وها هي مؤلّفاتهم في كلّ العلوم، وهي متداولة قديماً وحديثاً، تشهد بكذب «رينان»، وأين هو (أي: رينان) من مؤلّفات الفارابي[١]، وابن سينا[٢]،

---

(١) أبو نصر محمّد بن محمّد بن طَرخان بن أُوزلغ الفارابي المعروف بالمعلّم الثاني: من أكبر فلاسفة المسلمين. تركي الأصل، ولد في فاراب على نهر جيحون سنة ٢٦٠ هـ، وانتقل إلىٰ بغداد، فنشأ فيها وألّف بها أكثر كتبه، ورحل إلى مصر والشام، واتّصل بسيف الدولة الحمداني. كان يحسن اليونانية وأكثر اللغات الشرقية المعروفة في عصره. يقال: إنّ الآلة الموسيقية المعروفة بالقانون من وضعه. كان زاهداً لا يحفل بأمر مسكن أو مكسب مائلاً إلى الانفراد. توفّي بدمشق سنة ٣٣٩ هـ. من كتبه: الفصوص، إحصاء العلوم، آراء أهل المدينة الفاضلة، إحصاء الإيقاعات، الموسيقىٰ الكبير، الآداب السلوكية، مبادئ الموجودات، السياسة المدنية، الخطابة. هذا، وقد تُرجم كتابه الفصوص إلى الألمانية، وتُرجم كتاب مبادئ الموجودات إلى العبرية. وللأساتذة: (عبّاس محمود العقّاد وإلياس فرح ومصطفىٰ عبد الرزّاق) كُتُب في سيرته. (وفيات الأعيان ٥: ١٥٣ ـ ١٥٧، البداية والنهاية ١١: ٢٢٤، دائرة المعارف الإسلامية ١: ٤٠٧ ـ ٤١٢، الأعلام للزركلي ٧: ٢٠، موسوعة أعلام الفلسفة ٢: ١٢٦).

(٢) أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا المعروف بالشيخ الرئيس: أشهر أطبّاء الشرق ومن أعظم فلاسفتهم. ولد في أفشنة سنة ٣٧٠ هـ. يقال: إنّه حفظ القرآن والأدب العربي في العاشرة من عمره، وتعلّم النحو ومبادئ الشريعة، وخاض غمار علم الرياضيات والطبيعيات والمنطق والميتافيزيقا، ثمّ درس بعدها الطبّ على يد عيسىٰ بن يحيىٰ، حتّىٰ هرع إليه الأطبّاء يستفيدون من معارفه. طلب منه نوح بن منصور أمير بخارى أن يشفيه من مرض ألمّ به، وبعد شفائه فتح له مكتبته، فنهل منها الفيلسوف. كان وزيراً لدى أمير همدان، ولكنّه لقي الحسد من الجنود الذين أسروه وطلبوا قتله، بيد أنّ الأمير أنقذه، وبعد موت الأمير لم يتّفق ابن سينا مع ابنه، فكاتب في السرّ عدوّه أمير أصبهان، فانكشف أمره وأُدوع السجن، وبعد سنتين هرب إلى أصبهان ورافق أميرها، وفي همدان عاودته نوبة من الزحار، فقضىٰ بها سنة ٤٢٨ هـ. من مؤلّفاته: المناظر، الشفاء، المبدأ والمعاد، الإشارات والتنبيهات، المدخل إلى صناعة الموسيقىٰ، القانون في الطبّ، رسالة العشق. (وفيات الأعيان ٢: ١٥٧ ـ ١٦٢، نزهة الأرواح (فارسي) ٤٤٢ ـ ٤٥٣، دائرة المعارف الإسلامية ١: ٢٠٣ ـ ٢١٠، موسوعة أعلام الفلسفة ١: ٢٩ ـ ٣٢).

وتلميذه بهمنيار[١]، وابن سبعين[٢]، والصدر الشيرازي[٣]، وغير هؤلاء ممّن لا يحصون كثرة، مع أنّ مؤلّفاتهم تملأ خزائن الشرق والغرب؟! ولكن فلسفة «رينان» قضت عليه أن لا يكلّف نفسه النظر فيما بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وشماله من تلك المؤلّفات، وتعامى عنها حتّى نسب إلى الفرس ما نسب.

ومع ذلك فقد نسي بما قدّمت يداه من أنّ الإسلام يرفع الفوارق الجنسية والقومية، فأهل فارس بعد أن اعتنقوا دين الإسلام أصبحوا هم والعرب أُمّة واحدة إسلامية لا تربطهم إلّا رابطة الدين الإسلامي التي هي العروة الوثقى

---

(١) أبو الحسن بهمنيار بن المرزبان الأذربيجاني: حكيم، من تلاميذ الشيخ الرئيس ابن سينا، كان مجوسياً فأسلم، وله تآليف، منها: ما بعد الطبيعة، مراتب الموجودات، كتاب السعادة، التحصيل. توفّي سنة ٤٥٨ هـ. (هدية العارفين ١: ٢٤٤، الأعلام للزركلي ٢: ٧٧).

(٢) أبو محمّد قطب الدين عبدالحقّ بن إبراهيم بن محمّد بن نصر الإشبيلي المرسي الرقوطي المعروف بابن سبعين: من زهّاد الفلاسفة، ومن القائلين بوحدة الوجود. ولد سنة ٦١٣ هـ، ودرس العربية والآداب في الأندلس، وانتقل إلى سبتة وحجّ واشتهر أمره. وقد كفّره بعض الناس. وله مريدون وأتباع يعرفون بالسبعينية. فصد بمكّة، فترك الدم يجري حتّى مات نزفاً سنة ٦٦٩ هـ. من مؤلّفاته: الحروف الوضعية في الصور الفلكية، كتاب البدو، كتاب اللهو، رسالة النصيحة، أسرار الحكمة المشرقية. (لسان الميزان ٣: ٣٩٢، شذرات الذهب ٥: ٣٢٩ ـ ٣٣٠، الأعلام للزركلي ٣: ٢٨٠).

(٣) صدر الدين محمّد بن إبراهيم بن يحيى الشيرازي القوامي المعروف بصدر المتألهين: من عظماء الفلاسفة الإلهيّين. ولد في شيراز، وكان أوّل حضوره لطلب العلم عند الشيخ بهاء الدين العاملي، ثمّ المحقّق محمّد باقر الداماد. توفّي في البصرة سنة ١٠٥٠ هـ وهو متوجّه إلى مكّة حاجّاً. ألف: الأسفار الأربعة في الحكمة، التفسير، مفاتيح الغيب، المبدأ والمعاد، الشواهد الربوبية، وغيرها. (معجم المطبوعات العربية ٢: ١١٧٣ ـ ١١٧٥، أعيان الشيعة ٩: ٣٢١ ـ ٣٣٠، الأعلام للزركلي ٥: ٣٠٣).

أقول: ليس جميع هؤلاء المذكورين من الفرس، كما هو منطوق المتن، بل بعضهم، فالفارابي مثلاً كان تركيّاً، وابن سبعين من الأندلس، فلاحظ.

لا انفصام لها»[١].

وتفنيد الشيخ لرأي «رينان» حول الشيعة وعلاقة أهل فارس بالإسلام يشهد له بأنّه كان على اطّلاع بالفقه الشيعي، ومعرفة بآثار علماء فارس في الفلسفة والطبّ واللغة، ولا يرى في هذا الفقه إلّا ما يراه في الفقه السنّي، فليس بين الفقهين تفاوت في الأُصول، وإنّما ينحصر الاختلاف في بعض الفروع، وهو اختلاف لا يقضي على العروة الوثقى التي تربط بين المسلمين في كلّ مكان.

وقال في كتابه «رفع الأغلاق عند مشروع الزواج والطلاق»[٢] ـ وهو يتحدّث عن المسائل الخلافية والعمل بها وأنّ أحداً لا يستطيع أن يمنع أحداً من أن يعمل بمذهب من المذاهب ـ: «ألا ترى أنّ الإمامية الموجودين في القطر المصري يعملون فيما بينهم بما يعتقدونه مذهباً لهم بدون حرج؟!».

وفي هذا القول إشارة إلى أنّ المذهب الإمامي كان له وجود في مصر في عصر الشيخ المطيعي، وأنّ العمل باجتهادات فقهاء هذا المذهب لا يختلف عن سائر المذاهب، وبخاصّة الأربعة المشهورة، وهذا يعني أنّ الاجتهادات المذهبية لها اعتبارها، لا فرق بين مذهب سنّي ومذهب شيعي.

وهذه النظرة تنكر التعصّب المذهبي، وتحترم كلّ اجتهادات الفقهاء في المذاهب المعتبرة، وتعدّ دعوة من الشيخ للتقريب بين أتباع هذه المذاهب؛ لأنّه لا يوجد فرق جوهري بين أُصولها.

وكأنّي بالشيخ ـ وهو يتحدّث عن الفقه الشيعي ـ يعبّر عن الدعوة التي بدأها الشيخ محمّد عبده، وتبنّاها الشيخ رشيد رضا[٣]، ثمّ أصبحت رسالة «جماعة

---

(١) انظر تنبيه العقول: ١٩٧ ـ ١٩٩. (المؤلّف).

(٢) ص: ١٠٠، ط دار الفاروق بالجيزة ـ مصر. (المؤلّف).

(٣) محمّد رشيد بن علي رضا بن محمّد القلموني البغدادي الحسيني: أحد رجال حركة ←

التقريب» في القاهرة[١]، ومهمّة المجمع العالمي للتقريب في طهران، هذه الدعوة

← الإصلاح الإسلامي. ولد في طرابلس الشام سنة ١٢٨٢ هـ، ونشأ بها، ونظم الشعر في صباه، وكتب في بعض الصحف، ثمّ رحل إلى مصر سنة ١٣١٥ هـ، واتّصل بالشيخ محمّد عبده وتتلمذ عليه ولازمه، ثمّ أصدر مجلّة «المنار»، وأنشأ مدرسة الدعوة والإرشاد في مصر، ثمّ قصد سوريا في أيّام الملك فيصل، وانتخب رئيساً للمؤتمر السوري، ورحل إلى الهند والحجاز وأوروبّا، واستقرّ في مصر، إلى أن توفّي في القاهرة سنة ١٣٥٤ هـ. من آثاره: تفسير القرآن الكريم، تاريخ الأُستاذ الإمام الشيخ محمّد عبده، نداء للجنس اللطيف، الوحي المحمّدي، الخلافة. (الأعلام للزركلي ٦: ١٢٦).

(١) أُنشئت هذه الجماعة في القاهرة سنة ١٩٤٨م، واستمرّت حتّىٰ عام ١٩٧٠ م، وقد انفتح بها باب للمسلمين عظيم من الأصل في توحيد صفّهم على اختلاف مذاهبهم في جميع أرجاء المعمورة، فقام المخلصون من هذه الأُمّة بتأليف هذه الجماعة مبتغين من ذلك تأليف قلوب المسلمين، وتوحيد أُمّتهم، وجمعهم على كلمة سواء، ونبذ التعصّب البغيض الذي يفرّق شمل الأُمّة؛ لكي يعود المسلمون ـ وذلك كما كانوا ـ أُمّة واحدة، رائدها إعلاء كلمة الله، وغايتها إعزاز دين الله ونشر شريعته. وقد جمعت هذه الجماعة صفوة من أهل العلم والدين عند الفريقين، منهم: السيّد حسين البروجردي، والشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء النجفي، والشيخ محمّد تقي القمّي، والشيخ محمّد مصطفىٰ المراغي، والشيخ مصطفىٰ عبدالرزّاق، والشيخ عبدالمجيد سليم، والشيخ محمود شلتوت. وقد انتسب الألوف من مختلف البلدان الإسلامية إلى هذه الجماعة. وكان من آثار هذه الجماعة قرار الأزهر بدراسة المذهب الشيعي الإمامي والزيدي في كلّية الشريعة، وإدخال دراسة الفقه السنّي في كلّية المعقول والمنقول في جامعة طهران.

وكانت لهذه الجماعة مجلّة ربع سنوية، هي مجلّة «رسالة الإسلام». والمنهج الذي سارت عليه جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية يتمثّل فيما يلي:

١ ـ إنّ جماعة التقريب لا تريد المساس بالفقه الإسلامي ولا إدماج بعضها في بعض، بل هي ترى في هذا الاختلاف الفقهي مفخرة للمسلمين؛ لأنّه دليل على خصوبة في التفكير، وسعة في الأُفق، واستيفاء، وحسن تقدير للمصالح التي أنزل الله شريعته لكفالتها وصونها. ٢ ـ لا تمدّ الجماعة يدها إلّا إلى أقرب المذاهب الإسلامية التي تعتقد العقائد الصحيحة للإسلام والتي يجب الإيمان بها. ٣ ـ الآراء والأفكار التي لا صلة لها بالعقائد الصحيحة لا تؤدّي ولا ←

التي تتمثّل في العمل المخلص الجاد الذي لا يعرف كلمات المجاملة للتقريب بين المذاهب الفقهية، وأن تكون القاعدة الذهبية التي وضعها الشيخ محمّد رشيد ـ وهي الالتقاء حول ما اتّفق عليه الجميع ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه[١] ـ هي منطلق الجهاد العلمي للتقريب الفقهي، حتّى يتحقّق للأُمّة التقريب السياسي، والتكامل الاقتصادي، والتعاون في شتّى المجالات، والوقوف في وحدة قويّة أمام

← تدفع إلى التقاطع والتناحر، وإنّما يعذّر بعضنا البعض فيما اختلفنا فيه. ٤ ـ العمل على تبصير المسلمين بدينهم، وقطع أسباب الخلاف والتفريق بينهم. ٥ ـ بيان ما هو عقيدة يجب الإيمان بها وما هو معارف لا يضرّ الخلاف فيها، وإنّ من بين هذه المعارف ما يظنّ أنّه من العقائد، وهو ليس منها عند التحقيق. راجع: (رسالة التقريب / العدد: ٥٥ / صفحة: ٢٠٥ ـ ٢١٠ / ٢٠٠٦ م).

(١) كان الشيخ محمّد رشيد رضا صاحب مجلّة «المنار» و«تفسير المنار» قد وضع قاعدة للتعامل بين المختلفين من (أهل القبلة) سمّاها «القاعدة الذهبية». وهي القاعدة التي تقول: «نتعاون فيما اتّفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه». وقد تبنّى هذه القاعدة كلّ المصلحين من أهل الحكمة والاعتدال، ومن بينهم الإمام حسن البنّا، الذي ردّد هذه الكلمة في بعض رسائله ومحاضراته، حتّى حسبها بعض أتباعه من كلمات البنّا نفسه. وقد شكّك بعضهم في الشقّ الثاني من هذه القاعدة، وقال: كيف نعذر المختلفين إذا خالفوا النص؟! ولا يخفى أنّ النصوص منها ما هو قطعي الثبوت والدلالة، وهذا لا عذر لأحد في مخالفته، ولكن هذا النوع من النصوص قليل جدّاً. ومعظم النصوص إمّا قطعية الثبوت ظنّية الدلالة، أو ظنّية الثبوت قطعية الدلالة، أو ظنّية الثبوت ظنّية الدلالة، وفي هذه (الظنّية) مجال الاجتهاد والاختلاف، وهنا يكون عذر المخالف. والمهمّ التركيز في الحوار على (الجوانب العملية) وتأجيل الجوانب النظرية والتجريدية، فالغالب أنّ الجدل فيها لا يوصل إلى نتيجة. والمقصود من (الجوانب العملية) التي يجدي الحوار فيها أمران: أحدهما: ما يتعلّق بمواقفنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بحيث نجتمع حول هدف واحد، ونصدر عن موقف واحد، ونواجه المخطّطات المعادية باستراتيجيات واحدة. والآخر: ما يتعلّق بالأحكام الفقهية العملية، فالحوار فيها أيسر وأقرب منالاً من البحث في الأُمور العقائدية والكلامية. وربّما كان البحث في المعاملات والفقه الاقتصادي أسهل من البحث في العبادات والشعائر والأركان الدينية. (بحوث وتوصيات ١: ٧٧).

التحدّيات التي تهدّد مستقبل الإسلام والمسلمين في العصر الحاضر، وهي تحديات خطيرة لم يعرفها المجتمع الإسلامي عبر تاريخه الطويل.

ويبدو من الحديث عن ثقافة الشيخ أنّ هذه الثقافة مرّت بمرحلتين:

كانت الأُولىٰ بعد تخرجه في الأزهر، وعمله بالتدريس، ثمّ القضاء، إلى أن عيّن مفتياً للديار المصرية، وفي هذه المرحلة غلب على ثقافة الشيخ التعويل على التراث الفقهي والأُصولي، مع ذاتية مستقلّة في الموازنة والترجيح تعبّر عن هضم لهذا التراث وإحاطة علمية بما اشتمل عليه من آراء واجتهادات. فالشيخ في هذه المرحلة ليس مجرّد مستقرئ للنصوص والآراء، ولكنّه مع هذا الاستقراء يتمتّع بالاجتهاد الانتقائي دون إغفال لمقتضيات العصر وضرورات الحياة، فهي ثقافة محافظة مجدّدة أيضاً..

أمّا المرحلة الثانية فتبدأ بعد أن أصبح مفتياً، واستمرّت إلى وفاته، وفي هذه المرحلة تطوّر اطّلاع الشيخ وتجاوز التخصّص العلمي الدقيق إلى الدراسات الأدبية والتاريخية والاجتماعية والفلسفية، مع المتابعة للتيّارات المعادية للإسلام تحت ستار مزيّف من الدعوة إلى التجديد والتطوير، والتصدّي بشجاعة لها، فضلاً عن الانغماس في المشكلات السياسية والاجتماعية ودوره الإيجابي فيها. وفي هذه المرحلة اتّسعت دائرة ثقافته ، بحيث يمكن القول بأنّه أصبح موسوعي الثقافة، وأصبح له أُسلوبه الخاصّ الذي أضحى مزاجاً من العبارة الأدبية والدقّة العلمية، فكانت ثقافة هذه المرحلة أكثر تحرّراً من الالتزام بكثرة النقول، وأكثر معايشة للواقع، وأكثر بسطاً وامتداداً في الأُسلوب، وأكثر تعبيراً عن التجديد المحافظ، وأقوى نقداً وتفنيداً لآراء الذين تهجّموا على الإسلام وتاريخه؛ انبهاراً ببريق أُوروبّا الخادع.

منزلته بين علماء عصره

عاصر الشيخ المطيعي عدداً كبيراً من العلماء والمفكّرين، ولا سبيل لعقد موازنة بينه وبين كلّ من عاصرهم؛ لأنّ هناك تفاوتاً واضحاً بين التخصّصات العلمية لهؤلاء العلماء والمفكّرين، ومن ثمّ أُقصر هذه الموازنة بين عدد محدود ممّن عاصرهم، وهم الذين يلتقون معه في التخصّص العلمي، ولذلك كان هؤلاء ممّن تخرّجوا في الأزهر أو دار العلوم، وشغلوا مراكز علمية رفيعة، وكانت لهم آثارهم في الدراسات الفقهية والإسلامية بوجه عامّ.

إنّ الذين كتبوا عن الشيخ بعد وفاته وصفوه بأنّه من كبار علماء عصره، وهو العالم الثبت الحجّة، والفيصل في الحكم، وصاحب القدح المعلّى في حلّ المشكلات ودفع الشبه وقطع المنازعات، وأنّه منقطع النظير في علوم الشريعة وأُصول الدين والفلسفة والمنطق[١].

---

(١) من ذلك ما قاله الحجوي ـ وهو من معاصريه ـ في حقّه: «الإمام العلم الشهير العلّامة المحرّر الكبير... والحمد لله على وجود أمثاله الصالحين». (الفكر السامي ٢: ٢٠١).

ولم يقتصر الأمر في هذ المجال الأقلام السنّية، بل تعدّاه إلى الأقلام الشيعية أيضاً، وها أنا أورد ما قاله في حقّه ثلاثة من أكابر علماء الإمامية على سبيل المثال لا الحصر:

قال الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء: «لم أجد في مصر عالماً محقّقاً مثله، يباحث أصول الفقه عصراً في جامع رأس سيّدنا الحسين عليه السلام، والتفسير بين المغرب والعشاء في الأزهر، وله مؤلّفات كثيرة، طبع أكثرها». (أصل الشيعة وأُصولها «المقدّمة»: ٩٨).

وقال كاشف الغطاء أيضاً في حقّه: «عالم الفنّ العلّامة الجليل أحد أكابر علماء مصر القاهرة الشيخ محمّد بخيت المطيعي رئيس المحكمة الشرعية العليا بمصر. وقد حضرنا دروسه بمصر سنة ١٣٣٠ هـ، فوجدناه في أكثر العلوم بحراً موّاجاً وسراجاً وهّاجاً، شعلة ذكاء وفهم وإحاطة وعزم، ودفع إلينا جملة من مؤلّفاته...». (نقض الفتاوى الوهابية: ٢١).

وقال السيّد شرف الدين العاملي: «ومهما يكن من أمر، فقد نعمنا بمصر في خدمة هذا الشيخ ـ أي: الشيخ سليم البشري ـ واتّصلنا بغيره من أعلام مصر المبرّزين، إذ زارونا ←

ومنهم من قال عنه: «شيخ العلماء، ومفتي الأنام، وأبو حنيفة هذا العصر»[١].

وقال عنه الأُستاذ الزيّات[٢]: بأنّه «خاتمة طبقة من العلماء المحقّقين»[٣].

وسلكه من كتب مقدّمة للتعريف بكتاب «المعاملات الشرعية المالية» للشيخ أحمد إبراهيم[٤] ضمن أئمّة مصر، قال: «وقدّمت مصر إلى العالم الإسلامي في كلّ أطوار تاريخها الإسلامي علماء نُبَهاء في كلّ فنّ وعلم، وبخاصّة في الفقه

← وزرناهم، أخصّ منهم العلّامتين: الشيخ محمّد السملوطي، والشيخ محمّد بخيت، وقد نجمت هذه الاجتماعات الكريمة عن فوائد جمّة». (تشييد المراجعات ١: ١٤ ـ ١٥، نقلاً عن بغية الراغبين).

وقال السيّد شهاب الدين المرعشي: «وممّن أُروي عنه العلّامة الفقيه المحدّث المتكلّم الشيخ محمّد بخيت المصري الموطن المطيعي العشيرة الحنفي المذهب مفتي الديار المصرية في الأسبق صاحب كتاب الكلمات الحسان، وهو يروي عن جماعة، منهم: العلّامة الشيخ حسن الطويل، والعلّامة الشيخ محمّد البسيوني، كلاهما عن شيخهما العلّامة الشيخ محمّد عليش، والعلّامة الشيخ إبراهيم السقّا...». (شرح إحقاق الحقّ ٣: ٣٣١).

(١) انظر مجلّة «الإسلام»، عدد: ٥، من شعبان، سنة ١٣٥٤ هـ. (المؤلّف).

(٢) أحمد بن حسن الزيّات: أديب مصري معروف. ولد سنة ١٨٨٥ م بقرية «كفر دميرة القديم» في طلخا، ودخل الأزهر قبل الثالثة عشرة، وفصل قبل إتمام دراسته، وعمل في التدريس الأهلي، وتعلّم مدّة في مدرسة الحقوق الفرنسية بالقاهرة، ودرّس الأدب في المدرسة الأميركية بالقاهرة وفي دار المعلّمين العليا ببغداد، وأصدر سنة ١٩٣٣ م مجلّة «الرسالة» وكذلك مجلّة «الرواية». انُتخب عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وعيّن في المجلس الأعلى للآداب والفنون، ونال جائزة الدولة التقديرية سنة ١٩٦٢ م. كان من أرقّ الناس طبعاً ومن أنصع كتّاب العربية ديباجةً وأُسلوباً. توفّي بالقاهرة سنة ١٩٦٨ م، وحمل إلى قريته، فدفن فيها. من كتبه: تاريخ الأدب العربي، دفاع عن البلاغة، وحي الرسالة، في أُصول الأدب، في ضوء الرسالة. (الأعلام للزركلي ١: ١١٣ ـ ١١٤).

(٣) انظر مجلّة «الرسالة»، السنة: الثالثة، ص: ١٧٥. (المؤلّف).

(٤) ستأتي ترجمته في طيّات الكتاب.

الإسلامي، فقد ظهر فيها فحول الفقهاء المشهود لهم بالبروز والتقدّم منذ عهد الليث ابن سعد[١] فقيه مصر وعالمها، وعبدالله بن وهب[٢]، ومحمّد بن إدريس الشافعي الإمام، إلى الشيخ الإمام محمّد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية ﷺ»[٣].

فإذا تركنا هذه النعوت التي تعبّر عن مكانة الشيخ العلمية؛ لأنّ البعض قد يفهمها بأنّها لون من الانفعال العاطفي في لحظات الوداع، فليس لها طوعاً لهذا دلالة علمية مطلقة، إلى الموازنة بين الشيخ ومن عاصرهم، وصولاً إلى تحديد منزلته العلمية، وفق موازين لا تعرف العاطفة، وإنّما تؤسّس على قواعد منطقية ومعطيات واقعية، وهؤلاء الذين عاصرهم الشيخ منهم من تخرّج في الأزهر، ومنهم من تخرّج في دار العلوم، ومنهم من تولّى مشيخة الأزهر، ومنهم من عمل بالإفتاء والقضاء، ومنهم من كان أُستاذاً بالجامعة.

المعاصرون من خرّيجي الأزهر

١ ـ الإمام محمّد عبده (ت: ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥م).

---

(١) أبو الحارث الليث بن سعد بن عبدالرحمان الفهمي بالولاء: إمام أهل مصر في عصره حديثاً وفقهاً. أصله من خراسان، ومولده سنة ٩٤ هـ في قلقشندة، ووفاته سنة ١٧٥ هـ في القاهرة. كان من الكرماء الأجواد. وقال الشافعي: «الليث أفقه من مالك. إلّا أنّ أصحابه لم يقوموا به». وله عدّة تصانيف، ولابن حجر العسقلاني كتاب في سيرته، هو «الرحمة الغيثية في الترجمة الليثية». (حلية الأولياء ٧: ٣١٨ ـ ٣٢٧، تاريخ بغداد ١٣: ٣ ـ ١٤، الجواهر المضيئة: ٢٧٠، تهذيب التهذيب ٨: ٤١٢ ـ ٤١٧، الأعلام للزركلي ٥: ٢٤٨).

(٢) أبو محمّد عبدالله بن وهب بن مسلم الفهري بالولاء المصري: فقيه معروف. ولد بمصر سنة ١٢٥ هـ، وكان من أصحاب مالك، وجمع بين الفقه والحديث والعبادة، ووصف بالحافظ الثقة المجتهد. عرض عليه القضاء، فخبّأ نفسه ولزم منزله. من مؤلّفاته: الجامع، والموطأ. توفّي بمصر سنة ١٩٧ هـ. (وفيات الأعيان ٣: ٣٦ ـ ٣٧، تهذيب التهذيب ٦: ٦٥ ـ ٦٧، الأعلام للزركلي ٤: ١٤٤).

(٣) انظر ص: ٥ من كتاب «المعاملات الشرعية المالية». (المؤلّف).

٢ ـ الشيخ حسّونة النواوي (ت: ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٥م).

٣ ـ الشيخ سليم البشري (ت: ١٣٣٥ هـ / ١٩١٧م).

٤ ـ الشيخ أبو الفضل الجيزاوي (ت: ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧م).

٥ ـ الشيخ محمّد الأحمدي الظواهري (ت: ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٤م).

٦ ـ الشيخ محمّد مصطفى المراغي (ت: ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥م).

أمّا الإمام محمّد عبده فإنّه أُستاذ هذه الكوكبة من العلماء حتّى الشيخ المطيعي، ووضعه على رأس هؤلاء العلماء الذين عاصروا الشيخ ليس الغاية منه الموازنة العلمية بينهما، وإنّما الإشارة إلى ما ذكره بعض المعاصرين[1] من: أنّ الشيخ كان من أشدّ المعارضين لحركة الإصلاح التي قام بها الإمام، وأنّ الذي دفعه إلى تلك المعارضة شهوة المنافسة من جهة، وتحريض أُولي السلطة من جهة أُخرىٰ.

وقد ردّ على هذا الرأي الأُستاذ محمّد رجب البيّومي[2] رداً علمياً دقيقاً، قال: «إنّ الشيخ قد اندفع إلى معارضة الإمام وراء شهوة المنافسة وبتحريض أُولي السلطان، فقد يكون هذا ممّا يظنّ لدى النظرة العاجلة، ولكن المسألة ترجع في صميمها إلى اتّجاهين علميين يتنازعان مدى الأحقاب: اتّجاه التجديد الواثب، واتّجاه المحافظة المتئدة، فملابسات الإمام ورحلاته وثقافاته المتّسعة دعته إلى التجديد عن اعتقاد، وقد سدّ بذلك مسدّاً لا يقوم به سواه، وعكوف الشيخ على

---

(١) انظر مجلّة «الرسالة»، السنة: الثالثة، ص: ١٧٥. (المؤلّف).

(٢) الدكتور أبو حسام محمّد رجب البيّومي: أديب معروف ومفكّر جاد. له مشاركات كثيرة في كتابة المقالات وفي عدّة مجلّات وصحف، كالأزهر، والرسالة، والثقافة، والمنار، والمنهل، والفتح، وغيرها. وقد تولّىٰ رئاسة تحرير مجلّة «الأزهر»، وأصدر عشرات الدراسات الإسلامية والأدبية، بالإضافة إلى مجموعة من الروايات والقصص والدواوين الشعرية. من أشهر كتبه «النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين». (وجوه عربية وإسلامية: ١١٠ ـ ١١٤).

الكتب الأزهرية وحدها ـ وهي على عهده كتب المتون والحواشي والتقارير ـ قد دفعه إلى الانحياز إلى ما قرأ في هذه الكتب دون أن يمتدّ به النظر إلى غيرها»[١].

وألقى البحث المركّز الذي كتبه الأُستاذ البيّومي عن فتاوى الشيخ[٢] مزيداً من التحليل والتعليل لهذا الموضوع، فقد قال في مستهلّه: «في كلّ عصر مزدهر يوجد المجدّد الذي يجتهد في الأحكام ، كما يوجد المحافظ الذي يزن الجديد بميزان دقيق، فيجد من الأُمور ما يكون موضعاً للمخالفة والمجاذبة، وكلا المجدّد والمحافظ ضرورة من ضرورات البحث العلمي، ولكنّ نفراً من السطحيّين يلمزون المحافظين لمزاً أليماً، ويعدّونهم عقبة في سبيل التطوّر، وليس كلّ محافظ عقبة، فلدينا المحافظ الذي يمسك الميزان بكفّه العادلة ليزن الأمر بالقسطاس المستقيم، هذا لا يقلّ مكانة عن المجدّد، بل هو مجدّد في اتّجاهه الذي يقي من الانحراف».

ويعزّز الأُستاذ رجب البيّومي هذا التحليل لمفهوم التجديد بنصّ للشيخ محمّد أبو زهرة﵀[٣] في ترجمته للإمام محمّد زاهد

---

(١) النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٣: ٣٢٩. (المؤلّف).

(٢) انظر مجلّة «منبر الإسلام»، عدد: ربيع الأوّل، سنة ١٤٢٤ هـ، ص: ٩٤. (المؤلّف).

(٣) محمّد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد بن عبدالله أبو زهرة: علّامة مفكّر مشهور، وأحد روّاد التقريب. ولد بمدينة المحلّة الكبرىٰ إحدى مدن محافظة الغربية بمصر سنة ١٨٩٨ م، وربّي بجامع الأحمدي فيها، وتعلّم بمدرسة القضاء الشرعي، وحصل على شهادتها مع درجة أُستاذ وعلى شهادة دار العلوم بالقاهرة، واشتغل بالتدريس. بدأ اتّجاهه في البحث العلمي بكلّية أُصول الدين بالأزهر، ثمّ في كلّية الحقوق بجامعة القاهرة، وعيّن محاضراً للدراسات العليا فيها، وعضواً للمجلس الأعلى للبحوث العلمية، فوكيلاً لمعهد الدراسات الإسلامية الذي أسّسه في القاهرة بمعيّة بعض أهل العلم، ولم ينقطع عن إلقاء المحاضرات فيه، كما تولّىٰ التدريس في عدد من الجامعات. شارك في كثير من لجان صياغة قانون الأحوال الشخصية وتعديله في مصر وغيرها من البلاد العربية، وكانت له مواقف شجاعة مع حكومة مصر آنذاك. توفّي في مصر سنة ١٩٧٩م تاركاً الكثير من المؤلّفات، منها: تاريخ الجدل في ←

.....

→ الإسلام، المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد، مقارنات الأديان، محاضرات في النصرانية، نظام الإسلام، العلاقات الدولية الإسلامية، المجتمع الإسلامي في ظل الإسلام، والوحدة الإسلامية، أُصول الفقه، الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية، الأحوال الشخصية وشرح قانون الوصية، تاريخ المذاهب الفقهية، محاضرات في الأوقاف، القضاء الإداري في الإسلام، سيرة المصطفى ﷺ، جعفر الصادق عليه السلام، مالك، الشافعي، ابن حزم، ابن حنبل. وقد كانت لأبي زهرة رؤى تقريبية واضحة المعالم من خلال كتاباته المختلفة، يقول في جملة منها: «إنّنا في هذا العصر قد تفرّقنا في كلّ شيء، تفرّقنا في السياسة، فتقطّعت الأُمم الإسلامية أقاليم متنازعة، وتوزّعتها أرض الله، لا جامعة تجمعها، ولا رابطة تربطها... ولذلك صارت أرضنا نهباً مقسوماً وخيراتها لأعدائنا، وليس لنا منها إلّا أجر العامل الذي يحمل أثقالها... وورثنا في هذا العصر التفرّق المذهبي، حتّىٰ أخذ بعضنا يكفّر الآخر من غير حجّة ولا بيّنة، وصارت للآراء والأفكار عصبية تشبه العصبية الجاهلية... وأهل كلّ مذهب يحسب أنّ مذهبه تراث لهم فقط، وليس تراثاً للإسلام كلّه، وإن اعتبره تراثاً للإسلام وأنّ ما عداه انحراف لا يؤخذ به وضلال لا يلتفت إليه! وبهذا التفرّق السياسي والمذهبي ضاعت القوى وأذلّنا أعداؤنا. وإذا كان الاختلاف قد أثّر ذلك التأثير في الوحدة فإنّه لا بدّ لنا عندما نتّجه إلىٰ التجمّع والاتّحاد أن نزيل أثر ذلك الاختلاف... إنّ نواة الوحدة الفكرية ثابتة إذاً مهما تختلف الطوائف والمذاهب، ولكن الأمر الذي نريده هو توجيه هذه الوحدة والعمل على إنمائها، وإيجاد مجتمع فكري يبني دعائم الإسلام ويقف حاجزاً دون النزاعات المفرّقة التي تفرّق بين صفوفه وتلقي بالريب في حقائقه. ونريد مع هذا جمع تراث الماضين، ولا فرق في ذلك التراث بين ما تركه الشيعة وبين ما تركه أئمّة الأمصار ذوو المذاهب المعروفة وغير المعروفة، فكلّ ذلك تراثنا؛ لأنّه ثمرات غرس التوحيد... إنّ محو الطائفية يجب أن يكون غاية مقصودة؛ لأن الخلاف الطائفي يشبه أن يكون نزعة عنصرية، والذين يريدون الكيد للإسلام يتّخذون منها منفذاً ينفذون منه إلىٰ الوحدة الإسلامية، ولأنّ وحدة المسلمين توجب وحدة الشعور، ولا وحدة للشعور مع الطائفية. ولهذا نقرّر أنّ الطوائف الإسلامية كلّها يجب أن تتلاقى على محبّة الله ورضاه وتحت ظلّ كتابه تعالى والسنّة الصحيحة والمقرّرات الإسلامية التي علمت من الدين بالضرورة. ولا مانع من أن تختلف آراؤنا، ولكن يكون ←

الكوثري ﷺ[١]، قال:

«إنّ ذلك الإمام الجليل لم يكن من المنتحلين لمذهب جديد، ولا من الدعاة لأمر بادئ لم يسبق إليه، ولم يكن من الذين يسمهم الناس بسمة التجديد، بل كان ينفر منهم، فإنه كان متّبعاً ولم يكن مبتدعاً، ولكن مع ذلك أقول: إنّه كان من المجدّدين بالمعنى الحقيقي للتجديد؛ لأنّ التجديد ليس ما تعارفه الناس اليوم من خلع للربقة وردّ لعهد النبوّة الأُولىٰ، إنّما التجديد هو أن يعاد للدين رونقه، ويزال عنه ما علق به من أوهام، ويبيّن للناس صافياً كجوهره، نقياً كأصله، وإنّ لمن التجديد أن تحيا السنّة، وتموت البدعة، ويقوم بين الناس عمود الدين».

ويخلص الأُستاذ الفاضل من هذا إلى أنّ ما نقله عن الشيخ أبي زهرة له اتّصاله الوثيق بمنحى الأُستاذ الكبير محمّد بخيت المطيعي في الفتوى المعاصرة، والاتّجاه الفقهي الملتزم، ولكن الذين يكرهون الشيخ اتّخذوا من موقفه المحافظ ذريعة للحكم عليه باطلاً بأنّه ضدّ الإمام محمّد عبده وخصم له، والرجل يعرف مقام الإمام، وإذا عارضه في رأي فقهي فهي معارضة النظراء حين تنفرج مسافات القول

← اختلاف آحاد في منازع علمية، ولا يكون اختلاف جماعات وطوائف تجعل الأُمّة الإسلامية متفرّقة متنازعة». (الإمام زيد لأبي زهرة: ٧ ـ ١١، عظماء الإسلام: ٣٧٥ ـ ٣٧٦، إتمام الأعلام: ٣٦٢).

(١) محمّد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري الجركسي الحنفي: فقيه، محدّث، متكلّم، مؤرّخ، أديب. ولد في قرية «الحاجّ حسن أفندي» شرقي القسطنطينية سنة ١٨٧٩ م، وتلقّىٰ مبادئ العلوم، وتفقّه في جامع الفاتح، ودرّس فيه، وتولّى رئاسة مجلس التدريس، ووكالة المشيخة الإسلامية، وعُيّن أُستاذاً في جامعة «إسطنبول». كان عارفاً: بالعربية، والتركية، والفارسية، والجركسية. اضطهده الاتّحاديّون خلال الحرب العالمية الأُولى، ولمّا ولي الكماليّون أرادوا اعتقاله، ففرّ إلى مصر، وتوفّي بالقاهرة سنة ١٩٥٢ م. من مؤلّفاته: المدخل العامّ لعلوم القرآن، الاستبصار في التحدّث عن الجبر والاختيار، الإشفاق على أحكام الطلاق، حسن التقاضي في سيرة الإمام أبي يوسف القاضي. (معجم المؤلّفين ١٠: ٤ ـ ٥).

انفراجاً يدعو إلى تعدّد الآراء، ولكن هؤلاء الذين يحاولون أن يجعلوه خصماً لحرّية الفكر بدليل ما بدا من معارضته لبعض آراء الإمام إنّما يتمسّحون بالإمام لحاجة في نفوسهم، فليست المعارضة لرأي مسوّغاً للاتّهام بالخصومة لحرّية الفكر؛ لأنّ هذه المعارضة مظهر من مظاهر هذه الحرّية. والشيخ إذا كان قد اختلف مع الإمام في حياته في بعض الآراء ـ وهو اختلاف النظراء لا اختلاف شهوة المنافسة أو التحريض من أُولي السلطة فما كان الشيخ يمالئ حاكماً أو يتزلّف إليه ـ فقد ارتفعت لديه منزلة الإمام بعد وفاته، وكتب عنه ما ينبئ عن تقديره الجمّ، كما رأس الحفلة الكبرى التي أقيمت لتأبينه سنة ١٩٢٢ م، فوفّاه حقّه الصحيح من التقدير، وحين ألّف كتابه «حقيقة الإسلام وأُصول الحكم» ورأى الأُستاذ علي عبد الرزّاق ينقل عن كتاب «رسالة التوحيد»[١] كلاماً يفسّره على غير وجهه الذي عناه الأُستاذ الإمام، قال في قوّة: «وكلّ ما نقله من رسالة التوحيد للمغفور له الأُستاذ الشيخ محمّد عبده ﷺ قد ساقه للتمويه والمغالطة على غير الغرض الذي ساقه له المغفور له الأُستاذ الجليل، وحوّله إلى غرضه؛ ليوهم الناس أنّ له سلفاً صالحاً فيما يقول، ألا وهو الشيخ الجليل والأُستاذ الكامل الحجّة الشيخ محمّد عبده، وما لهؤلاء وللشيخ محمّد عبده، وهم ما عاصروه ولا خالطوه تمام المخالطة، ولا اجتمعوا معه في درس، ولا أخذوا عنه شيئاً من العلم، وإنّما يتشبّثون بكلّ من اشتهر بالفضل والعلم، وهو بريء منهم براءة الذئب من دم ابن يعقوب». فهذه الشهادة العلمية الصريحة للإمام الحجّة تغني عن كلّ دليل[٢].

---

(١) يدور موضوع هذا الكتاب حول معرفة الخالق والتعرّف على صفاته، وقد قام الشيخ محمّد عبده بتدريس هذه الرسالة لطلبة الأزهر، وقد ترجمت إلى الأُوردية والفرنسية. (الشيخ محمّد عبده راية الإصلاح: ٥٣).

(٢) انظر: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٣: ٣٢٨ ـ ٣٢٩، مجلّة «منبر الإسلام»، عدد: ربيع الأوّل، سنة ١٤٢٤ هـ، ص: ٩٤. (المؤلّف).

إنّ العلاقة بين الإمام والشيخ لم تكن علاقة ندّية أو منافسة أو صراع على حطام الدنيا، وكان الشيخ يقدّر الإمام حقّ قدره. وإذا كان بينهما من خلاف حول بعض قضايا الإصلاح فإنّه خلاف منهج وثقافة، فالإمام برحلاته العديدة إلى بعض البلاد العربية والأُوروبّية، وتلمذته لجمال الدين الأفغاني، ومشاركته في الدعوة إلى الإصلاح، وإجادته الفرنسية، وعمله في الصحافة، كانت له رؤية خاصّة في معالجة مشكلات الأُمّة، وبخاصّة مشكلات التعليم والقضاء، وفهم الدين على طريقة السلف، وتحرير اللغة من المحسنّات البديعية التي يمجّها الذوق ولا تلائم العصر، على حين كانت ثقافة الشيخ في المرحلة الأُولىٰ كما ذكرت سابقاً مردّها إلى التراث الفقهي والأُصولي . وإن كانت تلمّ بقدر من الدراسة المنطقية والفلسفية، ومن ثمّ جاء التفاوت بينه وبين الإمام في منهج الإصلاح، وهو تفاوت يعبّر عن تنوّع في التصوّر والأُسلوب، ولا يدلّ على نزعة شخصية في المراء والجدل.

وتؤكّد هذا مؤلّفات ومقالات الإمام، فهي كلّها بوجه عامّ تتناول تحرير الفكر من قيد التقليد، والرجوع في فهم الدين إلى الينابيع الأُولىٰ قبل ظهور الخلاف، وإصلاح اللغة، واستنهاض الهمم للحياة العزيزة الكريمة، ولكن مؤلّفات الشيخ في الفترة التي عاصر فيها الإمام كانت دراسات فقهية وأُصولية وإن لم تخل من نظرات إصلاحية، بيد أنّها نظرات تؤثر التأنّي، على عكس ما كان الإمام يدعو إليه متأثّراً بأُستاذه الأفغاني، فكلّ منهما مجدّد وفق رؤيته وثقافته.

وأمّا الشيخ حسونة النواوي، فقد درّس في الأزهر بعد تخرّجه فيه، كما درّس الفقه بدار العلوم، ومدرسة الإدارة التي سمّيت بعد ذلك بمدرسة الحقوق، ثمّ كلّية الحقوق، وقد شغل منصب الإفتاء إلى جانب تولّيه مشيخة الأزهر التي عهد له بها مرّتين، وليس له من أثر علمي سوى كتاب «سلّم المسترشدين في الفقه

الحنفي»، وقد كتبه لطلّاب مدرسة الإدارة[١].

وكما تولّى الشيخ حسونة المشيخة مرّتين، تولّاها أيضاً الشيخ سليم البشري[٢]، وكان قبل توليته مشيخة الأزهر قد تولّى نقابة المالكية، وله «المقامات السنية في الردّ على القادح في البعثة النبوية»، ويقول عنه صاحب الأعلام: إنّه رآه في كرّاس واحد مخطوط في خزانة الرباط (٢٣٨٩ كتّاني)[٣].

والشيخ أبو الفضل الجيزاوي من الذين تولّوا مشيخة الأزهر، وكان له اهتمام بعلم أُصول الفقه، وله فيه حاشية، كما أنّ له كتاباً على شرح العضد[٤] وحاشية

---

(١) انظر أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، لأحمد تيمور باشا، ص: ١١٤ ـ ١١٩. (المؤلّف).

(٢) سليم بن أبي فرّاج بن سليم بن أبي فرّاج البشري المالكي: شيخ الجامع الأزهر. ولد سنة ١٨٣٢ م في محلّة «بشر» من قرىٰ مديرية «البحيرة» بمصر، وتعلّم وعلّم بالأزهر، وتولّى نقابة المالكيين، ثمّ مشيخة الأزهر مرّتين، وتوفّي بالقاهرة سنة ١٩١٧ م. له من المؤلّفات: المقامات السنية في الردّ على القادح في البعثة النبويّة، وحاشية تحفة الطلّاب بشرح رسالة الآداب، ووضع المنهج، وشرح نهج البردة لأحمد شوقي، وحاشية على رسالة الشيخ عليش في التوحيد، وتقرير على جمع الجوامع. (الأعلام للزركلي ٣: ١١٩).
أقول: وقد وضع السيّد عبدالحسين شرف الدين العاملي كتابه «المراجعات» نتيجة المراجعات التي جرت بينه وبين الشيخ المذكور بشكل مباشر في مصر وبشكل مراسلات حول قضايا الإمامة والخلافة وبعض المسائل التاريخية والأُصولية، وقد كانت المراجعات بأُسلوب موضوعي مشفوع بالإحساس بالمسؤولية الشرعية والروح الأخوية البعيدة عن التعصّب الطائفي أو الانحياز الشخصي من كلا الطرفين، فخدما بذلك الأُمّة الإسلامية في توحيد كلمتها ورصّ صفوفها وسدّ فجوات كان العدوّ ينفذ منها.

(٣) الأعلام للزركلي ٣: ١١٩. (المؤلّف).

(٤) أبو الفضل عضد الدين عبد الرحمان بن أحمد بن عبد الغفّار الإيجي: عالم شهير بالأُصول والمعاني والعربية. وهو من أهل «إيج» ببلاد فارس. ولي القضاء، وأنجب تلاميذ عظاماً، وجرت له محنة مع صاحب كرمان، فحبسه بالقلعة، فمات مسجوناً عام ٧٥٦ هـ. له من ←

السعد[١]، وله كتيّب صغير في مصطلح الحديث.

وكان الشيخ الظواهري من تلامذة الإمام محمّد عبده، ومن الذين تبنّوا آراءه في الإصلاح، وقد تولّى مشيخة الأزهر ، وفي عهده وضع قانون للإصلاح، وهو القانون الذي حدّد كيان الأزهر، وقسّمه إلى: كلّية الشريعة، وكلّية أُصول الدين، وكلّية اللغة العربية. وحدّدت مدّة الدراسة بالقسم الابتدائي بأربع سنوات، وبالقسم الثانوي بخمس سنوات.

ومن مؤلّفات الشيخ الظواهري: العلم والعلماء، وهذا الكتاب شخّص فيه الداء والدواء في تطوير الأزهر، ورسالة في الأخلاق، وبعض الأبحاث المخطوطة في المنطق والوصايا والآداب، وبراءة الإسلام من أوهام العوام.

والشيخ المراغي كان أيضاً من تلامذة الإمام، ومن الدعاة إلى إصلاح الأزهر، وقد تولّى المشيخة مرّتين، وله تفسير لبعض سور القرآن الكريم، ودراسة في ترجمته، والدروس الدينية، وعدّة رسائل، وبحوث في التشريع الإسلامي[٢].

وهؤلاء العلماء الذين أوجزت الحديث عنهم وعن مؤلّفاتهم هم من خرّيجي

← المصنّفات: المواقف، والرسالة العضدية، وجواهر الكلام، وشرح مختصر ابن الحاجب، والفوائد الغياثية، وأشرف التواريخ، والمدخل في علم المعاني والبيان والبديع، وغيرها. (طبقات الشافعية الكبرى ١٠: ٤٦ ـ ٥٢، بغية الوعاة ٢: ١١٠ ـ ١١١، معجم المطبوعات العربية ٢: ١٣٣١ ـ ١٣٣٣، الأعلام للزركلي ٣: ٢٩٥).

(١) سعد الدين مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني: من أئمّة العربية والبيان والمنطق والكلام. ولد بتفتازان سنة ٧١٢ هـ، وأقام بسرخس، وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند، وتوفّي فيها سنة ٧٩٣ هـ، ودفن في سرخس. كانت في لسانه لكنة، وأوّل تصنيف له وهو في عمر الستّ عشرة سنة. من مؤلّفاته: تهذيب المنطق، مقاصد الطالبين، النعم السوابغ، شرح العقائد النسفية، التلويح إلى كشف غوامض التنقيح، شرح المقاصد، مختصر المعاني، إرشاد الهادي. (وجيز الكلام ١: ٢٩٥، شذرات الذهب ٦: ٣١٩ ـ ٣٢١، أبجد العلوم ٣: ٤٧، دائرة المعارف الإسلامية ٥: ٣٣٩ ـ ٣٤٦).

(٢) انظر الأعلام للزركلي [٧: ١٠٣]. (المؤلّف).

الأزهر، ودرسوا نفس المناهج التي درسها الشيخ المطيعي، وطبّق عليهم نظام الامتحان الذي طبّق عليه، والموازنة بينه وبينهم تعطي أنّ كلّاً منهم كان محدود التأليف، وكان هذا التأليف على ما له من قيمة علمية يكاد ينحصر في تخصّص علمي واحد كالأُصول والتفسير والفقه المذهبي.. الخ، ولكن يستثنى من هؤلاء العلماء الأُستاذ الإمام، فهو إمام المصلحين في العصر الحديث، وله جهود طيّبة في دراسة علم التوحيد والتفسير واللغة العربية، ومحاربة الجمود والتقليد والبدع والمنكرات ، والدعوة إلى الإصلاح الشامل ، وفهم الدين على طريقة السلف. ولا وجه للموازنة بينه وبين الشيخ المطيعي، فلكلّ منهما منهجه العلمي الذي يعكس ثقافته، والذي حملني على أن أُسلكه مع علماء عصر هذا الشيخ هو الردّ على ما ذهب إليه أُستاذنا الزيّات ﷺ من أنّ الشيخ عارض الإمام في دعوته إلى الإصلاح، وأنّ هذه المعارضة كان مبعثها شهوة المنافسة، وتحريض أُولي السلطة.

أمّا مؤلّفات الشيخ المطيعي فقد بلغت نحو أربعين مؤلّفاً، وشملت كلّ فروع التخصّصات في الدراسات الإسلامية غالباً، بالإضافة إلى الفتاوى التي تجاوزت عدّة آلاف، ويكفي أنّه في فترة عمله مفتياً رسمياً أصدر نحو ألفي فتوى، كما ذكرت من قبل.

ومن ثمّ يحتلّ الشيخ منزلة متميّزة بين هؤلاء العلماء الذين عاصروه من حيث كثرة مؤلّفاته وتنوّعها، بالإضافة إلى فتاويه الجمّة، ومحاضراته الفكرية والاجتماعية الكثيرة.

وإذا كان هؤلاء الأعلام فيما عدا الأُستاذ الإمام قد تولّوا مشيخة الأزهر، فإنّ الشيخ المطيعي قد رشّح مرّتين من قبل الخديو لهذه المشيخة، فلم يوافق رئيس النظّار على ذلك[1]، ولعلّ عدم الموافقة مردّها إلى ما عرف عن الشيخ من شجاعة وصراحة في أحكامه القضائية.

---

(١) انظر أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث: ١١١ ـ ١١٨. (المؤلّف).

المعاصرون من خرّيجي دار العلوم

١ ـ الشيخ أحمد أبو الفتح (ت: ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦م).

٢ ـ الشيخ أحمد إبراهيم (ت: ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥).

والشيخ أحمد أبو الفتح كان عالماً بالأُصول، وألّف فيه كتابه «المختارات الفتحية في تاريخ التشريع الإسلامي»، و«أُصول الفقه»، كما أنّه له كتاب في فقه المعاملات الشرعية، وقد اختصره في كتاب أطلق عليه «مختصر المعاملات الشرعية».

أمّا الشيخ أحمد إبراهيم فقد كان أغزر في التأليف من الشيخ أبي الفتح، وكذلك كان أعمق منه فكراً، وأدقّ لغة، وأسلس عبارة، فلا غرو أن كان من أعضاء مجمع اللغة العربية، وقد بلغت مؤلّفاته نحو ٢٥ كتاباً في الأحوال الشخصية وطرق القضاء وطرق الإثبات وأحكام الوصية والهبة والمعاملات الشرعية.

وهذه المؤلّفات تتّسم بالرصانة والدراسة الفقهية المقارنة المتميزة ، ولكن ليس للشيخ إبراهيم مؤلّفات في التفسير والأُصول والتوحيد والمنطق والفتاوى، فالشيخ المطيعي أكثر من الشيخ إبراهيم من حيث التأليف في كلّ فروع الدراسات الشرعية، وإن كان هذا يمتاز في مجال التأليف الفقهي بالدراسة الجامعية المنهجية التحليلية المقارنة، ولا يعوّل كثيراً على نقل النصوص.

وقد عقد الأُستاذ محمّد كرد علي[1] موازنة بين منهج التأليف لدى كلّ من

---

(١) محمّد كرد علي: أحد كبار الكتّاب المعاصرين، ومؤسّس المجمع العلمي العربي ورئيسه بدمشق، وصاحب مجلّة «المقتبس»، والمؤلّفات الكثيرة. ولد بدمشق سنة ١٢٩٣ هـ / ١٨٧٦ م، وتعلّم في مدرسة الرشدية، وأقبل على المطالعة الخاصّة، فأحسن التركية والفرنسية، وتذوّق الفارسية. وقد عمل في شبابه بالصحافة، وزار مصر أكثر من مرّة، وقد ولّي وزارة المعارف مرّتين في عهد الاحتلال الفرنسي. من مؤلّفاته: خطط الشام ستّة مجلّدات، والإسلام والحضارة العربية، والمذكّرات أربعة مجلّدات، كتب بعضها وقد تقدّمت ←

الشيخ المطيعي والشيخ إبراهيم فقال: «يتذوّق أكثر المتعلّمين اليوم البلاغة، ولذلك لا يرضيهم من المؤلّف أن يكتب موضوعه كما اتّفق، بل يرغبون أن يصوغه في قالب مقبول، ويعرض عليهم زبدة ما محّص وحقّق. مثال ذلك كتب الشيخ محمّد بخيت، وكتب الشيخ أحمد إبراهيم في الفقه، فالأوّل على جلالة قدره في هذا الفنّ لم يكتب لمصنّفاته القبول كما كتب لمصنّفات الشيخ الثاني. وذلك لأنّ الشيخ بخيت لم يرزق من نعمة البيان ما يؤهّل كتبه للاستحسان عند العارفين، ونالت مصنّفات الآخر موقعاً من النفوس؛ لما كتبت به من طراز جميل».

وردّ الدكتور محمّد رجب البيّومي على رأي الأُستاذ كرد علي قائلاً: «أنا لا أنتقص كتب العلّامة الكبير أحمد ابراهيم ﷺ، فإنّها في الذروة، ولكنّي أقول: إنّ الرجل الكبير كان يكتب محاضرات لطلبة كلّية الحقوق وطلبة الدراسات العليا بها، فاضطرّ إلى نظام خاصّ يلائم المنهج الجامعي. أمّا الأُستاذ الشيخ بخيت المطيعي فيكتب للخاصّة والعامّة معاً، ولا يلتزم منهجاً جامعياً، وإذا كانت النصوص الفقهية تتوالى في آثاره... فإنّ هذه النصوص في صميم الصميم من الموضوع، وهي أقرب إلى مقياس المؤلّف وميزانه، وأدلّ على وجهته وحكمه، وأنفع لمن يريد المراجعة والاستناد».

ثمّ قال: «وأذكر أنّ الأُستاذ محمّد كرد علي قد ملأ كتابه عن الحضارة العربية بجزأيه الكبيرين بنصوص كثيرة من المحدّثين والقدماء شرقاً وغرباً، بحيث لو جرّدت الكتاب من هذه النصوص لم يكد يبقى منه شيء! وما قال قائل: إنّ النصوص المتوالية قد أضعفت الكتاب، هذا وهو يكتب في موضوع اجتماعي حضاري، لا في مسائل فقهية ذات دقةّ وتركيز، الحقّ أنّ الرجل الكبير قد ظلم الشيخ حين نقده».

← به السنّ، فلم تخلّ من اضطراب في أحكامه على الناس والحوادث! توفّي بدمشق سنة ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م. (الأعلام للزركلي [٦: ٢٠٢ ـ ٢٠٣]). (المؤلّف).

وأشار الدكتور رجب البيّومي بعد ذلك إلى أنّ الأُستاذ كرد علي في كتابه «أقوالنا وأفعالنا» قد عرّض بالشيخ بخيت على وجه الانتقاص، وهاجم غيره من الفضلاء، وهو ممّا يجعلنا نبحث عن السبب في ذلك، إلّا أنّ السياق العامّ للموضوع لا يقتضي هذا الشرود(١).

إنّ الأُستاذ محمّد كرد علي قد جار في حكمه على مؤلّفات الشيخ المطيعي، فليس لهذا الحكم حيثيات علمية، ولعلّه ذهب إليه في خريف عمره، ففيه اضطربت أحكامه على الناس(٢)، بل كان في بعض هذه الأحكام يهاجم كتّاب مصر وعلمائها في عبارة لا تليق بتاريخه الأدبي والعلمي، وليس لهذا الموقف سبب منطقي من رجل هاجر إلى مصر أكثر من مرة، وقوبل في كلّ مرّة بالحفاوة من علمائها وأُدبائها، ويسّرت له إصدار مجلّة «المقتبس»(٣)، والمشاركة في تحرير جريدتي: «الظاهر» و«المؤيّد»(٤)، ويبدو أنّ ما قاله عن نفسه بأنّه خُلق عصبي المزاج دمويه كان من وراء مواقفه المضطربة في حكمه على الناس والحوادث وبخاصّة في أيّامه الأخيرة.

وجملة القول: إنّ الشيخ المطيعي كان بالنسبة لمن عاصرهم أغزر تأليفاً، وأوسع أُفقاً، فقد كتب في كلّ فروع الدراسات الشرعية، كتب: في العقيدة، وعلوم القرآن، وعلوم الحديث، والفقه، والأُصول، وقضايا إثبات الأهلّة، والبدع والمنكرات، ووظيفة الإفتاء، بالإضافة إلى الردّ عمّا أُثير حول الإسلام والقرآن من شبهات، مثل كتاب «حقيقة الإسلام وأُصول الحكم»، وهذا لا يعني غضّاً من أُولئكم العلماء الذين عاصرهم، فقد أدّى كلّ منهم رسالته العلمية وفق ثقافته

---

(١) انظر النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٣: ٣٣٣. (المؤلّف).

(٢) انظر الأعلام للزركلي [٦: ٢٠٣]. (المؤلّف).

(٣) أصدرها محمّد كرد علي سنة ١٩٠٦ م. (الأعلام للزركلي ٦: ٢٠٢).

(٤) لاحظ المصدر المتقدّم ٦: ٢٠٢.

ومنهجه وعكوفه على التأليف، وان كان لبعضهم كالشيخ أحمد إبراهيم تميّز في الدراسة الفقهية المقارنة؛ لأنّ البيئة الجامعية كانت تقتضي هذه الدراسة للطلبة في مرحلتي «الليسانس» والدراسات العليا، ولكن يظلّ مع هذا للشيخ المطيعي بوفرة ما كتب منزلة خاصّة، ويدعم هذه المنزلة أنّه تفرّد دون معاصريه بالفتاوى الكثيرة التي يصعب حصرها، فلا غرو أن طبقت شهرته ومنزلته العلمية العالم الإسلامي كلّه، ولذلك كانت ترد إليه الفتاوى من كلّ البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً، وما كان يتوانى عن الردّ عليها وإرسالها على نفقته، بل إنّه ـ كما ذكرت من قبل ـ اختار تلامذته لمعاونته في الردّ بريدياً على هذه الفتاوى، وقد أحسن الدكتور محمّد رجب البيّومي حين نعته بأنّه عَلَم الإفتاء، فلا يضارعه في هذا علم آخر ممّن عاصرهم وممّن جاء بعده حتّى الآن.

* * *

المبحث الرابع

المؤلّفات والفتاوى

[المؤلّفات]

بلغت مؤلّفات الشيخ المطيعي نحو ثلاثين كتاباً، ولا يسمح المجال بتفصيل القول في هذه المؤلّفات، ومن ثمّ أكتفي بالتعريف المجمل بها، وقد سبق أن أشرت إلى ثلاثة منها[1]، ومدى دلالتها على تنوّع ثقافة الشيخ، وإلمامه بالمعارف العلمية التي لا تدخل في نطاق تخصّصه الدقيق.

وهذه المؤلّفات يمكن تصنيفها على النحو التالي:

١ ـ مؤلّفات في علم العقيدة أو التوحيد.

٢ ـ مؤلّفات في علوم القرآن.

٣ ـ مؤلّفات في علوم الحديث.

٤ ـ مؤلّفات فقهية.

٥ ـ مؤلّفات أُصولية.

٦ ـ مؤلّفات إسلامية عامّة.

* أمّا مؤلّفاته في العقيدة فهي بوجه عامّ شرح لمنظومة أو حاشية على شرح، وهذه المؤلّفات هي:

١ ـ القول المفيد على وسيلة العبيد.

وهو شرح لمنظومة، وقد طبع لأوّل مرّة بالمطبعة الخيرية سنة ١٣٢٦ هـ في ١٠٤ صفحة من القطع الكبير.

وجاء في مقدّمة هذا الشرح: «قد طلب منّي حضرة الأُستاذ أحمد بك

---

(١) وهي: تنبيه العقول، وحقيقة الإسلام، وتوفيق الرحمٰن.

الطاهري من أعيان بندر المنصورة أن أشرح منظومة والده الشيخ محمّد الإمام الطاهري في علم التوحيد التي سمّاها وسيلة العبيد، فأجبت الطلب، وشرحتها شرحها جمع خلاصة الفنّ».

وقال عن منهجه في هذا الشرح: إنّه أعرض عن كلّ ما كثر فيه القال والقيل، معوّلاً على ما يقتضيه الدليل، غير متعصّب لمذهب دون مذهب، بل يدور مع الحقّ حيث دار.

٢ـ شفاء السقام في زيارة خير الأنام.

اختلفت آراء العلماء في الصفة الشرعية لزيارة قبر رسول الله ﷺ[١]، ومن العلماء الذين أثبتوا بالدليل أنّ هذه الزيارة مشروعة قاضي القضاة الخزرجي والد التاج السبكي[٢] صاحب الطبقات (ت: ٧٥٦ هـ)، وقد ألّف كتاباً رأى فيه الشيخ

---

(١) الظاهر أنّ تعبير المؤلّف المحترم ليس في محلّه أو بالأحرى ليس بالدقيق: لأنّ المعروف أنّ زيارة الرسول الأكرم ﷺ لا كلام في مشروعيتها...

ففي «الموسوعة الفقهية»: «أجمعت الأُمّة الإسلامية سلفاً وخلفاً على مشروعية زيارة النبي ﷺ. وقد ذهب جمهور العلماء من أهل الفتوى في المذاهب إلى: أنّها سنّة مستحبّة. وقالت طائفة من المحقّقين: هي سنّة مؤكّدة تقرب من درجة الواجبات. وهو المفتى به عند طائفة من الحنفية. وذهب الفقيه المالكي أبو عمران موسى بن عيسى الفارسي إلى: أنّها واجبة». (الموسوعة الفقهية ٢٤: ٨٣).

وقد ذكر المحقّق النجفي ـ وهو من أعلام فقهاء الإمامية ـ في كتابه «الجواهر»: أنّه تستحبّ زيارة النبي ﷺ خصوصاً للحاجّ استحباباً مؤكّداً إجماعاً وضرورة من الدين. وذكر في موضع آخر من نفس الكتاب: أنّ الناس لو تركوا زيارته ﷺ أجبروا عليها. لاحظ الجواهر ٢٠: ٥١ و ٧٩ ـ ٨٠.

فعليه لم يخالف في هذه المسألة ـ لو وجد ـ إلّا من شذّ، ولا عبرة بالشاذّ النادر.

(٢) أبو الحسن تقي الدين علي بن عبدالكافي بن علي السبكي الأنصاري الشافعي: من أبرز ←

المطيعي أنّه وافٍ بالغرض، فاهتمّ به ونشره، وكتب له مقدّمة بلغت نحو عشرين صفحة، أطلق عليها: « تطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد ».

فكتاب «شفاء السقام» لقاضي القضاة السبكي، ولم يكن للشيخ تعليقات أو حاشية عليه، وإنّما اكتفى بالمقدّمة التي كتبها، وحمل فيها على من أنكر الزيارة، وآثر لها عنواناً يشير إلى أنّ الأفئدة التي بنت القول بعدم مشروعية الزيارة تحتاج إلى مراجعة نفسها لتتطهّر ممّا شابها من الفهم السقيم أو ممّا يشين صفاءها ونقاءها.

٣ـ حاشية على شرح العلّامة أبي البركات أحمد الدردير[١] على منظومته في العقائد المسمّاة بالخريدة البهية في علم العقائد الدينية.

وقد طبعت هذه الحاشية بمطبعة الإسلام سنة ١٣١٤ هـ في ٢٠٤ صفحة من القطع المتوسّط.

وجاء في مقدّمة الشيخ المطيعي للحاشية: «هذه كلمات لطيفة وتدقيقات شريفة، جمعتها من كلام المحقّقين ورؤساء المدقّقين، قصدت بها خدمة شرح سيدي وأُستاذي شمس قلادة الصوفية الشيخ أحمد الدردير على منظومته المسمّاة

← علماء الشافعية. ولد في «سبك» من أعمال المنوفية بمصر سنة ٦٨٣ هـ، وانتقل إلى القاهرة، فالشام، وولّي قضاء الأخيرة سنة ٧٣٩ هـ، واعتلّ فعاد إلى القاهرة، فتوفّي فيها سنة ٧٥٦ هـ، وهو والد التاج السبكي صاحب «الطبقات». من كتبه: الدرّ النظيم، مختصر طبقات الفقهاء، السيف الصقيل، شفاء السقام في زيارة خير الأنام، الابتهاج في شرح المنهاج. (وجيز الكلام ١: ٨٢، شذرات الذهب ٦: ١٨٠ ـ ١٨١، الأعلام للزركلي ٤: ٣٠٢).

(١) أبو البركات أحمد بن محمّد بن أحمد العدوي المعروف بالدردير: فاضل، من فقهاء المالكية. ولد سنة ١١٢٧ هـ في «بني عَدي» بمصر، وتعلّم في الأزهر الشريف، وتوفّي في القاهرة سنة ١٢٠١ هـ. من مصنّفاته: الشرح الصغير على أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك، منح القدير في شرح مختصر خليل، تحفة الإخوان في علم البيان. (تاريخ الجبرتي ٢: ٣٢ ـ ٣٥، شجرة النور الزكية: ٣٥٩، الأعلام للزركلي ١: ٢٤٤).

بالخريدة البهية في علم العقائد الدينية».

* وأمّا مؤلّفاته في علوم القرآن فقد تناولت بوجه عامّ الحديث عن أُصول التفسير، والحروف السبعة، وحكم ترجمة القرآن، وتوجيه الأنظار إلى ما اشتمل عليه الكتاب العزيز من علوم كونية وعمرانية، والردّ على بعض ما أُثير من شبه أو أباطيل حول القرآن الكريم. وهذه المؤلّفات هي:

١ـ حسن البيان في إزالة بعض شبه وردت على القرآن.

رسالة موجزة طبعت ملحقة بحاشية شرح الخريدة.

٢ـ الكلمات الحسان في الحروف السبعة وجمع القرآن.

دراسة طبعت بالمطبعة الخيرية سنة ١٣٢٣ هـ في ٧١ صفحة من القطع الصغير.

٣ـ حجة الله على خليفته في بيان حقيقة القرآن وحكم كتابته وترجمته.

رسالة طبعت لأوّل مرّة سنة ١٣٥٠ هـ بالمطبعة اليوسفية بالقاهرة في ٦٣ صفحة من القطع الصغير.

وعنوان هذا الكتاب والذي قبله يدلّ على موضوع كلّ منهما.

٤ـ تنبيه العقول الإنسانية لما في آيات القرآن من العلوم الكونية.

يقع هذا الكتاب ـ [والذي طبع] في طبعة حلب سنة ١٣٨٩ هـ ـ في ٢١٧ صفحة من القطع المتوسّط.

وقد سبق في المبحث الثالث التعريف بهذا الكتاب.

٥ـ توفيق الرحمٰن للتوفيق بين ما قاله علماء الهيئة وبين ما جاء في الأحاديث الصحيحة وآيات القرآن.

يبلغ حجم هذا الكتاب ٢٦٠ صفحة من القطع الكبير، وطبع في مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٤١ هـ.

وقد سبق الحديث عنه في المبحث الثالث.

* ومؤلّفاته في علوم السنّة بعضها ليس خالصاً للسنّة، وإنّما يشتمل على قدر كبير منها، مثل كتاب «توفيق الرحمٰن»، ومن مؤلّفاته في السنّة ما يلي:

١ ـ الكلمات الطيّبات في المأثور من الروايات عن الإسراء والمعراج.

رسالة في ٥٨ صفحة من القطع المتوسّط. ذكر فيها الشيخ ما رواه الحفّاظ في صحاحهم، مقتصراً على ذلك وعلى ما جاء في كتاب الله، شارحاً تلك الروايات، ومعرضاً عمّا عداها ممّا رواه غير الحفّاظ[١].

* وألّف الشيخ في الفقه عدّة مؤلّفات، منها ثلاث رسائل طبعت طبعة ثانية في سنة ١٣٥١ هـ في إحدى وخمسين صفحة من القطع المتوسّط، تناول في الرسالة الأُولىٰ أحكام قراءة القرآن من «الفونوغراف»[٢]، ودرس في الرسالة الثانية أحكام «السوكورتاه»[٣]، وهي الصورة الأُولىٰ للتأمين البحري.

وقد انتهى في الرسالة الأُولىٰ إلى جواز سماع القرآن من «الفونوغراف»،

---

(١) لم يأتِ المؤلّف المحترم ببقية مصنّفات الشيخ المطيعي في حقل السنّة.

(٢) الفونوغراف (الغراموفون أو الحاكي) (Phonegraph): أداة تختزن سلسلة من الذبذبات الصوتية بحيث يمكن إعادة تحويلها إلى موجات صوتية. ويتمّ اختزان صوت ما أثناء عملية التسجيل في خطوط لولبية دقيقة غائرة تحفرها إبرة خاصّة على قرص أو أسطوانة، وعند سماع الأسطوانة المسجّلة يحوّل الفونوغراف الذبذبات المختزنة إلى موجات صوتية هي عبارة عن نفس الأصوات التي صدرت عند تعبئة الأسطوانة. وقد قام «توماس أديسون» باختراعه عام ١٨٧٧ م. (موسوعة المورد ٨: ٢٨).

(٣) السيكورتاه: كلمة أعجمية تأتي بمعنىٰ التأمين أو الضمان (Insurance)، وهي مأخوذة من الأمان (Security). والتأمين قانوناً: صفقة يتعهّد بموجبها المؤمّن بالتعويض على المؤمَّن عليه عن الحوادث المستقبلية مقابل دفعات مالية معيّنة. (القاموس القانوني الثلاثي: ٤٠٧).

وقد كثرت التعاريف الفنّية له، راجع الخطر والتأمين: ٣٣ ـ ٣٥.

وأنّ هذا السماع عبادة. وانتهى في الرسالة الثانية إلى أنّ نظام «السوكورتاه» لا ينطبق عليه عقد المضاربة أو الكفالة أو الضمان بطريق التعدّي، ومن ثمّ فهو عقد فاسد شرعاً، فهو معلّق على خطر تارة يقع وتارة لا يقع، فهو قمار معنى.

وبعد نشر الرسالتين[١] تلقّى الشيخ رسالة يسأله فيها صاحبها عمّا أشكل عليه في الرسالتين، وقد ردّ عليه ردّاً علمياً موضّحاً فيه ما أشكل على صاحب الرسالة، كما ردّ أيضاً على من اعترض على الرسالتين، ونشر اعتراضه في مجلّة مطبوعة.

وكتب الشيخ دراسة ناقش فيها مشروع القانون الخاصّ بالزواج والطلاق الذي صدر سنة ١٩٢٥م، وجاء عنوان هذه الدراسة هكذا: «**رفع الأغلاق عن مشروع الزواج والطلاق**»، وقد نشرت هذه الدراسة حديثاً في ٢٠٧ صفحات من القطع المتوسّط.

وأمّا كتاب «**إرشاد الأُمّة إلى أحكام أهل الذمّة**» فهو رسالة طبعت لأوّل مرّة بالمطبعة الأدبية بالقاهرة سنة ١٣١٧ هـ في ٢٣ صفحة من القطع المتوسّط. وقد بيّن الشيخ في هذه الرسالة ما يتعلّق بالأحكام الخاصّة بأهل الذمّة، وبخاصّة حكم تطبيق الأحكام الشرعية عليهم.

وكتب الشيخ كتاباً يقع في ١٨١ صفحة من القطع المتوسّط، عنوانه «**القول الجامع في الطلاق البدعي والمتتابع**»، وانتصر فيه لوقوع الطلاق البدعي؛ لأنّ الإثم فيه لا يمنع من وقوعه كمن يطلّق زوجته في الحيض، وكذلك لوقوع الطلاق المتعدّد في مجلس واحد أو أكثر من مجلس يقع كما عدّد المطلّق.

وعن الوقف كتب الشيخ «**إرشاد العباد للوقف على الأولاد**»[٢]. ويقع هذا

---

(١) قد تمّ تسمية هاتين الرسالتين بـ: «**إزاحة الوهم**» في كتاب «الأعلام» للزركلي ٦: ٥٠، وغيره.

(٢) نشرت هذه الدراسة دار الفاروق بالجيزة ـ مصر. (المؤلّف).

الكتاب في ١٧٦ صفحة من القطع الصغير، وقد فصّل فيها القول في هذا الوقف، وانتقد حكماً لمحكمة شرعية جانبها التوفيق في هذا الموضوع.

وردّ في كتابه: « **المرهفات اليمانية في عنق مَن قال ببطلان الوقف على الذرّية** » على فتوى صدرت من أحد علماء الشام تقضي ببطلان الوقف على الذرّية، وقد بيّن بالأدلّة أنّ هذه الفتوى غير صحيحة، وأنّ الوقف على الذرّية مشروع، وبلغ عدد صفحات رسالة المرهفات ٣١ صفحة من القطع المتوسّط.

وكتب رسالة عنوانها « **إرشاد القارئ والسامع إلى أنّ الطلاق إذا لم يضف إلى المرأة غير واقع** »، وبلغت صفحات هذه الرسالة ٣٣ صفحة من القطع المتوسّط.

وكتب إلى الشيخ أحد علماء تونس رسالة يطلب فيها الإجابة عن ١٨ سؤالاً في الفقه والسيرة والتفسير واللغة وعلم الكلام وعلم الأُصول، وجاء ردّ الشيخ على هذه الرسالة بكتاب عنوانه: « **الأجوبة المصرية عن الأسئلة التونسية** »، وتبلغ صفحات هذا الكتاب ١٥٤ صفحة من القطع المتوسّط. وقد جاءت الإجابة عن تلك الأسئلة وافية ومدعمة بالنصوص الشرعية واللغوية.

وخصّ الشيخ إثبات الأهلّة بكتاب بلغت صفحاته ٣٨٤ صفحة من القطع المتوسّط، وجاء عنوانه: « **إرشاد أهل الملّة إلى إثبات الأهلّة** »، وفي هذا الكتاب أبحاث فلكية، وحكم الصيام باختلاف المطالع، وقبول شهادة الرائي للهلال ولو رآه بالنظّارة المعظّمة، وغير ذلك من المسائل المتعلّقة بالأهلّة والأحكام الشرعية المترتّبة عليها.

وأجاب الشيخ عن عدّة أسئلة تتعلّق بأُمور لم تكن في زمن النبي ﷺ. وفي زمن الصحابة، ونصّ على جوازها بعض الأئمّة المجتهدين، مثل قراءة سورة الكهف برفع الصوت، والأذان داخل المسجد يوم الجمعة، وقراءة القرآن برفع الصوت في تشييع الجنازة، فهل مثل هذه الأُمور من البدع المنكرة، أو أنّها جائزة؟ وقد أجاب الشيخ عن هذه الأسئلة التي بلغت١٨ سؤالاً في كتاب بلغت صفحاته٨٧ صفحة من

القطع الصغير، وحمل عنوان: «**أحسن الكلام فيما يتعلّق بالسنّة والبدعة من الأحكام**».

* وإذا كان الشيخ قد عرف بالزعامة في علم الأُصول وإن لم يكتب دراسة في هذا العلم على غرار ما كتبه معاصروه من أمثال الشيخ الخضري[١]، ولكن كان من الراسخين في علم الأُصول، ولهذا جاءت تعليقاته وشروحه على بعض ما كتب الأقدمون معبّرة عن ثقافة أُصولية أحاطت بكلّ الآراء والمذاهب. وقد أُثر عنه في هذا كتابان، هما: «**سلّم الوصول لشرح نهاية السؤل في شرح منهاج الأُصول**» للقاضي البيضاوي[٢] (ت: ٦٨٥ هـ)، وهي حاشية طبعت مع «النهاية» في أربعة أجزاء، وبلغت صفحاتها نحو ألف صفحة، والشيخ في هذه الحاشية أخذ بمنهج القدماء في الشرح والتعليق والإضافة وإن كان له دوره في الترجيح بين الآراء. وشرح الشيخ أيضاً كتاب «جمع الجوامع» لتاج الدين السبكي (ت: ٧٧١ هـ)[٣]، وهو من الكتب

---

(١) محمّد بن عفيفي الباجوري الخُضَري المصري: باحث وخطيب من علماء الشريعة والأدب والتاريخ. ولد سنة ١٨٧٢ م، وكانت إقامته بالزيتون من ضواحي القاهرة. تخرّج من مدرسة دار العلوم، وعُيّن قاضياً شرعياً في الخرطوم، ثمّ مدرّساً بمدرسة القضاء الشرعي بالقاهرة مدّة ١٢ سنة، وأُستاذاً للتاريخ الإسلامي في الجامعة المصرية، فوكيلاً لمدرسة القضاء الشرعي، فمفتشاً بوزارة المعارف. توفّي في القاهرة عام ١٩٢٧ م. له مؤلّفات، منها: أُصول الفقه، تاريخ التشريع الإسلامي، إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، محاضرات في تاريخ الأُمم الإسلامية، مهذّب الأغاني، نور اليقين في سيرة سيّد المرسلين. (الأعلام للزركلي ٦: ٢٦٩).

(٢) أبو الخير ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمّد بن علي الشيرازي البيضاوي: القاضي والمفسّر المعروف. ولد في المدينة البيضاء بشيراز، وولي قضاءها مدّة، ثمّ صرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز وناظر فيها. كان خيّراً فاضلاً عالماً. توفّي بتبريز سنة ٦٨٥ هـ. من تصانيفه: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، طوالع الأنوار، منهاج الوصول إلى علم الأُصول، لبّ اللباب في علم الإعراب، الغاية القصوىٰ في دراية الفتوى. (طبقات الشافعية الكبرى ٨: ١٥٧ ـ ١٥٨، شذرات الذهب ٥: ٣٩٢ ـ ٣٩٣، دائرة المعارف الإسلامية ٤: ٤١٨ ـ ٤١٩، الأعلام للزركلي ٤: ١١٠).

(٣) أبو نصر تاج الدين عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي السُبكي الشافعي: مؤرّخ وباحث ←

التي أخذت بطريقة الجمع بين المتكلّمين والأحناف، وأطلق على شرحه عنوان « البدر الساطع على جمع الجوامع »، وما كان الشيخ في هذا الشرح يقصر حديثه على القضايا الأُصولية، وإنّما كان يشير أحياناً إلى بعض المسائل الفقهية واللغوية والكلامية، ومن ذلك ما جاء عن خيار العيوب في النكاح، قال: «إذا وجد الزوج بالمرأة أحد العيوب الخمسة[١] ثبت له الخيار، ولو حدث بها عيب منها بعد النكاح فقيه قولان عند الشافعية، والمذهب الجديد أنّه له الخيار أيضاً على الأصحّ كالابتداء[٢]، ولا خيار للزوج مطلقاً على الصحيح من مذهب الحنفية[٣]».

* ويعدّ كتاب « حقيقة الإسلام وأُصول الحكم » من مؤلّفات الشيخ المطيعي في [مجال] الدراسات الإسلامية، ويبلغ حجمه في طبعة المكتبة السلفية بالقاهرة ٤٥٧

← وفقيه شافعي معروف. ولد في القاهرة سنة ٧٢٧ هـ، وانتقل إلى دمشق مع والده، فسكنها إلى وفاته سنة ٧٧١ هـ. كان طلق اللسان قوي الحجّة، انتهىٰ إليه قضاء القضاة في الشام، وعزل، وتعصّب عليه شيوخ عصره، فاتّهموه بالكفر واستحلال شرب الخمر، وأتوا به مقيّداً مغلولاً من الشام إلى مصر، ثمّ أُفرج عنه، وعاد إلى دمشق، فتوفّي بالطاعون. من مؤلّفاته: طبقات الشافعية الكبرىٰ، معيد النعم ومبيد النقم، جمع الجوامع، منع الموانع، توشيح التصحيح، ترشيح التوشيح وترجيح التصحيح، الأشباه والنظائر. (شذرات الذهب ٦: ٢٢١ ـ ٢٢٢، البدر الطالع ١: ٢٨٣، الأعلام للزركليّ ٤: ١٨٤ ـ ١٨٥، معجم الأُصوليين: ٣٢٥ ـ ٣٢٧).

(١) انظر الجزء الأوّل من البدر الساطع، ص: ٤٤٧، وهو مطبوع مع شرح الزركشي طبعة قديمة. والعيوب الخمسة هي: الرتق ـ وهو انسداد موضوع الجماع من الفرج ـ والقرن ـ وهو عظم لحم سميك ينبت في الفرج ـ والجنون، والجذام، والبرص. (المؤلّف).

(٢) لاحظ مغني المحتاج ٣: ٢٠٤. ووجه عدم الخيار: أنّ الزوج متمكّن من الخلاص منها بالطلاق، بخلافها. ووجه الخيار: تضرّر الزوج بالعيب الطارئ كتضرّره بالعيب القديم، ولا معنىٰ لإمكان تخلّصه منها بالطلاق دونها؛ لأنّه سيغرم نصف الصداق لها قبل الدخول دون الفسخ بالعيب.

(٣) راجع تحفة الفقهاء: ٣٢٥.

صفحة من القطع الكبير، وقد سبق التعريف به في المبحث الثالث.

أمّا رسالة «حلّ الرمز عن معمّى اللغز» فهي تتناول حلّ لغزٍ أدبي، وهي قصيرة؛ إذ تبلغ ١٨ صفحة من القطع الصغير، وهذا اللّغز بعث به صاحبه نظماً، وينهض حلّه على ما يسمّى بحساب الجمل، وهو ضرب من الحساب يَجعل فيه لكلّ حرف من الحروف الأبجدية وفق ترتيب أبجد، هوّز، حطّي، كلمن.. الخ، عدداً من الواحد إلى الألف. ويدلّ حلّ اللغز على أنّ الشيخ المطيعي كان على معرفة دقيقة بحساب الجمل وتأويله العلمي للرموز التي وردت في السؤال، وأنّه مع حلّه نثراً صاغ هذا الحلّ شعراً، وهذا شاهد آخر على الثقافة الموسوعية.

هذا ما تيسّر الوقوف عليه من مؤلّفات الشيخ[١] والتعريف المسجل بها، ويلاحظ أنّ هذه المؤلّفات غلب على عناوينها السجع، وبعضها كان ردّاً على أسئلة وجّهت إليه، وتفاوتت هذه المؤلّفات في الحجم، وغلب عليها لغة الفقهاء وكثرة النصوص، اللهم إلّا في المؤلّفات التي كتبت في موضوعات ليست فقهية خالصة.

الفتاوى

صدرت عن الشيخ آلاف الفتاوى قبل تولّيه منصب الإفتاء وبعد أن أُحيل إلى التقاعد، وكثير منها كان موجّهاً إلى بعض البلاد الإسلامية ردّاً على أسئلة وجّهت إليه من هذه البلاد، فشهرة الرجل تجاوزت مصر إلى العالم الإسلامي.

وكان الرجل لا يصدر الفتوى إلّا بعد اطّلاع على كثير من المراجع العلمية، وكان يعالج في فتاويه القضايا المعاصرة، كالشيوعية، والخلافات السياسية بين

---

(١) توجد كتب أُخرىٰ للشيخ المطيعي، مثال ذلك: المدخل المنير في مقدّمة علم التفسير (معجم المفسّرين ٢: ٤٩٩، معجم المؤلّفين ٩: ٩٨)، وأحسن القرا في صلاة الجمعة في القرىٰ (موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٦٢٥)، والدرر البهية في الصلاة الكمالية (الأزهر في ألف عام ٢: ٤٨).

بعض الحكّام، ومشكلة البغاء الرسمي، ومقاومة التبشير والاستشراق، و[قضية] التأمين.

وهذه الفتاوى لم تجمع في كتاب، وما كان الشيخ فيما يبعث من فتاوى إلى بعض الشعوب الإسلامية يحتفظ بنسخة ممّا بعث به، ومن ثمّ ضاع كثير من هذه الفتاوى، والموضوع يحتاج إلى باحث يعكف على الرجوع إلى دار الإفتاء المصرية للوقوف على ما صدر من فتاوى في الفترة التي عمل فيها الشيخ مفتياً رسمياً، وكذلك الرجوع إلى الصحف والمجلّات التي كان الشيخ ينشر فيها بعض الفتاوى، حتّى يمكن حصر ـ ولو على وجه التقريب ـ ما أفتى به الشيخ، وهو لا ريب يبلغ أكثر من مجلّد.

على أنّ الشيخ مع كثرة مؤلّفاته وفتاويه كانت له محاضرات علمية ألقاها في الجامعة وبعض الجمعيات، وهذه أيضاً لم تجمع في كتاب، وبعضها نشرته الصحف والمجلّات.

* * *

الخاتمة
نتائج وتوصيات

[النتائج]

وبعد دراسة حياة الشيخ المطيعي والتعريف العامّ بشخصيته وثقافته ومؤلّفاته يمكن القول: بأنّ أهمّ نتائج هذه الدراسة ما يلي:

أوّلاً: كان الشيخ المطيعي يتمتّع بمكانة علمية شهيرة طبقت العالم الإسلامي كلّه، فلا غرو أن كانت ترد إليه الرسائل من كلّ البلاد الإسلامية.

ثانياً: كان الشيخ علماً من أعلام الإسلام، ومنارة هادية إلى أحكامه، ومثلاً عالياً في الذكاء والعبقرية، رحب الأُفق، واسع المدارك.

ثالثاً: كذلك كان الشيخ يمقت التعصّب المذهبي، ويؤمن بالتقريب بين أتباع المذاهب الفقهية، ويدعو إلى الوحدة الإسلامية.

رابعاً: عاش الشيخ مشكلات أُمّته، وأسهم في علاجها، كما خدم العلم، ودافع عن العقيدة الإسلامية.

خامساً: ترك الشيخ ثروة علمية من المؤلّفات والفتاوى والمحاضرات، عبّرت عن ثقافية موسوعية، واطّلاع على كلّ ما كان يموج في عصره من أفكار وآراء.

[التوصيات]

وأمّا التوصيات فأهمّها [ما يلي]:

[أوّلاً]: إعادة طباعة مؤلّفات الشيخ، وبخاصّة ما كان منها منصبّاً على بيان العلاقة بين آيات القرآن والأحاديث النبوية الصحيحة وبين ما انتهى إليه العلم في عصره من اكتشافات ومخترعات، ولا سيّما في مجال الفلك، وأنّ الإسلام دين حضارة وعمران.

[ثانياً]: ويجب إلى هذا إحياء ذكرى هؤلاء العلماء الذين أبلوا بلاءً حسناً في خدمة دينهم؛ حتّى يعرف الجيل المعاصر ما قدّم هؤلاء، لعلّه يستنّ بسيرتهم في البحث وحبّ العلم، وذلك بعقد مؤتمرات أو ندوات يسهم فيها الباحثون بدراسات تكشف عمّا كان لأُولئك العلماء من فضل على الفكر والعلم، ومدى ما يمكن الاستفادة ممّا قدّموا في الوقت الحاضر.

والحمد لله ربّ العالمين.

أ.د. محمّد الدسوقي

فهرس المصادر

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ أبجد العلوم .

تأليف: صدّيق بن حسن خان القنوجي البخاري المتوفّىٰ سنة ١٣٠٧ هـ / تحقيق: أحمد شمس الدين / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٠ هـ.

٣ ـ ابن باديس . . حياته وآثاره .

تأليف: د. عمّار الطالبي / نشر: بيروت.

٤ ـ إتمام الأعلام : إتمام الأعلام (ذيل لكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي) .

تأليف: د. نزار أباظة ومحمّد رياض المالح / نشر: دار صادر ـ بيروت، ودار الفكر ـ دمشق / الطبعة الثانية ـ ١٤٢٤ هـ.

٥ ـ الاجتهاد الجماعي ودور المجامع الفقهية في تطبيقه .

تأليف: د. شعبان محمّد إسماعيل / نشر: دار البشائر الإسلامية ـ بيروت، ودار الصابوني ـ حلب وبيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٨ هـ.

٦ ـ الاجتهاد في الإسلام : الاجتهاد في الإسلام (أُصوله ـ أحكامه ـ آفاقه) .

تأليف: د. نادية شريف العمري / نشر: مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢١ هـ.

٧ ـ أحكام النساء في التلمود .

ترجمة وتعليق: د. ليلىٰ إبراهيم أبي المجد / نشر: الدار الثقافية للنشر ـ القاهرة / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٦ هـ.

٨ـ أدب الدنيا والدين .

تأليف: أبي الحسن علي بن محمّد بن حبيب الماوردي البصري المتوفّىٰ سنة ٤٥٠هـ/ نشر: القاهرة.

٩ـ الأزهر . . تأريخه وتطوّره .

إعداد ونشر: وزارة الأوقاف وشؤون الأزهر المصرية ـ القاهرة.

١٠ـ الأزهر في ألف عام .

تأليف: د. محمّد عبد المنعم الخفّاجي / نشر: عالم الكتب ـ بيروت، ومكتبة الكلّيات الأزهرية ـ القاهرة / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٨ هـ.

١١ـ الإسلام عقيدة وشريعة .

تأليف: محمود محمّد شلتوت المتوفّىٰ سنة ١٣٨٣ هـ / نشر: دار الشروق ـ القاهرة وبيروت / الطبعة السابعة عشرة ـ ١٤١١ هـ.

١٢ـ أصل الشيعة وأُصولها .

تأليف: محمّد الحسين بن علي بن محمّد رضا بن موسى بن جعفر كاشف الغطاء النجفي المتوفّىٰ سنة ١٣٧٣ هـ / تحقيق: علاء آل جعفر / نشر: مؤسّسة الإمام علي عليه السلام ـ قم الطبعة الأُولى ـ ١٤١٥ هـ.

١٣ـ الأعلام الشرقية : الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية .

تأليف: محمّد زكي بن محمّد بن حسين مجاهد الحسيني المتوفّىٰ سنة ١٩٨٠ م / نشر: دار الغرب الإسلامي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٩٩٤ م.

١٤ـ أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث .

تأليف: أحمد بن إسماعيل بن محمّد تيمور باشا المتوفّىٰ سنة ١٩٣٠ م / نشر: القاهرة / ١٩٦٧ م.

١٥ ـ الأعلام للزركلي : الأعلام .

تأليف: أبي الغيث خير الدين الزركْلي المتوفّىٰ سنة ١٣٩٦ هـ/ نشر: دار العلم للملايين ـ بيروت / الطبعة الثامنة ـ ١٩٨٩ م.

١٦ ـ أعيان الشيعة .

تأليف: محسن بن عبد الكريم الأمين العاملي المتوفّىٰ سنة ١٣٧١ هـ/ تحقيق: حسن محسن عبد الكريم الأمين / نشر: دار التعارف ـ بيروت / ١٤٠٣ هـ.

١٧ ـ الإمام زيد لأبي زهرة : الإمام زيد .. حياته وعصره ـ آراؤه وفقهه .

تأليف: محمّد أبي زهرة المتوفّىٰ سنة ١٩٧٤ م / نشر: دار الفكر العربي ـ القاهرة.

١٨ ـ الأنساب للسمعاني : كتاب الأنساب .

تأليف: أبي سعد عبد الكريم بن محمّد بن منصور التميمي السمعاني المتوفّىٰ سنة ٥٦٢ هـ / تحقيق: عبدالله عمر البارودي / نشر: دار الجنان ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٨ هـ.

١٩ ـ أهمّ الأحداث التاريخية : أهمّ الأحداث التاريخية (١٦٨٠ ق . م ـ ١٩٩٣ م) .

إعداد: حمدو طماس / نشر: دار المعرفة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٣هـ.

٢٠ ـ إيضاح المكنون : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون .

تأليف: إسماعيل بن محمّد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي المتوفّىٰ سنة ١٣٣٩هـ/ نشر: دار الفكر ـ بيروت / ١٤٠٣ هـ.

٢١ ـ بحوث وتوصيات : بحوث وتوصيات مؤتمر التقريب بين المذاهب الإسلامية .

إعداد: مجموعة من الباحثين / طبع: المطبعة الحكومية بوزارة الإعلام البحرينية ـ المنامة / نشر: المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية في وزارة الشؤون الإسلامية بمملكة البحرين ـ المنامة / ٢٠٠٣ م.

٢٢ ـ البداية والنهاية .

تأليف: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي الدمشقي المتوفّىٰ سنة ٧٧٤ هـ/ نشر: مكتبة المعارف ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤١٣ هـ.

٢٣ ـ البدر الساطع : البدر الساطع على جمع الجوامع .

تأليف: محمّد بخيت حسين المطيعي الحنفي المتوفّىٰ سنة ١٩٣٥ م / نشر: مصر.

٢٤ـ البدر الطالع : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع .

تأليف: بدر الدين أبي علي محمّد بن علي بن محمّد بن عبد الله بن الحسن الشوكاني المتوفّىٰ سنة ١٢٥٠ هـ / نشر: مطبعة السعادة ـ القاهرة / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٣٤٨ هـ.

٢٥ـ بغية الوعاة : بغية الوعاة في طبقات اللغويّين والنحاة .

تأليف: جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر الكمال بن محمّد بن سابق الدين الخضيري السيوطي الشافعي المتوفّىٰ سنة ٩١١ هـ / تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٥ هـ.

٢٦ـ تاريخ بغداد : تاريخ مدينة السلام .

تأليف: أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي المتوفّىٰ سنة ٤٦٣هـ / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢٧ـ تاريخ الجبرتي : تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار .

تأليف: عبد الرحمان بن حسن بن إبراهيم بن حسن الجبرتي الزيلعي المصري الحنفي المتوفّىٰ سنة ١٢٣٧ هـ / نشر: دار الجيل ـ بيروت.

٢٨ـ تاريخ الحضارات العامّ .

تأليف: جماعة من الباحثين الفرنسيّين / إشراف: موريس كروزيه / تعريب: يوسف أسعد داغر وفريد م. داغر / نشر: عويدات ـ بيروت / الطبعة الرابعة ـ ١٩٩٨ م.

٢٩ـ تاريخ مدينة دمشق .

تأليف: أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر المتوفّىٰ سنة ٥٧١ هـ / تحقيق: علي شيري / نشر: دار الفكر ـ بيروت / ١٤١٥ هـ.

٣٠ـ التاريخ المعاصر (أُوروبّا) : التاريخ المعاصر (أُوروبّا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية) .

تأليف: د. عبد العزيز سليمان نوار ود.عبد المجيد نعنعي / نشر: دار النهضة العربية ـ بيروت.

٣١ـ تأويل مختلف الحديث .

تأليف: أبي محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفّىٰ سنة ٢٧٦ هـ/ تحقيق: إسماعيل الأسعردي / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٠٥ هـ.

٣٢ـ تحف العقول : تحف العقول عن آل الرسول ﷺ .

تأليف: أبي محمّد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني (من أعلام القرن الرابع الهجري) / نشر: المكتبة والمطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف / ١٩٦١ م.

٣٣ـ تحفة الفقهاء .

تأليف: علاء الدين أبي بكر محمّد بن أحمد بن علي السمرقندي المتوفّىٰ سنة ٥٣٩ هـ / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤١٤ هـ.

٣٤ـ تذكرة الحفّاظ .

تأليف: شمس الدين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفّىٰ سنة ٧٤٨ هـ / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٣٥ـ تشييد المراجعات : تشييد المراجعات وتهنيد المكابرات .

تأليف ونشر: علي الحسيني الميلاني / طبع: الشريعة ـ قم / الطبعة الثانية ـ ١٤٢٥هـ.

٣٦ـ تعليقة القزويني على معالم الأُصول : تعليقة على معالم الأُصول .

تأليف: علي بن إسماعيل الموسوي القزويني المتوفّىٰ سنة ١٢٩٨هـ / تحقيق: علي العلوي القزويني / نشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٢ هـ.

٣٧ ـ تفسير البغوي : معالم التنزيل .

تأليف: أبي محمّد الحسين بن مسعود بن محمّد الفرّاء البغوي المتوفّىٰ سنة ٥١٦ هـ/ تحقيق: خالد عبد الرحمان العكّ ومروان سوار / نشر: دار المعرفة ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٧ هـ.

٣٨ـ تنبيه العقول : تنبيه العقول الإنسانية لما في آيات القرآن من العلوم الكونية والعمرانية .

تأليف: محمّد بخيت حسين المطيعي الحنفي المتوفّىٰ سنة ١٩٣٥ م / نشر: حلب.

٣٩ـ تهذيب التهذيب .

تأليف: شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر الكناني العسقلاني المتوفّى سنة ٨٥٢ هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٤ هـ.

٤٠ـ تهذيب الكمال : تهذيب الكمال في أسماء الرجال .

تأليف: جمال الدين أبي الحجّاج يوسف ابن الزكي عبدالرحمان بن يوسف المِزّي الكلبي القُضاعي المتوفّىٰ سنة ٧٤٢ هـ / تحقيق: د. بشّار عوّاد معروف / نشر: مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / الطبعة السادسة ـ ١٤١٥ هـ.

٤١ـ تهذيب اللغة .

تأليف: أبي منصور محمّد بن أحمد بن طلحة بن نوح الأزهري الهروي الشافعي المتوفّىٰ سنة ٣٧٠ هـ/ تحقيق: عمر سلامي وعبد الكريم حامد / إشراف: محمّد عوض مرعب / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢١هـ.

٤٢ـ الثقات لابن حبّان : كتاب الثقات .

تأليف: أبي حاتم محمّد بن حبّان بن أحمد التميمي البستي التوفّىٰ سنة ٣٥٤هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٣ هـ.

٤٣ـ الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث .

تأليف: حنّا الفاخوري / نشر: دار الجيل ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٩٩٥م.

٤٤ـ الجنس والنفس : الجنس والنفس في الحياة الإنسانية .

تأليف: د. علي كمال الفلسطيني / نشر: المؤسّسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٩٩٤ م.

٤٥ـ الجواهر : جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام .

تأليف: محمّد حسن بن باقر بن عبدالرحيم النجفي الجواهري المتوفّىٰ سنة ١٢٦٦هـ/ نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة السابعة ـ ١٤٠١ هـ.

٤٦ـ الجواهر المضيئة : الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية .

تأليف: أبي محمّد محيي الدين عبد القادر بن عبد القادر بن محمّد بن محمّد القرشي المصري الحنفي المتوفّىٰ سنة ٧٧٥ هـ / اعتناء: محمّد بن عبد الله الشريف / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٢٦ هـ.

٤٧ـ حقيقة الإسلام وأُصول الحكم .

تأليف: محمّد بخيت حسين المطيعي الحنفي المتوفّىٰ سنة ١٩٣٥ م / نشر: المكتبة السلفية ـ القاهرة / ١٣٤٤ هـ.

٤٨ـ حلية الأولياء : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء .

تأليف: أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني المتوفّىٰ سنة ٤٣٠ هـ / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٩ هـ.

٤٩ـ الحوادث الجامعة لابن الفوطي : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة .

تأليف: أبي الفضل كمال الدين عبدالرزّاق بن أحمد الشيباني البغدادي المعروف بابن الفوطي المتوفّىٰ سنة ٧٢٣ هـ/ تحقيق: مهدي النجم / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٤ هـ.

٥٠ـ خزانة الأدب : خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب .

تأليف: عبد القادر بن عمر البغدادي المتوفّى سنة ١٠٩٣ هـ / تحقيق: د. محمّد نبيل طريفي / إشراف: د. إميل بديع يعقوب / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٨ هـ.

٥١ـ خصائص الأئمّة للشريف الرضي : خصائص الأئمّة (خصائص أمير المؤمنين عليه السلام) .

تأليف: أبي الحسن محمّد بن الحسين بن موسى الموسوي البغدادي المعروف بالشريف الرضي المتوفّىٰ سنة ٤٠٦ هـ / تحقيق: د. محمّد هادي الأميني / نشر: مجمع البحوث الإسلامية في الآستانة الرضوية المقدّسة ـ مشهد / ١٤٠٦ هـ.

٥٢ـ الخطر والتأمين : الخطر والتأمين (هل التأمين التجاري جائز شرعاً ؟) .

تأليف: د. رفيق يونس المصري / نشر: دار القلم ـ دمشق / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٢هـ.

٥٣ـدائرة المعارف الإسلامية .

تأليف: مجموعة من الباحثين الأجانب / تعريب: أحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس / مراجعة: د. محمّد مهدي علّام / نشر: دار الفكر ـ بيروت.

٥٤ـالدارس في تاريخ المدارس .

تأليف: عبد القادر بن محمّد النعيمي الدمشقي المتوفّىٰ سنة ٩٧٨ هـ / اعتناء: إبراهيم شمس الدين / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٠هـ.

٥٥ ـالدرّ المنثور : الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور .

تأليف: جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر الكمال بن محمّد بن سابق الدين الخضيري السيوطي الشافعي المتوفّىٰ سنة ٩١١ هـ/ نشر: محمّد أمين دمج ـ بيروت.

٥٦ـدفاع عن العقيدة والشريعة : دفاع عن العقيدة والشريعة ضدّ مطاعن المستشرقين .

تأليف: محمّد أحمد السقّا الغزالي المتوفّىٰ سنة ١٤١٦ هـ / نشر: دار الكتب الإسلامية ـ طهران / الطبعة الخامسة ـ ١٩٨٨ م.

٥٧ـرجال الفكر والدعوة : رجال الفكر والدعوة في الإسلام .

تأليف: أبي الحسن علي بن عبد الحي بن فخر الدين الحسني الندوي المتوفّىٰ سنة ١٤٢٠ هـ / نشر: دار القلم ـ بيروت / الطبعة الحادية عشرة ـ ١٤٢٠ هـ.

٥٨ـرجل القدر : رجل القدر في حياة أُمّة (سعيد النورسي) .

تأليف: أُورخان محمّد علي / نشر: شركة سوزلر ـ القاهرة / الطبعة الثالثة ـ ٢٠٠٦م.

٥٩ـرحلة ابن جبير : تذكرة بالأخبار عن اتّفاقات الأسفار .

تأليف: أبي الحسين محمّد بن أحمد بن جبير الكناني الشاطبي البلنسي المتوفّىٰ سنة ٦١٤ هـ / نشر: دار بيروت ـ بيروت / ١٤٠٤ هـ.

٦٠ـرفع الأغلاق عن مشروع الزواج والطلاق .

تأليف: محمّد بخيت حسين المطيعي الحنفي المتوفّىٰ سنة ١٩٣٥ م / نشر: دار الفاروق ـ الجيزة.

٦١ـروضات الجنّات : روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات .

تأليف: محمّد باقر بن زين العابدين بن أبي القاسم بن حسين الموسوي الخوانساري الأصفهاني المتوفّى سنة ١٣١٣ هـ / نشر: الدار الإسلامية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١١ هـ.

٦٢ ـزاد المسير : زاد المسير في علم التفسير .

تأليف: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمّد القرشي البغدادي المعروف بابن الجوزي المتوفّىٰ سنة ٥٩٧ هـ/ تحقيق: د. محمّد عبد الرحمان عبدالله والسعيد بسيوني زغلول / نشر: دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٧هـ.

٦٣ـالسلوك للمقريزي :السلوك لمعرفة دول الملوك .

تأليف: أبي العبّاس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر العُبيدي المقريزي المتوفّىٰ سنة ٨٤٥ هـ / تحقيق: محمّد عبد القادر عطا / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٨ هـ.

٦٤ـسمط النجوم العوالي : سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي .

تأليف: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العاصمي المكّي الشافعي المتوفّىٰ سنة ١١١١ هـ / تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوّض / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٩ هـ.

٦٥ـ سنن ابن ماجة : كتاب السنن .

تأليف: أبي عبد الله محمّد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجة المتوفّىٰ سنة ٢٧٥ هـ/ تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي / نشر: دار الفكر ـ بيروت.

٦٦ـ سنن أبي داود : السنن .

تأليف: أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير السجستاني الأزدي الحنبلي المتوفّى سنة ٢٧٥ هـ / تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد / نشر: دار الفكر ـ بيروت.

٦٧ـ سنن الترمذي : الجامع الصحيح .

تأليف: أبي عيسىٰ محمّد بن عيسىٰ بن سورة الترمذي المتوفّىٰ سنة ٢٧٩ هـ/ تحقيق: أحمد محمّد شاكر / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٣٥٧ هـ.

٦٨ـ سنن الدارمي : السنن .

تأليف: أبي محمّد عبد الله بن عبد الرحمان بن الفضل بن بهرام الدارمي التميمي السمرقندي المتوفّىٰ سنة ٢٥٥ هـ / نشر: دار الفكر ـ القاهرة / ١٣٩٨ هـ.

٦٩ـ السنن الكبرىٰ للبيهقي : السنن الكبرىٰ .

تأليف: أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي النيسابوري التوفّى سنة ٤٥٨ هـ/ نشر: دار المعرفة ـ بيروت.

٧٠ـ سنن النسائي : السنن .

تأليف: أبي عبد الرحمان أحمد بن شعيب بن علي النسائي الخراساني المتوفّىٰ سنة ٣٠٣ هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٣٤٨ هـ.

٧١ـ سير أعلام النبلاء .

تأليف: شمس الدين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفّىٰ سنة ٧٤٨ هـ / تحقيق: مجموعة من الباحثين / إشراف: شعيب الأرناؤوط / نشر: مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / الطبعة الحادية عشرة ـ ١٤١٧ هـ.

٧٢ـ شجرة النور الزكية : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية .

تأليف: محمّد بن محمّد بن عمر بن علي بن سالم مخلوف المتوفّىٰ سنة ١٩٤١م / نشر: دار الفكر ـ بيروت.

٧٣ـ شذرات الذهب : شذرات الذهب في أخبار من ذهب .

تأليف: أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمّد المعروف بـابن العـماد الحـنبلي المتوفّىٰ سنة ١٠٨٩ هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / ١٤١٤ هـ.

٧٤ـ شرح إحقاق الحقّ .

تأليف: شهاب الدين المرعشي النجفي المتوفّىٰ سنة ١٤١١ هـ / تصحيح: إبراهـيم الميانجي / نشر: مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم.

٧٥ـ الشيخ محمّد عبده راية الإصلاح .

تأليف: مهدي أحمدي / تعريب: محمّد بور صبّاغ / تحقيق واستدراك ومراجـعة: محمّد جاسم الساعدي / نشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٨ هـ.

٧٦ـ صحاح اللغة : تاج اللغة وصحاح العربية .

تأليف: أبي نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري المتوفّىٰ سنة ٣٩٣ هـ / تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار / نشر دار العلم للملايين ـ بيروت / الطبعة الرابعة ـ ١٤٠٧ هـ.

٧٧ـ صحيح البخاري : الصحيح .

تأليف: أبي عبدالله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بـرذربه البـخاري الجعفي المتوفّى سنة ٢٥٦ هـ / تحقيق: د. مصطفىٰ ديب البُغا / نشر: دار ابن كثير واليمامة ـ دمشق و بيروت / الطبعة الخامسة ـ ١٤١٤ هـ.

٧٨ـ صحيح مسلم : الصحيح .

تأليف: أبي الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري المتوفّىٰ سنة ٢٦١ هـ / تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٩٧٢ م.

٧٩ـ طبقات الحفّاظ .

تأليف: جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر الكمال بن محمّد بن سابق الدين الخضيري السيوطي الشافعي المتوفّىٰ سنة ٩١١ هـ / تحقيق: علي محمّد عمر / نشر: مكتبة وهبة ـ القاهرة / الطبعة الأُولى ـ ١٣٩٣ هـ.

٨٠ـ طبقات الشافعية الكبرىٰ .

تأليف: تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي المتوفّىٰ سنة ٧٧١ هـ / تحقيق: عبد الفتّاح محمّد الحلو ومحمود محمّد الطناحي / نشر: دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة.

٨١ـ عظماء الإسلام : عظماء الإسلام عبر أربعة عشر قرناً من الزمان .

تأليف: محمّد سعيد مرسي / نشر: مؤسّسة اقرأ ـ مصر / ١٤٢٣ هـ.

٨٢ـ العناوين : عناوين الأُصول .

تأليف: مير عبد الفتّاح بن علي الحسيني المراغي المتوفّىٰ سنة ١٢٥٠ هـ/ تحقيق ونشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٧ هـ.

٨٣ ـ عوالي اللئالي : عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية .

تأليف: محمّد بن علي بن إبراهيم الإحسائي المعروف بابن أبي جمهور المتوفّىٰ سنة ٩٤٠هـ/ تحقيق: مجتبى العراقي / نشر: مطبعة سيّد الشهداء ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٣هـ.

٨٤ـ الفتاوىٰ الإسلامية .

إعداد: مجموعة من الباحثين / نشر: مصر.

٨٥ـ فتاوىٰ الشيخ محمّد بخيت المطيعي .

إعداد: د. محمّد رجب البيّومي / نشر: مصر.

٨٦ـ القتح المبين : القتح المبين في طبقات الأُصوليّين .

تأليف: عبدالله مصطفىٰ المراغي / نشر: عبد الحميد أحمد حنفي ـ مصر.

٨٧ـ الفكر السامي : الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي .

تأليف: محمّد بن الحسن بن العربي بن محمّد بن أبي يعزىٰ بن عبد السلام الحجوي الثعالبي الفاسي المتوفّىٰ سنة ١٣٧٦ هـ / تعليق: عبد العزيز عبد الفتّاح القارئ / نشر: مكتبة دار التراث ـ القاهرة / أُوفسيت عن طبعة المكتبة العلمية بالمدينة المنوّرة / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٣٩٦ هـ.

٨٨ـ القاموس القانوني الثلاثي : القاموس القانوني الثلاثي (قاموس قانوني موسوعي شامل ومفصّل . . عربي ـ فرنسي ـ إنجليزي) .

تأليف: المحامي موريس نخلة والمحامي صلاح مطر ود. روحي البعلبكي / نشر: منشورات الحلبي الحقوقية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠٢ م.

٨٩ـ القاموس المحيط : القاموس المحيط والقابوس الوسيط .

تأليف: مجد الدين أبي طاهر محمّد بن يعقوب بن محمّد بن إبراهيم الفيروز آبادي الشيرازي الشافعي المتوفّىٰ سنة ٨١٧ هـ / نشر: دار الجيل ـ بيروت.

٩٠ـ القواعد الفقهية للبجنوردي : القواعد الفقهية .

تأليف: محمّد حسن الموسوي البجنوردي المتوفّىٰ سنة ١٣٩٦ هـ/ تحقيق: مهدي المهريزي ومحمّد حسين الدرايتي / نشر: الهادي ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٩ هـ.

٩١ـ الكافي .

تأليف: أبي جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي المعروف بثقة الإسلام المتوفّىٰ سنة ٣٢٩ هـ / تحقيق: علي أكبر الغفّاري / نشر: دار الكتب الإسلامية ـ طهران / الطبعة الثالثة ـ ١٣٨٨ هـ.

٩٢ـ الكامل في التاريخ .

تأليف: عزّ الدين أبي الحسن علي بن محمّد بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري المتوفّىٰ سنة ٦٣٠ هـ/ نشر: دار الفكر ـ بيروت / ١٣٩٨ هـ.

٩٣ـكشف الخفاء :كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس .

تأليف: إسماعيل بن محمّد عبد الهادي بن الغني العجلوني الدمشقي الشافعي المتوفّىٰ سنة ١١٦٢ هـ / تحقيق: أحمد القلاش / نشر: مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / الطبعة السابعة ـ ١٤١٨ هـ.

٩٤ـ الكشف والبيان : الكشف والبيان في تفسير القرآن .

تأليف: أبي إسحاق أحمد بن محمّد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المتوفّىٰ سنة ٤٢٧ هـ/ تحقيق: أبي محمّد بن عاشور / مراجعة: نظير الساعدي / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٢ هـ.

٩٥ـكفاية الأُصول .

تأليف: محمّد كاظم بن حسين الهروي الخراساني المعروف بالآخوند المتوفّىٰ سنة ١٣٢٩ هـ / تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم / الطبعة الثانية ـ ١٤١٧ هـ.

٩٦ـكلمة عن دار الإفتاء المصرية .

إعداد: مجموعة من الباحثين / نشر: وزارة العدل المصرية ـ القاهرة.

٩٧ـكنز الجوهر :كنز الجوهر في تاريخ الأزهر .

تأليف: سليمان بن رصد الحنفي الزيّاتي المتوفّىٰ سنة ١٩٢٨م / نشر: مصر.

٩٨ـكنز العمّال :كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال .

تأليف: علاء الدين علي المتّقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري المتوفّىٰ سنة

٩٧٥ هـ / ضبط وتفسير الغريب من الكتاب: بكري حيّاني / تصحيح وفهرسة: صفوة السقا / نشر: مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / ١٤٠٩ هـ.

٩٩ـ لسان الميزان .

تأليف: شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفّىٰ سنة ٨٥٢ هـ / نشر: مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٦ هـ.

١٠٠ـ مجمع الزوائد : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد .

تأليف: نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي المتوفّىٰ سنة ٨٠٧ هـ / نشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٢ هـ.

١٠١ـ مجموعة الفتاوىٰ الإسلامية .

إعداد: مجموعة من الباحثين / نشر: المجلس الأعلىٰ في الشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية ـ القاهرة.

١٠٢ـ محمّد يوسف موسىٰ : محمّد يوسف موسىٰ .. الفقيه الفيلسوف والمصلح المجدّد .

تأليف: د. محمّد الدسوقي / نشر: القاهرة.

١٠٣ـ مرآة الجنان : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان .

تأليف: أبي محمّد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكّي المتوفّى سنة ٧٦٨ هـ / تحقيق: خليل المنصور / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٧ هـ.

١٠٤ـ المستدرك للحاكم : المستدرك على الصحيحين .

تأليف: أبي عبد الله محمّد بن عبد الله الحاكم النيسابوري المتوفّىٰ سنة ٤٠٥ هـ/ تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١١ هـ.

١٠٥ ـ مستدرك الوسائل : مستدرك الوسائل ومستنبط الوسائل .

تأليف: أبي محمّد حسين بن محمّد تقي بن علي محمّد بن تقي الطبرسي المعروف

بالمحدّث النوري المتوفّىٰ سنة ١٣٢٠ هـ / تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم / نشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ بيروت / الطبعة الأُولى المحقّقة ـ ١٤٠٨ هـ.

١٠٦ ـ مسند أبي يعلىٰ : المسند .

تأليف: أبي يعلىٰ أحمد بن علي بن المثنّىٰ التميمي الموصلي المتوفّى سنة ٣٠٧ هـ / تحقيق: حسين سليم أسد / نشر: دار المأمون للتراث ـ دمشق وبيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤١٠ هـ.

١٠٧ ـ مسند أحمد : المسند .

تأليف: أبي عبد الله أحمد بن محمّد بن حنبل بن هلال الشيباني المتوفّىٰ سنة ٢٤١هـ/ نشر: دار صادر ـ بيروت.

١٠٨ ـ المصباح المنير : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير .

تأليف: أحمد بن محمّد بن علي المقري الفيّومي المتوفّىٰ سنة ٧٧٠ هـ/ نشر: دار الفكر ـ بيروت.

١٠٩ ـ المعاملات الشرعية المالية .

تأليف: أحمد بن إبراهيم إبراهيم المتوفّىٰ سنة ١٩٤٥ م / نشر: مصر.

١١٠ ـ معجم الأُدباء .

تأليف: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي البغدادي المتوفّىٰ سنة ٦٢٦ هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٠ هـ.

١١١ ـ معجم أسماء المستشرقين .

إعداد: د. يحيىٰ مراد / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠٤م.

١١٢ ـ معجم الأُصوليّين .

تأليف: أبي الطيّب مولود السريري السوسي / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٢٣ هـ.

١١٣ ـ المعجم الأوسط للطبراني : المعجم الأوسط .

تأليف: أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيّوب بن مُطير اللخمي الشامي الطبراني المتوفّىٰ سنة ٣٦٠ هـ / تحقيق: د. محمود الطحّان / نشر: مكتبة المعارف ـ الرياض / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٥ هـ.

١١٤ ـ المعجم السياسي .

إعداد: د. وضاح زيتون / نشر: دار أُسامة ودار المشرق الثقافي ـ عمّان / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠٦ م.

١١٥ ـ معجم الصوفية : معجم الصوفية (أعلام ـ طرق ـ مصطلحات ـ تاريخ) .

إعداد: ممدوح الزوبي / نشر: دار الجيل ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠٤م.

١١٦ ـ المعجم الفلسفي .

إعداد ونشر: مجمع اللغة العربية ـ القاهرة.

١١٧ ـ المعجم الكبير للطبراني : المعجم الكبير .

تأليف: أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيّوب بن مُطَير اللخمي الشامي الطبراني المتوفّىٰ سنة ٣٦٠ هـ / تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي / طبع: مطبعة الزهراء ـ الموصل / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٤ هـ.

١١٨ ـ معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية .

تأليف: د. أحمد زكي البدوي / نشر: مكتبة لبنان ـ بيروت.

١١٩ ـ معجم المطبوعات العربية : معجم المطبوعات العربية والمعرّبة .

تأليف: يوسف إليان سركيس المتوفّىٰ سنة ١٣٥١ هـ/ نشر: مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم.

١٢٠ ـ معجم المفسّرين : معجم المفسّرين من صدر الإسلام حتّىٰ العصر الحاضر .

تأليف: عادل نويهض / نشر: مؤسّسة نويهض الثقافية ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٩ هـ.

١٢١ ـ معجم المؤلّفين .

تأليف: عمر بن رضا بن محمّد راغب بن عبدالغني كحّالة المتوفّىٰ سنة ١٤٠٨هـ/ نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٢٢ ـ المعجم الموسوعي في علم النفس .

تأليف: نوربير سيلامي بمشاركة مائة وثلاثة وثلاثين اختصاصيّاً / ترجمة: وجيه أسعد / نشر: وزارة الثقافة السورية ـ دمشق/ ٢٠٠١ م.

١٢٣ ـ المعجم الوسيط .

تأليف: إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيّات وحامد عبد القادر ومحمّد علي النجّار / مشاركة: عبد العليم الطحاوي وحسن عطية / إشراف: عبد السلام هارون / إخراج: د. إبراهيم أنيس ود. عبد الحليم منتصر وعطية الصوالحي ومحمّد خلف الله أحمد / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة الثانية.

١٢٤ ـ مغني المحتاج : مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج .

تأليف: شمس الدين محمّد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي المتوفّىٰ سنة ٩٧٧هـ/ نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٣٧٧ هـ.

١٢٥ ـ مفردات من الحضارة الإسلامية : مفردات من الحضارة الإسلامية (المذاهب والفرق ـ المصطلحات ـ الأعلام ـ الغزوات والحروب) .

إعداد: محمّد راجي حسن كنّاس / تقديم: د. أحمد الطحّان / نشر: دار المعرفة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٤ هـ.

١٢٦ ـ المنجد في الأعلام .

تأليف: جماعة من المتخصّصين / نشر: دار المشرق ـ بيروت / الطبعة الحادية والعشرون ـ ١٩٩٦ م.

١٢٧ ـ منهج البحث في العلوم الإسلامية .

تأليف: د. محمّد الدسوقي / نشر: القاهرة / الطبعة الثانية.

١٢٨ ـ موسوعة الأديان الميسّرة .

إعداد: مجموعة من الباحثين / نشر: دار النفائس ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٢٣هـ.

١٢٩ ـ موسوعة أعلام الفكر الإسلامي .

إعداد: مجموعة من الباحثين / تقديم وإشراف: د. محمود حمدي زقزوق / نشر: المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية في وزارة الأوقاف المصرية ـ القاهرة / ١٤٢٥هـ.

١٣٠ ـ موسوعة أعلام الفلسفة : موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب .

إعداد: روني إيلي ألفا / مراجعة: د. جورج نخل / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٢ هـ.

١٣١ ـ موسوعة أُكسفورد العربية .

إعداد: مجموعة من الباحثين البريطانيّين / تعريب: مجلس من الأكاديميّين / نشر: دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٩٩٩ م.

١٣٢ ـ موسوعة السياسة .

تأليف: د. عبد الوهاب الكيّالي وجماعة من المتخصّصين / نشر: المؤسّسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت / الطبعة الرابعة ـ ١٩٩٩ م.

١٣٣ ـ موسوعة طبقات الفقهاء .

تأليف: اللجنة العلمية في مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام / إشراف: جعفر السبحاني / نشر: مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٤ هـ.

١٣٤ ـ الموسوعة العربية العالمية .

إعداد وتنظيم: جماعة من المتخصّصين الموسوعيّين / نشر: مؤسّسة أعمال الموسوعة ـ الرياض / الطبعة الثانية ـ ١٩٩٩ م.

١٣٥ ـ الموسوعة الفقهية .

إعداد: مجموعة من الباحثين / نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ الكويت، ودار الصفوة ـ مصر / الطبعة الرابعة ـ ١٤١٤ هـ.

١٣٦ ـ موسوعة الفلسفة .

تأليف: د. عبد الرحمان بدوي / نشر: المؤسّسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٩٨٤ م.

١٣٧ ـ الموسوعة الفلسفية .

تأليف: لجنة من العلماء والأكاديميّين الروس / إشراف: م. روزنتال وب. يودين / تعريف: سمير كرم / مراجعة: د. صادق جلال العظم وجورج طرابيشي / نشر: دار الطليعة ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ٢٠٠٦ م.

١٣٨ ـ موسوعة لالاند الفلسفية .

تأليف: أندريه لالاند / تعريف: خليل أحمد خليل / إشراف: أحمد عويدات / نشر: عويدات ـ بيروت وباريس / الطبعة الثانية ـ ٢٠٠١ م.

١٣٩ ـ موسوعة المورد .

تأليف: منير البعلبكي / نشر: دار العلم للملايين ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٩٨٠ م.

١٤٠ ـ الموسوعة النفسية الجنسية .

تأليف: د. عبد المنعم الحفني / نشر: مكتبة مدبولي ـ القاهرة / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٢ هـ.

١٤١ ـ ميزان الاعتدال : ميزان الاعتدال في نقد الرجال .

تأليف: شمس الدين أبي عبد الله محمّد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفّىٰ سنة ٧٤٨ هـ / تحقيق: علي محمّد البجّاوي / نشر: دار المعرفة ـ بيروت / أُوفسيت عن طبعة دار إحياء الكتب العربية ـ مصر / الطبعة الأُولى ـ ١٣٨٢ هـ.

١٤٢ـ نزهة الأرواح (فارسي) : نزهة الأرواح وروضة الأفراح (تاريخ الحكماء) .

تأليف: شمس الدين محمّد بن محمود الشهروزي الإشراقي (كان حيّاً سنة ٦٨٧هـ) / ترجمه إلى الفارسية: مقصود علي تبريزي / اهتمام: محمّد تقي دانش پژوه ومحمّد سرور مولائي / نشر: شركة النشر العلمية والثقافية التابعة لوزارة الثقافة والتعليم العالي الإيرانية ـ طهران / ١٩٨٧ م.

١٤٣ـ نزهة الجليس : نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس .

تأليف: عبّاس بن علي بن نور الدين الحسيني الموسوي المكّي المتوفّىٰ حدود سنة ١١٨٠ هـ / نشر: المكتبة والمطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف / ١٣٨٧ هـ.

١٤٤ـ نقض فتاوىٰ الوهابية .

تأليف: محمّد الحسين بن علي بن محمّد رضا بن موسىٰ بن جعفر كاشف الغطاء النجفي المتوفّىٰ سنة ١٣٧٣ هـ / نشر: مركز الغدير للدراسات الإسلامية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٩ هـ.

١٤٥ـ النهاية الأثيرية : النهاية في غريب الحديث والأثر .

تأليف: مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمّد الجزري الشافعي المعروف بابن الأثير المتوفّىٰ سنة ٦٠٦ هـ/ تصحيح: محمّد أبي الفضل عاشور / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٢ هـ.

١٤٦ـ نهاية السؤل في شرح منهاج الأُصول .

تأليف: جمال الدين أبي محمّد عبد الرحيم بن حسن علي الإسنوي الشافعي المتوفّىٰ سنة ٧٧٢ هـ / نشر: المكتبة السلفية ـ القاهرة / ١٣٤٣ هـ.

١٤٧ـ نهج البلاغة .

جمع: أبي الحسن محمّد بن الحسين بن موسى الموسوي البغدادي المعروف بالشريف الرضي المتوفّىٰ سنة ٤٠٦ هـ / ضبط النصوص ووضع الفهارس: د. صبحي الصالح / نشر: مؤسّسة دار الهجرة ـ قم / الطبعة الخامسة ـ ١٤١٢ هـ.

١٤٨ ـ النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين .

تأليف: د. محمّد رجب البيّومي / نشر: دار القلم ـ دمشق.

١٤٩ ـ النوادر للراوندي : النوادر الملحقة بالفصول العشرة .

تأليف: ضياء الدين أبي الرضا فضل الله بن علي الحسني الراوندي المتوفّىٰ سنة ٥٧١ هـ/ تحقيق: سعيد رضا علي عسكري / نشر: مؤسّسة دار الحديث الثقافية ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٨ هـ.

١٥٠ ـ هداية المسترشدين : هداية المسترشدين في شرح أُصول معالم الدين .

تأليف: محمّد تقي بن محمّد رحيم بن محمّد قاسم الأيوان كيفي الرازي الأصفهاني النجفي المتوفّىٰ سنة ١٢٤٨ هـ / تحقيق ونشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٠ هـ.

١٥١ ـ هدية العارفين .

تأليف: إسماعيل بن محمّد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي المتوفّىٰ سنة ١٣٣٩هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / ١٤٠٢ هـ.

١٥٢ ـ وجوه عربية وإسلامية .

تأليف: د. حلمي محمّد القاعود / نشر: دار العلم والإيمان ـ مصر / الطبعة الأُولىٰ ـ ٢٠٠٨ م.

١٥٣ ـ وجيز الكلام : وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام .

تأليف: شمس الدين محمّد بن عبدالرحمان السخاوي المتوفّىٰ سنة ٩٠٢هـ/ تحقيق: د. بشّار عوّاد معروف وعصام فارس الحرستاني ود. أحمد الحطيمي / نشر: مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٦ هـ.

١٥٤ ـ وسائل الشيعة : تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة .

تأليف: محمّد بن الحسن بن علي الحرّ العاملي المتوفّىٰ سنة ١١٠٤ هـ/ تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم / الطبعة الثالثة ـ ١٤١٦ هـ.

١٥٥ـ وفيات الأعيان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان .
تأليف: شمس الدين أبي العبّاس أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن خلّكان الأربـلي المتوفّىٰ سنة ٦٨١ هـ / تحقيق: د. إحسان عبّاس / نشر: مكتبة الشريف الرضي ـ قم / الطبعة الثانية ـ ١٣٦٤ هـ. ش / أُوفسيت عن دار صادر ـ بيروت / ١٩٦٨ م.

* * *

* قد تمّ الاعتماد على بعض المجلّات والدوريات، وهي كالتالي:

(الإسلام ـ الرسالة ـ رسالة الإسلام ـ رسالة التقريب ـ رسالة الثقلين ـ الشبّان المسلمون ـ الفصول ـ منبر الإسلام ـ نور الإسلام ـ الهداية الإسلامية).

فهرس المحتوىٰ

مقدّمة المجمع ٣

مقدّمة المحقّق : ٥

تمهيد ٥

مؤلّف الكتاب ٨

هذا الكتاب ١٩

منهجية تحقيق الكتاب ٢٠

كلمة أخيرة ٢١

مقدّمة المؤلّف : ٢٣

المبحث الأوّل : نشأة الشيخ وتطوّر حياته ٣٣

لمحة عن نظام التعليم في الأزهر قديماً وحديثاً ٣٧

المواد التي كانت تدرّس بالأزهر قديماً ٣٩

قوانين إصلاح الأزهر ٣٩

الشيخ بخيت طالباً في الأزهر ٤١

الحياة العلمية للشيخ بخيت ٤٤

وفاة الشيخ بخيت ٥٢

تأبين الشيخ بخيت ٥٣

المبحث الثاني: شخصيّته ٦٣
الملامح العامّة لشخصية الشيخ المطيعي: ٦٦
أ ـ التقوى، والصلابة في الحقّ، وعفّة اليد ٦٧
ب ـ مشاركاته الإيجابية في التصدّي لمشكلات عصره ٧١
١ ـ التكافل الاجتماعي ٧٣
٢ ـ رأيه في الشيوعية ٧٥
٣ ـ محاربة التبشير ٧٨
٤ ـ محاربة البغاء الرسمي ٨٤
ج ـ مشاركاته السياسية ٩٠
موقفه من لجنة «ملنر» ٩٣
دعوته لحقن الدماء بين عاهلي جزيرة العرب ٩٧
د ـ التواضع، والكرم، وحبّ الدعابة ١٠١
المبحث الثالث: ثقافته ومنزلته بين علماء عصره ١٠٥
التنوّع الثقافي للشيخ المطيعي ١٠٩
ثقافته التاريخية ١١٦
ثقافته الأدبية ١١٩
فقيه لا يعرف التعصّب المذهبي ١٢١
منزلته بين علماء عصره ١٣٢
المعاصرون من خرّيجي الأزهر ١٣٤
المعاصرون من خرّيجي دار العلوم ١٤٤
المبحث الرابع: المؤلّفات والفتاوى ١٤٩

[المؤلّفات] ١٥١
الفتاوى ١٦٠
الخاتمة: نتائج وتوصيات ١٦٣
[النتائج] ١٦٣
[التوصيات] ١٦٣
فهرس المصادر ١٦٥
فهرس المحتوىٰ ١٨٩